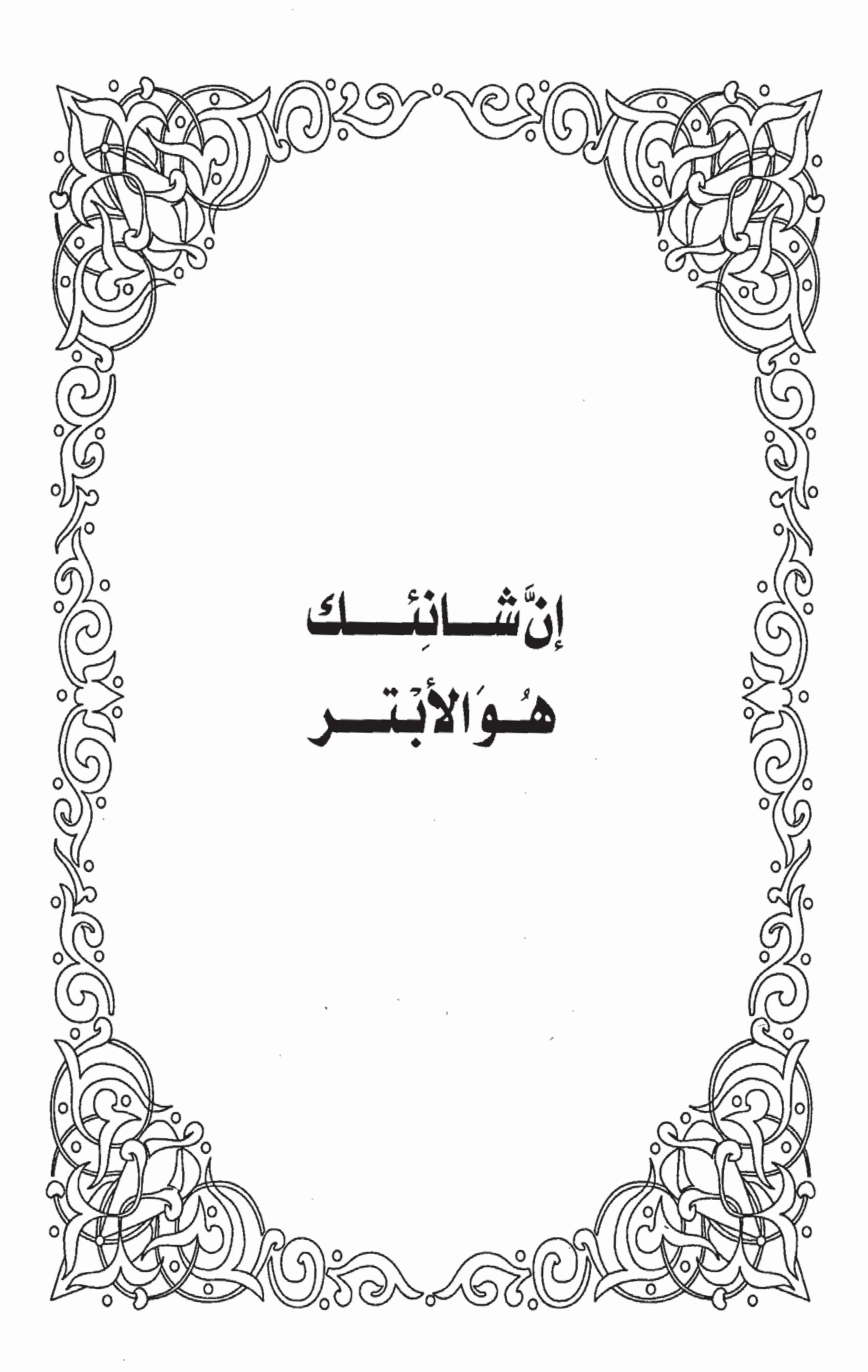


إنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾

□ **شانِئو محمد** ﷺ وجاحدو نبوَّتِه على مدارِ التاريخ هم حُثالةٌ من الرَّعاعِ والأقزام، تطاوَلوا على قَدْرِ عَلَم الأعلام، وسيِّد الأنام ﷺ، وارتكسوا في الحمأةِ الوبيئة.. فأين هم من نداءِ محمدٍ العُلويِّ الجميل الذي يبارِكُ العُمرَ ويرفعُه ويُزكِّيه؟.

□ **شائِنو محمد** ﷺ يعيشون في المستنقع الآسِن، وفي الدَّرْك الهابط، وفي الظلام البهيم.. فأين هم من المَرتَعِ الزكيِّ، والنورِ الوَضيء، وذلك المرتقى العالي؟.

□ **شائنو محمد** رسول اللَّه الكريم ﷺ ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [البقرة: ٦].

□ **شائِنو محمد** ﷺ كبارُ المُخادعين.. أغفالٌ يَخدعون البشريَّةَ وأنفُسَهم حينَ يَصُدُّوها عن هاديها إلىٰ طريقِ الحقِّ ﷺ.. هم داءُ البشريَّة ومَرَضُها، ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ [البقرة: ١٠].

□ **شائِنو محمد** ﷺ موتىٰ القلوب، لا وصفَ لقساوةِ قلوبهم وغلظتِها، وموتها وجفافها، وعَتَمتها وظلامها.

* قال تعالىٰ: ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام: ١٢٥].

مَن شرح اللَّه صَدْرَه للإسلام ولهَدْي محمد ﷺ فللّهِ ما أجملَ انشراحَ

صدرِه، وتفتُّحَه ونداوتَه وبشاشتَه!! ومَن يُرِدْ أن يُضِلَّه فصدرُه مغلقٌ مطموس، ضيِّق، عنده من كُربةِ الصَّدْر، والرَّهَق المُضني ما ينوءُ به، فالكفرُ انكماشٌ وتحجُّرٌ، وضِيقٌ، وشُرودٌ، وعُسرٌ، وجَهدٌ، ومشقة.

ومن معاني الرِّجس: العذاب، ومن معانيه: الارتكاس، يرتكسُ في العذاب، ويعودُ إليه ولا يفارقه.

❑ **شانئو محمد** ﷺ هم نَبْتةٌ ضالةٌ شيطانيةٌ، لا وشائجَ لها في تربةِ هذا الوجود ولا جذور، انقطعت صِلَتُهم بخالقِ الوجود بعد كُفرهم برسوله ﷺ، فهو منقطعُ الصِّلةِ بالوجود، لا تربطه به إلاَّ روابطُ هزيلةٌ من وجودِه الفرديِّ المحدود، في أضيق الحدود، في الحدود التي تعيش فيها البهيمة، حدودِ الحِسِّ وما يُدركُه الحسُّ من ظاهرِ هذا الوجود.. والمؤمنون بمحمدٍ ﷺ وبرسالته وثيقو الصِّلةِ بالوجود، وبموكبِ الإيمان الضارب في جذورِ الزمان، الموصول على مدارِ الزمان، فهم في ثراءٍ من الوشائج، وفي ثراءٍ من الروابط، وفي ثراءٍ من «الوجود» الزاخر الممتد اللاحب الذي لا يقفُ عند أعمارِهم المحدودة.

شتَّان بين هؤلاء وهؤلاء!!.

❑ **شانئو محمد** ﷺ عَمِيت قلوبُهم، وعندهم العمى، كلُّ العمى، وعميت بصائرهم، ﴿**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: ٤٦]. ﴿**أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [الرعد: ١٩] عَمِيتْ قلوبُهم، وعَمُوا عن رؤيةِ دلائل الحقِّ، وعَمُوا عن رؤية حقيقةِ الوجود، وحقيقة الارتباطات فيه، وحقيقةِ القِيَم والأشخاصِ والأحداثِ والأشياء.

قلوبٌ خامدةٌ جامدةٌ قاسيةٌ متبلِّدة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، مَن يعيشون بقلوبٍ مَيتةٍ فهم كأهل القبور.. وا عجبًا للناس! يبكون علىٰ مَن مات جَسَده، ولا يبكون علىٰ من مات قلبه - وهو أشدُّ -!.

وقلوبُ مُحبِّيهِ أشرقت فيها الأنوارُ وخَشَعت لذكر اللَّه، أحيىٰ اللَّه بمحمدٍ ﷺ أرضَ هذه القلوب بعد موتها، فنبضت بالحياة، وزَخِرت بالنبت والزَّهْر، ومَنَحت الأُكُل والثمار.

❑ **شائنو محمد ﷺ** في الظلمات حياتُهم ومماتُهم، فعندما يَبعدُ الناسُ عن نورِ الإيمان يَقعُون في شتَّىٰ أنواعِ الظلمات وأشكالها.. ظلماتٌ تعِزُّ فيها الرؤيةُ الصحيحة لشيءٍ من الأشياء، ظلمةُ الجهل، وظُلْمة الكفر، وظُلْمة الظُّلْم، وظُلْمةُ اتباعِ الهوىٰ، وظلمةُ الشك والريب، وظلمة الجحود، وظلمة الإعراض عن الحق الذي بعث اللَّهُ به رسوله ﷺ، والنور الذي أنزله معه ليُخرجَ الناسَ من الظلماتِ إلىٰ النور، وظلمةُ الشبهات والخرافات، والأساطير والتصوُّرات، وظلمةُ الشهوات والنزعات والاندفاعات في التِّيه، وظلمة الحَيرة والقلق والانقطاع عن الهدىٰ، والوحشةِ من الجَنَاب الآمنِ المأنوس، وظلمةُ اضطراب القيم، وتخلخل الأحكام والقيم والموازين.. فهم أعداءُ النور.

لا يُشرِقُ النورُ أمامَ ثُقلة الطين في كيانهم، وظلمةِ التراب، وكثافةِ اللحم والدم، وعرامةِ الشهوةِ والنزوةِ الخبيثة، لَبْسٌ في الرؤية، وتردُّدٌ في الخُطوةَ، وحَيرةٌ وشرودٌ في الاتجاه، وطريقٌ بهيمٌ لا معالِمَ فيه.

❑ وأمَّا المؤمنون بمحمد ﷺ، فقد عرفوا النورَ من طريقه وصراطِه

وكتابِه، فخالطت بشاشةُ الإيمان وأنوارُه قلوبَهم، يعرفونها ولا يَملِكون بالكلماتِ أن يَنقِلوها إلىٰ الآخَرين الذين لم يَعرِفوها؛ لأنها لا تُنقل بالكلمات، إنما تَسري في القلب فيستروحُها، ويَهَشُّ لها، ويندَىٰ بها، ويَستريحُ إليها، ويستشعرُ الطمأنينة والسلام.

❑ **شانئو محمد** ﷺ حياتهم هجيرٌ قائظ، وشُواظٌ يَلفحُ قلوبَهم قَبلَ الوجوه، هاجرةُ الكفر وحَرورُه.. تلفحُ قلوبَهم فيه لوافحُ الحَيرة والقلق وعدمِ الاستقرار علىٰ هدف، وعدم الاطمئنان إلىٰ نشأةٍ أو مصير، ثم تنتهي إلىٰ حرِّ جهنم ولفحةِ العَذاب هناك.. ليس أشقىٰ علىٰ وجه الأرضِ منهم وقد حُرِموا طمأنينةَ الأُنسِ باللَّه.. ليس أحدٌ أشقىٰ منهم وهم ينطلقون في هذه الأرض مَبتوري الصِّلة بما حولَهم في الكون؛ لأنهم انفَصَموا عن العُروة الوثقىٰ التي تربِطُهم باللَّه، ليس أشقىٰ في الحياة ممَّن يَشُقُّ طريقَه وحيداً شريداً في فلاة، عليه أن يكافحَ وحدَه بلا ناصرٍ ولا هادٍ ولا مُعين.

❑ **شانئو محمد** ﷺ هم داءُ البشرية.. هم الوسوسةُ والقلقُ والحَيرة، والقلقُ مرضٌ، والحَيرة نَصَب، والوسوسةُ داء، فأين هم من محمدٍ ﷺ رحمةِ اللَّه المهداة، الذي يَصِلُ القلوبَ الطاهرةَ باللَّه، فترضىٰ وتستروحُ الرِّضا من اللَّه، والرِّضا عن الحياة؟!.

❑ **شانئو محمد** ﷺ كلُّهم هَوَىٰ ودَنَسٌ وطَمَعٌ وحَسَد، ونزعاتُ الشياطين في أنفسٍ لئيمة خبيثة.

❑ **شانئو محمد** ﷺ حياتهم كلُّها ضَنْك.. ضَنْكُ الانقطاعِ عن الاتِّصال باللَّه، والاطمئنانِ إلىٰ حِماه، ضنكُ الحيرةِ والقلقِ والشكِّ، ضنكُ

الحرصِ والحَذَرِ والحسرةِ على كلِّ ما يفوت.

❑ **شانئو محمد** ﷺ مَوْتَىٰ الضمير.. انقطعوا بكُفرهم عن مَصدرِ الحياة الأصيل بتكذيبهم لِمَن أرسله، وانفَصَلوا عن الطريق الواصل.

❑ **شانئو محمد سيِّد البشر** ﷺ هم الظالمون المُظلِمون.. الفاسدون المُفسدون.. المتَبَجِّحون السفهاءُ الأدعياء.. أفسدوا البشريةَ أشنعَ الفساد، واختلَّت بأيديهم كلُّ الموازينِ والقيم.. يأنفون منَ التسليم للرسول ﷺ ورسالته، ولا يَرْضونه لمقاماتهم العلِيَّة!! ينظرون إليه بأنَفَةٍ وهم السفهاءُ، ومتىٰ علِم السَّفيهُ أنه سفيه؟! ومتىٰ استشعر المنحرفُ أنه بعيدٌ عن المَسْلَك القويم؟! عندهم كلُّ اللؤمِ والمكرِ السيِّءِ والضَّعفِ والخسَّةِ والخُبثِ والخداعِ.. غمَّازون لَمَّازون.

❑ **شانئو محمد** ﷺ: ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [البقرة: ١٥].. وما أبأسَ مَن يستهزئُ به جبَّارُ السموات والأرضِ وما أشقاه!! يَخبطون على غير هُدًىٰ في طريقٍ نَكِدٍ مُظلِم، لا يعرفون غايتَه، وتتلقَّفُهم أيدي الملائكة في نهايته يَضربون وجوهَهم وأدبارَهم.. فهم كالفئران الهزيلة تتواثبُ في الفخِّ، غافلةً عن المقبض المكين.. وهذا هو الاستهزاءُ الرعيب، والمصيرُ الذي تقشعرُّ مِن هَولِه القلوب، ﴿**وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ**﴾ [النور: ٣٩].

❑ **شانئو محمد** ﷺ أعرضوا عن كلِّ هُدىٰ، وصَمُّوا آذانَهم عن السماعِ، وعيونَهم عنِ الرؤية، وعطَّلوا ألسنَتهم، فهم بُكْمٌ، لا رَجعةَ لهم إلىٰ الحق، ولا هدايةَ لهم إلىٰ النور، ولا أوْبَةَ لهم إلىٰ الهدىٰ.

☐ **شانئو محمد ﷺ** هم أعداءُ الفطرة. . أعداءُ البشريَّة والحياة.

إنَّ هذه البشريةَ ـ وهي مِن صُنْعِ اللَّه ـ لا تُفتحُ مغاليقُ فطرتِها إلاَّ بمفاتيحَ من صُنعِ اللَّه، ولا تُعالجُ أمراضُها وعِلَلُها إلاَّ بالدواء الذي يَخرجُ من يـده ـ سبحانه ـ، وقد جَعل في منهج الإسلام الذي أرسل به محمداً ﷺ وحده مفاتيحَ كلِّ مُغلق، وشفاءَ كلِّ داء، ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ [الإسراء: ٩]، ولكنَّ هذه البشريةَ لا تريدُ أن تَرُدَّ القُفلَ إلىٰ صانعه، ولا أن تَذهبَ بالمريض إلىٰ مُبدِعه، ولا تَسلكَ في أمرِ نفسِها، ولا في أمرِ إنسانيَّتها، وفي أمر سعادتها أو شِقْوَتِها ما تعوَّدت أن تسلكَه في أمرِ الأجهزة والآلات الماديَّة الزهيدة التي تستخدمُها في حاجاتها اليوميَّة الصغيرة.

ومن هنا جاءت الشِّقْوةُ للبشرية الضالَّة. . البشريةِ المسكينة الحائرة، البشريةِ التي لن تجد الهدىٰ، ولن تجدَ الراحة، ولن تجدَ السعادة، إلاَّ حين تَرُدُّ الفطرةَ البشريةَ إلىٰ خالقها الكبير. . وتنحيةُ الإسلام ورسولِه ﷺ عن قيادةِ البشرية نكبةٌ قاصمة، نكبة لم تعرفْ لها البشريةُ نظيراً في كل ما أَلَمَّ بها من نكبات. . نكبةٌ فسَدَت بها الأرضُ، وأسِنت الحياة، وتعفَّنت القيادات، وذاقت البشريةُ الويلاتِ من القيادات المتعفِّنة، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس.

☐ **شانئو محمد ﷺ** أعداءُ «السلام»: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ**

﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

[المائدة: ١٥-١٦].

﴿سُبُلَ السَّلامِ﴾: ما أدقَّ هذا التعبيرَ وأصدقَه! إنه «السلام»، هو ما يسكبُه محمدٌ ﷺ ودينُه في الحياة كلِّها.. سلامُ الفرد، وسلامُ الجماعة، وسلامُ العالَم.. سلامُ الضمير، وسلامُ العقل، وسلامُ الجوارح.. سلامُ البيت والأسرة، وسلامُ المجتمع والأُمَّة، وسلامُ البشرِ والإنسانية.. السلامُ مع الحياة، والسلامُ مع الكون، والسلامُ مع اللَّهِ ربِّ الكونِ والحياة.. السلامُ الذي لا تجدُه البشرية ـ ولم تجِدْه يومًا ـ إلاَّ في هذا الدين؛ وإلاَّ في مَنهجه ونِظامه وشريعتِه، ومجتمعِه الذي يقومُ علىٰ عقيدته وشريعته.

ولا يُدرِكُ عُمقَ هذه الحقيقة ومذاقَها المُريحَ كما يُدرِكُها مَن ذاق سُبلَ الحرب في الجاهليَّات قديمًا، أو الجاهليَّة الصليبية أو اليهودية حديثًا.. لا يُدرِكُ عُمقَ هذه الحقيقةِ كما يدركُها مَن ذاق حَربَ القلقِ الناشيءِ عن عقائدِ الجاهلية في أعماقِ الضمير.. وحربِ القلقِ الناشئِ من شرائع الجاهليةِ وتخبُّطِها في أوضاعِ الحياة، والويلاتِ التي تذوقُها البشرية من كلِّ ألوان الحروب في الضمائر والمجتمعات قرونًا بعد قرون.. وفاءَ مَن سَبَقَ له من ربِّه الحُسنىٰ إلىٰ ظلالِ السلام في الإسلام.. سلام يَرِفُّ في حَنايا السريرة، وسلامٌ يُظلِّلُ الحياة والمجتمعَ، وسلامٌ في الأرض، وسلامٌ في السماء.

أولَ ما يَفيضُ هذا السلامُ علىٰ القلب وينشأُ من اعتقادٍ صحيح عن إلهه وربِّه، فلا يخافُ غيرَه، ولا يَخْشىٰ سواه من كلِّ قوةٍ زائفةٍ زائلة.. ويَفيضُ السلامُ علىٰ القلب حين يعلمُ العلاقةَ بين العبدِ وربِّه، وبين الخالق والكون.

العقيدةُ التي تقفُ بصاحبها أمامَ النَّبْتَةِ الصغيرة، وهي توحي إليه أنَّ له أجرًا حين يَرويها من عطش، وحين يُعينها على النماء، وحين يُزيلُ من طريقها العقبات: هي عقيدةٌ جميلة - فوق أنها عقيدةٌ كريمة -، عقيدةٌ تسكبُ في رُوحه السلام؛ وتُطلِقُه يُعانقُ الوجودَ كلَّه، ويُشيعُ مِن حوله الأمنَ والرِّفقَ، والحبَّ والسلام.

❑ وعقيدة الإسلامِ في اليوم الآخرِ، والعدلِ المطلَقِ والجزاءِ الأوفىٰ عند اللَّه، فلا قلق، ولا سُخْط، ولا قنوط إذا لم يُوفَّ حقَّه في هذه العاجلة بمقاييس الناس، هذا بدلاً من الصِّراع المجنون المحموم الذي تُداسُ فيه الحرماتُ بلا تحرُّجٍ ولا حياءٍ من لصوصِ الصليبيِّين واليهود، لصوصِ المغارات أبناء الحيَّات والأفاعي.

❑ وغايةُ الوجود في الإسلام عبادةُ اللَّه في كلِّ لحظةٍ من لحظاتِ حياته، وبكلِّ نَبضٍ في جوارحه، فترفعُه العبادةُ إلىٰ أُفقِها الوضيء، ترفعُ شعورَه وضميرَه، وترفعُ نشاطَه وعملَه، فهو يَعبدُ في كلِّ خُطوة، وهو يحقِّقُ غايةَ وجودِه في كلِّ خَطْرة، وهو يرتقي صُعُدًا إلىٰ اللَّه في كلِّ نشاطٍ وفي كل مجال، وهو يَسمعُ قولَ رسوله ﷺ: «**إن اللَّه تعالى يُحبُّ مَعَاليَ الأمور وأشرافَها، ويَكرهُ سَفْسَافها**»[1].

فأَوْلَىٰ به ألاَّ يَغْدِرَ ولا يَفْجُر، وأَوْلىٰ به ألاَّ يَغشَّ ولا يَخدع، وأَوْلىٰ به ألاَّ يطغىٰ وألاَّ يتجبَّر، وأَوْلَىٰ به ألاَّ يستخدمَ أداةً مُدَنَّسَةً ولا وسيلةً

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وابن عدي، وأبو الشيخ، وأبو نعيم في «الحلية» عن سهل بن سعد، وكذا رواه ابن عساكر وابن النجّار عن سهل، وصححه الألباني.

خسيسة. . وأَوْلىٰ به كذلك ألاَّ يستعجلَ المراحلَ، وألاَّ يتعسَّفَ الطريق.

☐ وشعورُ المؤمن بالقضاء والقَدَر، وأنه في طاعةِ اللَّه، لتحقيقِ إرادةِ اللَّه. . وما يَسكُبُه هذا الشعورُ في رُوحِه من الطمأنينة والسلام والاستقرار.

☐ والتكاليفُ التي يفرضُها اللَّه علىٰ عبده كلُّها من الفِطرة، ولتصحيح الفطرة، لا تتجاوزُ الطاقةَ، ولا تتجاهلُ طبيعةَ الإنسانِ وتركيبَه، ولا رُوحَه ولا جسده، تلبِّي حاجةَ الرُّوحِ والجسدِ في يُسرٍ وسماحة.

☐ والمجتمعُ المتوادُّ المتحابُّ المترابطُ المتكافل، هذا المجتمع الذي حقَّقه الإسلامُ في أرقىٰ وأصفىٰ صورةٍ تربِطُه آصِرةُ العقيدة، وتذوبُ فيه الأجناسُ والأوطانُ والألوانُ، فالمؤمنون إخوة.

☐ المجتمعُ الذي بناه رسولُ اللَّه ﷺ لا تشيعُ فيه الفاحشة، ولا يتبجَّحُ فيه الإغراء، ولا ترُوحُ فيه الفتنة، ولا تلتفتُ الأعيُنُ فيه إلىٰ العَوْرات، ولا ترِفُّ فيه الشهواتُ علىٰ الحرمات، ولا ينطلقُ فيه سُعارُ الجنسِ ولا عرامةُ اللحم والدم، فتأمنُ الزوجةُ علىٰ زوجها، ويأمنُ الزوجُ علىٰ زوجته، ويأمنُ الأولياءُ علىٰ حُرماتهم، ويأمَنُ الجميعُ علىٰ أعصابهم وقلوبهم، حيث لا تقعُ العيونُ علىٰ المفاتن، ولا تقودُ العيونُ القلوبَ إلىٰ المحارم، لا رغائبَ مكبوتة، ولا قلقَ للأعصاب، ولا أمراضَ للنفوس، وإنما مجتمعٌ نظيفٌ عفيفٌ آمِنٌ ساكن، تَرِفُّ عليه أجنحةُ السِّلم والطُّهْر والأمان.

☐ وهو المجتمعُ الذي يكفلُ لكلِّ قادرٍ عملاً ورِزْقًا، ولكلِّ عاجزٍ ضمانةً للعيش الكريم، ولكلِّ راغبٍ في العِفَّة زوجةً صالحةً. . والذي يَعتبِرُ أهلَ كلِّ حيٍّ مسؤولين مسؤوليةً جنائيةً لو مات فيهم جائع، حتىٰ لَيرىٰ

بعضُ فقهاءِ الإسلام تغريمَهمُ الدِّيَة .

◻ المجتمع المسلم الذي بناه رسولُ اللَّه ﷺ وأرسىٰ قواعدَه في دنيا الإسلام عَبْرَ التاريخ: مجتمعٌ تُكْفَل فيه حُرِّيَّاتُ الناس وكراماتهم وحُرماتهم وأموالُهم بحكم الشرع الحنيف، بعد كفالتها بالتوجيه الرَّباني المُطاع.. فلا يُؤخذُ واحدٌ فيه بالظِّنَّة، ولا يُتَسَوَّرُ علىٰ أحدٍ بيتُه، ولا يَتجسَّسُ علىٰ أحدٍ فيه متجَسِّسٌ، ولا يَذهبُ فيه دمٌ هَدَرًا، والقِصاصُ حاضر، ولا يَضيعُ فيه علىٰ أحدٍ مالُه سرقةً أوْ نَهْبًا، والحدودُ حاضرة، وعَدلُ اللَّهِ قائم.

◻ مجتمعٌ تَشيعٌ فيه الشورىٰ ويتساوىٰ فيه الناسُ حُكَّامًا ومحكومين أمامَ شرعِ اللَّه - عز وجل - .

◻ لقد أقام النبيُّ ﷺ مجتمعًا لأول مرةٍ في التاريخ لا يُعادلُه عَبْرَ التاريخ أيُّ مجتمعٍ آخَرُ.. وأقامَ ﷺ دولةً كأحسنِ ما تُقامُ الدول، حتىٰ استمرَّ امتدادُها لأكثرَ من ألفٍ وثلاثِمئةِ عام وهي مؤهَّلةٌ للعَودة والاستمرار، كمعجزةٍ باقيةٍ لإنسانٍ واحد، هي في الحقيقة من أعظمِ معجزاته التي غَفَل عنها الغافلون.

* قال تعالىٰ: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى..** ﴾ الآية [الرعد: ٣١].

لقد صَنع رسولُ اللَّه ﷺ بالقرآن الذي عليه وبسُنَّته المباركة في نفوس المؤمنين به - الذين تلقَّوا هذا الوحيَ العظيمَ وتكيَّفُوا به - أكثرَ من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياءِ الموتىٰ.. لقد صَنَع في هذه النفوس وبهذه النفوس

خوارقَ أضخمَ وأبعدَ آثاراً في أقدارِ الحياة، بل أبعدَ أثراً في شكل الأرض ذاتِه.. فكم غَيَّر الإسلامُ والمسلمون من وجهِ الأرض، إلىٰ جانبِ ما غيَّروا من وجهِ التاريخ؟!.

لقد سَيَّر رسولُ اللَّه ﷺ بالقرآن ما هو أضخمُ من الجبال، وهو تاريخُ الأمم والأجيال، وقَطَع به ما هو أصلبُ من الأرض، وهو جُمودُ الأفكار، وعَفَنُ الشِّرك والكفر، وأحييٰ به وبسُنَّته ما أُخمد من الموتىٰ، وهي الشعوبُ التي قَتَل رُوحَها الشِّركُ، وظلمُ الطواغيت، وأوهامُ الأوثان.

إنَّ التحوُّل الذي تَمَّ في نفوسِ العرب والمسلمين وبهم، ونَقَلهم تلك النَّقْلةَ الضخمةَ علىٰ يدِ رسول اللَّه ﷺ وما جاء به، فأقام بهم أطهرَ وأعفَّ وأجملَ مجتمعٍ ودولةٍ في التاريخ.. أضخمُ بكثير من تحوُّلِ الجبالِ عن رُسوخها، وتحوُّلِ الأرض عن جُمودها، وتحوُّلِ الموتىٰ عن الموات!.

*** شتانَ ما بين مجتمعِ الإسلام ومجتمع الخوفِ والجريمةِ وحضارة الدَّجال الأعور:**

◻ هذا الطُّهرُ والعفافُ والمَثَلُ الأعلىٰ في دنيا الناس، أين منه حضارةُ الجريمة والخوف، فعلىٰ الخوف ينامُ الغرب، وعليه يصحو، وصَدَق فيه قولُ اللَّه تعالىٰ: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ [النحل: ١١٢].

◻ في تصريح لرئيس الندوة الدولية لمكافحة الجريمة والإرهاب الجنرال «أناتولي كوليكوف»: «إن هناك حوالي (٤٠٠) ألف جريمة تُرتَكب يومياً

في العالم، وإن الجريمة قد نَمَت خلالَ الأعوامِ الثلاثين الأخيرة حوالي ثماني مرات في الولايات المتحدة الأمريكية، وسَبْعِ مراتٍ في بريطانيا والسويد، وأربع مرات في جمهوريات الاتحات السوفيتي السابق، ومرَّتين في اليابان».

وطبقًا لإحصائيات الجريمة في الولايات المتحدة الأمريكية فإنَّ معدلَ الجرائم لديها كان: وقوع جريمة سرقة عادية كلَّ (٣) ثوان، جريمة سَطْو كلَّ (١٤) ثانية، سرقة سيارة كلَّ (٢٥) ثانية، سرقة مقترنة بالعنف كلَّ (٦٠) ثانية، جريمة اغتصاب كلَّ (٦) ثوان، قتل كلَّ (٣١) ثانية.

وتُقدَّرُ كُلْفةُ الجريمة في أمريكا (١٠٥) بلايين دولار، تُنفق في علاج الضحايا، و(٣٥٠) بليون دولار للتعويضات والتأمين، و(١٢٠) مليون دولار تُصرَف على الشرطة، و(٣٥) بليون دولار تُصرف على السجون، وهناك (١٤)مليون متعاطٍ للمخدِّرات.

وتشير إحصائيةُ السجون الأمريكية الصادرة عن وزارةِ العدلِ الأمريكية إلى أنه خلال عام ٢٠٠٣م ازداد عددُ النزلاء في سجون أمريكا (٢٠٣٧٠) نزيلاً عن العام الأسبق، ومع نهاية ٣١ ديسمبر ٢٠٠٣ قُدِّرت نسبة الزيادة في الطاقة الاستيعابية للسجون الأمريكية المحلية بـ (+١٦٪) عن طاقتها التصميمية الاستيعابية، في حين كانت نسبةُ الفَرق في السجون الفدرالية (+٣٩٪) عن طاقتها الاستيعابية، ومع نهاية عام ٢٠٠٣ بلغ عددُ النساء المودَعاتِ السجون (١٠١١٧٩)، نزيلة من مجموع (٦ملايين و٩٠٠ ألف) سجين أمريكي (أي نسبة ٦,٩٪ من عموم النزلاء)، بمعنى أن وجود حوالي ٧ ملايين نزيل أمريكي سجين داخل الولايات المتحدة عام ٢٠٠٣

يدل على أنَّ مِن بينِ كلِّ (٣٢) مواطنًا أمريكيًّا بالغًا هناك سجين واحد»[1] .

□ وانظر إلى حضارة «الدجَّال الأعور» المادية المزيَّفة التي كَفَرت بمحمدٍ ﷺ رسول السلام . . الذي قال عنه ربُّه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٦] فرفضوا شرعَه، وسَخِروا منه، واستهزؤوا به، وهو الطُّهْرُ كلُّ الطهْرِ يَدُبُّ على الأرض. . والأمنُ معه، فماذا حصَّلوا: «جرائم غسل الأموال المتحصِّلة من الجريمة «المخدِّرات والجريمة المنظمة» تُكلِّف المجتمعَ الدوليَّ سنويًّا (١٥٠٠) مليار دولار.

كثيرٌ من دُول العالم المتقدِّم صارت نسبةُ الشرطة فيها إلى السُّكان تتراوحُ بين (٥٠٠ إلى ١٠٠٠ عنصر أمن) لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة من السكان»[2] ومع هذا فشِلوا!!.

□ «عددُ الذين يتعاطَون المخدِّرات في أمريكا (٩٦ ـ ٩٧) مليون نَسمة»[3] .

□ «ونقل العلاَّمة المودودي عن «دائرة المعارف البريطانية» أنه في الأربعينيات كان (٩٠٪) من الشباب الأمريكي مصابًا بالزُّهري، و(٦٠٪) من الشباب الأمريكي مصابًا بالسَّيلان. . »[4] .

□ نسبةُ المرضى عقليًّا وعصبيًّا ونفسيًّا في السويد ـ أرقى بلدان العالم ماديًّا ـ (٢٥٪) من سكان السويد، وتُنفِقُ الدولةُ (٣٠٪) من ميزانيتها على

(١ , ٢) مجلة البيان ـ العدد ٢٢٣ ربيع الأول ١٤٢٧هـ ـ مارس ٢٠٠٦م (ص٧٠، ٧١، ٧٣) مقالة «الإجرام العالمي وفشل العقوبات الوضعية» للدكتور أكرم عبدالرزاق المشهداني.

(٣) مجلة المجتمع الكويتية (٥٥٧/ ٣٠).

(٤) «الإسلام ومستقبل البشرية» للدكتور عبدالله عزام (ص٢٧ ـ ٢٨).

علاجهم، ونسبةُ الموظَّفين الذين يَخرُجون من وظائفهم بسبب هذه الأمراض يُساوي (٥٠٪) من مجموع المخرَجين.

❑ ويقول (سي. وبيرس): «إن شخصًا من كلِّ ٢٢ شخصًا من سكان نيويورك يجبُ إدخالُه أحَدَ مستشفيات الأمراض العقلية بين آنٍ وآخر».

❑ يوجد (٩٥) مليون مُدمن في أمريكا، ونصفُ حوادثِ السيارات التي تؤدِّي إلىٰ الموت والتي بلغ عددُها (٥٥، ٥٠٠) حالة موت كانت ناتجةً عن سُكر السائق، أو المشاة.

❑ ويقول الدكتور «سيدلي كاي» في كتابه «علم السموم»: «إن الخمر هي السببُ المباشرُ وغيرُ المباشر في (٥٠٪) من مجموع حالات الوفاة التي نفحصها بمعمل الطب الشرعي بولاية «فرجينيا» بالولايات المتحدة».

❑ ولعل أصدق كلمة عن مجتمع الغرب ما قاله الكاتب الإنجليزي «أوسبورن»: «نحن موتىٰ، مكدودون، مضيَّعون، نحن سكِّيرون، مجانين، نحن حمقىٰ، نحن تافهون»[1].

❑ قال وزير العدل الأمريكي: «وارن بيرجر» في فبراير سنة (١٩٨١): «إن هناك حُكمًا من الإرهاب يسودُ المدنَ الأمريكية»، ثم يتساءل: «أَلَسْنا رهائنَ داخل حدود بلادنا المستنيرة المتحضِّرة»؟!.

❑ ويقول مدير شركة «هوستون» الأمريكية بولاية «تكساس»: «الخوف من الجريمة يهدد تدريجيًّا بشللِ الحياة في المجتمعِ الأمريكي.. لقد سَمَحنا لأنفسنا بالتحلُّل والتفسُّخ إلىٰ الحدِّ الذي أصبحنا فيه نعيشُ مثلما

---

(١) «فوضىٰ العالم» (ص٤٩).

تعيشُ الحيوانات. . فنحن نعيشُ وراءَ قضبانٍ حديدية تحمينا مِن وصولِ اللصوص إلينا، ومجموعةٍ من الأقفال المثبَّتةِ في الأبواب وأجهزة الإنذار، ثم نرقدُ على الفراش، وبجوارنا مسدسٌ محشوٌّ بالرصاص، وبعد هذا نحاولُ أن نَحصلَ على شيءٍ من الراحة. . يا للسخرية!!.

* **والانتحار:**

تحظى الولاياتُ المتحدةُ بنصيبِ الأسد في عدد المُقدِمين على الانتحار، فقد بلغ عددُهم خلالَ عامٍ واحدٍ ما يقاربُ الرُّبْعَ مليون شخص، أيْ بمعدَّل ١٢٠ شخصًا يوميًّا، وهذا بدون شكٍّ يفوقُ عددَ جرائمِ القتل التي تقعُ في نفسِ الفترة الزمنية.

◻ وأعلى نسبةٍ للانتحار هي في أكثر الدول رُقيًّا ماديًّا كالسويد وسويسرًا. . رخاءٌ ماديٌّ عجيب ثم انتحار!!! يا للعجب العُجاب!!.

وشعب الدانمارك ـ الذي سَخِرت صُحُفُه من رسول اللَّه ﷺ ـ هو كشعب السويد مُهدَّدٌ بالانقراض، فالنسلُ في تناقصٍ مطَّرد، بسبب فوضى الاختلاطِ والتبرج. . والجيل الجديد يُدمِنُ المُسكِرات والمخدِّرات ليُعوِّضَ خَواءَ الروح من الإيمان وطمأنينةِ القلب بالعقيدة، والأمراضُ النفسيةُ والعصبيةُ والشذوذُ بأنواعه يفترسُ عشراتِ الآلافِ من النفوس والأرواح والأعصاب، وظنك بجرائم الاغتصاب والإجهاض والانتحار.

إنها الشِّقوةُ النَّكِدةُ المكتوبةُ على كلِّ قلبٍ يخلو من بشاشةِ الإيمان وطمأنينةِ الإسلام، فلا يذوقُ طعمَ السِّلم الذي يُدعى المؤمنون ليدخلوا فيه كافةً، ولِينعموا بالأمن والظلِّ والراحةِ والقَرار والسلام.

* **ونبي الإسلام ﷺ نبي السلام، وأعدؤاه وشانؤوه أعداءُ السلام في كلِّ زمانٍ ومكان، وما نَشَر النبيُّ ﷺ الإسلامَ بحدِّ السيف، بخلاف أعداء السلام من اليهود والنصارى:**

هل انتشر الإسلامُ بالسيف، وهل كان رسول اللَّه ﷺ متعطِّشًا للدماءِ، كما يقول شانؤوه من لصوص المغارات أبناءِ الحيَّات والأفاعي وشياطينِ البشرية وثعالبها وذئابها المتعطشون للدماء الذين يَصدُقُ فيهم قول القائل: «رَمَتْني بدائها وانْسَلَّتْ»!.

● قالوا عنه هذا، وهو القائل يومَ الحديبية: **«واللَّه لا تَدْعُوني قريشٌ إلى خُطَّةٍ تُوصَلُ فيها الأرحامُ، وتُعظَّمُ فيها الحرماتُ، إلاَّ أعطيتُها إيَّاها»**.

● بأبي هو وأمي، أليس هو القائلَ ﷺ: **«اغزُوا بسم اللَّه، وفي سبيل اللَّه، وقاتلوا مَن كفر باللَّه، اغزُوا، لا تغُلُّوا، ولا تغدِروا، ولا تُمثِّلوا، ولا تَقتلوا وليدًا..»**[1] !!.

◘ انظروا إلىٰ إشراقِ الرسول ﷺ ورحمتِه وسُمُوِّه حتىٰ نِزاله وضَربه وقتاله.

◘ لقد قال ثعالبُ وذئابُ الغرب عن رسول اللَّه ﷺ: «إنه دمويٌّ، وإنه بربريٌّ، وإنه نَشَر الإسلام بِحَدِّ السيف».

والتاريخُ وسيرةُ الرسول ﷺ يَشهدانِ بكذِبهم ودَجَلهم. نَسوقُ رقم

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن بريدة.

قتلىٰ كلِّ الغزوات التي انتصر بها الإسلامُ علىٰ الشرك والوثنية، وغيَّر بها مَجرىٰ التاريخ.. والتي لا يتعدَّىٰ رقمها ٣٨٦ قتيلاً، هم جملةُ قتلىٰ المشركين وشهداء المسلمين.. لنقارنَه برقم المليونيْن من الضحايا في الحروب الدينية التي أورد أخبارها الكهنةُ في أسفارِ العهد القديم، وزيادةً في التوثيق، نقدِّم هنا جدولاً بالغزوات الإسلامية التي تمت في العصر النبوي.. وآخَرَ بالحروب التي وَرَدت أخبارُها وأرقامُ ضحاياها في العهد القديم..

أما فتوحاتُ الإسلام خارجَ إطارِ الشرك الوثنيِّ في شِبه الجزيرة العربية، فلقد كانت جميعُها حروبَ تحريرٍ لشعوبِ الشرق من القَهر الدينيِّ والسياسي والحضاري الذي مارسته قُوىٰ وإمبراطورياتُ الاستعمارِ البِيزنطيِّ والفارسيِّ ضدَّ تلك الشعوب.. ولقد دارت جميعُ معاركِ هذه الفتوحات ضدَّ جيوشِ الاحتلال البيزنطيِّ والفارسيِّ.. ولم تَدُرْ معركةٌ واحدةٌ منها ضدَّ شعوبِ تلك البلاد.. بل لقد حاربَت شعوبُ تلك البلاد - وهي علىٰ دياناتها القديمة - مع العرب المسلمين ضدَّ الرومِ والفرس.. لتحريرِ بلادها.. ولتحريرِ ضميرِها من القهر والاضطهاد.

* * *

غزوات الإسلام التي حدث فيها قتال

رقم	الغــزوة	تاريخها	عدد قتلى المشركين	عدد شهداء المسلمين	ملاحظات
١	غزوة بدر	٢ هـ	٧٠	١٤	
٢	غزوة السويق	٢ هـ	-	٢	
٣	بعث كعب بن الأشرف	٣ هـ	١	-	
٤	غزوة أحد	٣ هـ	٢٢	٧٠	
٥	غزوة حَمْراءِ الأسد	٣ هـ	١	-	
٦	بعث الرَّجيع	٣ هـ	-	٧	
٧	بعث بئر معونة	٣ هـ	-	٢٧	
٨	غزوة الخندق	٥ هـ	٣	٦	
٩	غزوة بني قريظة	٥ هـ	-	-	
١٠	بعث عبدالله بن عَتِيك	٥ هـ	١	-	الـ ٦٠٠ الذين قتلوا من بني قريظة لم يقتلوا في الحرب.. وإنما قتلوا قضاء بالتحكيم - الذي ارتضوه - جزاء على خيانتهم.. فلا يحسبون في قتلى المعارك.
١١	غزوة ذي قَرَد	٦ هـ	١	٢	
١٢	غزوة بني المصطلِق	٦ هـ	-	١	
١٣	غزوة خيبر	٧ هـ	٢	٢٠	
١٤	غزوة وادي القرى	٧ هـ	-	١	
١٥	غزوة مؤتة	٨ هـ	-	١١	
١٦	فتح مكة	٨ هـ	١٧	٣	
١٧	غزوة حنين	٨ هـ	٨٤	٤	
١٨	غزوة الطائف	٨ هـ	-	١٣	
	المجمـوع		٢٠٣	١٨٣	المجموع الكلي من الجانبين ٣٨٦[1]

(١) «الدرر في اختصار المغازي والسير» لابن عبدالبر - تحقيق د. شوقي ضيف. دار المعارف - القاهرة.

ضحايا حروب العهد القديم

مسلسل	عدد ضحايا غير اليهود	المصدر
١	١٢,٠٠٠ ضحايا عاي	يشوع ٨/ ٢٥
٢	١٠,٠٠٠ من الكنعانيين والفرزيين	قضاة ١/ ٤
٣	١٠,٠٠٠ من موآب	قضاة ٣/ ٢٩
٤	١٢٠,٠٠٠ من مديان	قضاة ٨/ ١٠
٥	١٠٠٠ من شكيم	قضاة ٩/ ٤٩
٦	٣٠ من أشقلون	قضاة ١٤/ ١٩
٧	١٠٠٠ من الفلسطينيين	قضاة ١٥/ ١٧
٨	٣٠٠ من الفلسطينيين	قضاة ١٦/ ٢٧
٩	٢٠ من الفلسطينيين	صموئيل أول ١٤/ ١٤
١٠	٢٠٠ من الفلسطينيين	صموئيل أول ١٨/ ٢٧
١١	٢٢،٠٠٠ من آرام	صموئيل ثان ٨/ ٥
١٢	١٨،٠٠٠ من آرام	صموئيل ثان ٨/ ١٣
١٣	٤٠،٠٠٠ من آرام	صموئيل ثان ١٠/ ١٨
١٤	١٠٠،٠٠٠ من آرام	ملوك أول ٢٠/ ٢٩
١٥	١٠،٠٠٠ من أدوم	ملوك ثان ١٤/ ٧
١٦	١٨٥،٠٠٠ من آشور	ملوك ثان ١٩/ ٣٥
١٧	١،٠٠٠،٠٠٠٠ من الكوشيين	أخبار الأيام الأول ١٤/ ٩، ١٣
١٨	٥٠٠ من الفرس	إستير ٩/ ٥
١٩	٧٥،٠٠٠ من الفرس	إستير ٩/ ١٦
٢٠	٣٠٠ من الفرس	إستير ٩/ ١٥

مجموع الضحايا من غير اليهود ١،٦٣٥،٦٥٠

مسلسل	عدد ضحايا اليهود في حروبهم الداخلية أو مع الأجانب	المصدر
٢١	٠٠٠، ٤٢ من أفرايم	قضاة ١٢/ ٦
٢٢	٠٠٠، ٢٢ من إسرائيل	قضاة ٢٠/ ٢١
٢٣	٠٠٠، ١٨ من إسرائيل	قضاة ٢٠/ ٢٥
٢٤	٠٠٠، ٢٥ من بنيامين	قضاة ٢٠/ ٣٢
٢٥	٣٠ من إسرائيل	قضاة ٢٠/ ٣٩
٢٦	٠٠٠، ١٨ من بنيامين	قضاة ٢٠/ ٤٢
٢٧	٠٠٠، ٢ من بنيامين	قضاة ٢٠/ ٤٥
٢٨	٠٠٠, ٤ من إسرائيل	صموئيل أول ٤/ ٢
٢٩	٠٠٠، ٣٠ من إسرائيل	صموئيل أول ٤/ ١٠
٣٠	٠٧٠، ٥٠ من بيتشمن	صموئيل أول ٦/ ١٩
٣١	٨٥ من الكهنة	صموئيل أول ٢٢/ ١٩
٣٢	٢٠ من عبيد داود	صموئيل أول ٢/ ٣٠
٣٣	٣٦٠ من رجال أبنير	صموئيل أول ٢/ ٣٠
٣٤	٠٠٠، ٢٠ من إسرائيل	صموئيل ثانٍ ١٨/ ٧
٣٥	٤٢ من إخوة أخزيا	صموئيل ثانٍ ١٠/ ١٣
٣٦	٥٠ من الجلعاديين	صموئيل ثانٍ ١٥/ ٢٥
٣٧	٠٠٠، ١٢٠ من يهوذا	أخبار الأيام الثاني ٢٨/ ٦
٣٨	٧٠ من إخوة أبيمالك	قضاة ٩/ ٥

مجموع الضحايا من اليهود ٨٢٧، ٣٥٢..

والمجموع الكلي للضحايا ـ المحصاة ـ من الجانبين ٤٧٧، ٩٨٨، ١ قتيلاً![1]

(١) «فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي» (ص١٨٩ ـ ١٩١) للدكتور محمد جلاء إدريس ـ طبعة القاهرة.

□ وهذه النصوصُ التي زوَّروا بها أسفارَهم، واختلقوا التاريخَ هي كما يقول «روبرت كارول» في دراسته عن الحرب في العهد القديم: «نصوصٌ بشرية عِبرية تمثِّل إنتاجًا فكريًّا للمجتمعات القديمة.. ونصوصُ الحرب فيها إنما تنتمي إلىٰ إنتاجاتٍ فكريةٍ لكتاب العهد القديم أكثرَ من كونها أوْصَافًا للحرب التي حدثت في الواقع والتاريخ»(١).

بل إنَّ مأساةَ الكذب ومَلْهاته لَتبلغُ الذِّروةَ عندما نقرأ أرقامَ قتلىٰ هذه الحروب الدينية، التي حَلَم بها «واخترع» لها «واقعًا» هؤلاء الذين كتبوا هذه الأسفار.. فلقد بلغوا بضحايا تلك الحروب المشتهاة أرقامًا ربما فاقت أرقامَ تِعدادِ سُكَّانِ مسرحِ أحداثها عدَّةَ مرات - في ذلك التاريخ القديم -، بلغوا فيها نحو مليونين من الضحايا.. ناهيك عن الضحايا الذين لم يتمَّ إحصاءُ أعدادهم - في زمنٍ كان حالُ الإحصاءِ فيه علىٰ نحوِ ما يعرفُ الجميع -!(٢).

□ انظر إلىٰ كذبِ اليهود وجُرأتهم علىٰ اللَّه في أسفارهم، ورُوحُ الانتقام من كلِّ الأغيار عندهم: «إن سمعت عن إحدىٰ مُدُنِك، التي يُعطيك الربُّ إلهُك لتسكنَ فيها، قولاً فضربًا تضربُ سُكَّانَ تلك المدينة بحدِّ السَّيف وتحرِّمها [أي: تدمرها وتبيدها] بكل ما فيها من بهائمها بحدِّ السيف، تجمع كلَّ أمتعتها إلىٰ وسط ساحتها، وتَحرقُ بالنار المدينةَ وكلَّ أمتعتها كاملةً للربِّ إلهك، فتكونُ تلاً إلىٰ الأبدِ لا تُبنىٰ بعدُ - لكي يرجعَ الربُّ عن حُمُوِّ غضبه ويُعطيك رحمة» سفر التثنية إصحاح ١٣: ١٢، ١٥-١٧.

(١) المصدر السابق (ص٧٨).

(٢) انظر «الغرب والإسلام» أين الخطأ وأين الصواب (ص١١٣ - ١١٧) - مكتبة الشروق الدولية.

❑ ويقولون كذبًا: «وحين تقتربُ من مدينةٍ لكي تحاربَها استدعِها إلىٰ الصلح، فإن أجابتك إلىٰ الصلح وفتحت لك، فكلُّ الشعبِ الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويُستعْبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربًا فحاصِرْها، وإذا دفعها الربُّ إلهُك إلىٰ يدك، فاضربْ جَميعَ ذُكورها بحدِّ السيف، أما النساءُ والأطفالُ والبهائم وكلُّ ما في المدينة، كلُّ غنيمتها، فتغتنمها لنفسك، وتأكلُ غنيمةَ أعدائك التي أعطاك الربُّ إلهُك، هكذا تفعل بجميع المدن، فلا تَسْتبقِ منها نَسَمةً ما، بل تحرمها [أي تبيدها]». . سفر التثنية. إصحاح: ٢٠: ١٠-١٦.

❑ وانظر إلىٰ سفر التثنية. . إصحاح ٧: ١-٣، ٦، ٧، ١٤-١٦:

«سَبعُ شعوب دفعهم الربُّ إلهُك أمامَك وضربتهم، فإنك تحرِّمهم [أي تبيدهم وتدمرهم]. . لا تقطع لهم عهدًا، ولا تُشفق عليهم، ولا تصاهرِهم؛ لأنك شعبٌ مقدَّسٌ للربِّ إلهك. . إياك قد اختار الربُّ إلهُك لتكون له شعبًا أخصَّ من جميع الشعوب التي علىٰ وجه الأرض. . مباركًا تكونُ فوقَ جميع الشعوب لا يكونُ عقيمٌ ولا عاقرٌ فيك ولا في بهائمك، ويردُّ الربُّ عنك كلَّ مرضٍ وكلَّ أدواءِ مصرَ الرديئة التي عرفتها لا يضعها عليك، بل يجعلُها علىٰ مبغضيك، وتأكلُ كلَّ الشعوب الذين الربُّ إلهُك يدفعُ إليك. . لا تشفِق عيناك عليهم».

❑ وأفتىٰ الحاخام «العقيد. أ. فيدان زيمبل» في سبعينات القرن العشرين فتوىٰ نشرتها قيادةُ المنطقة الوسطىٰ في الجيش الإسرائيلي - التي تقع الضفَّة الغربية الفلسطينية تحت سُلطتها - يحضُّ فيها علىٰ قتل حتىٰ «المدنيين الطيِّبين من الفلسطينيين» باعتبار ذلك تكليفًا دينيًا، والتزامًا

«بالهالاكاه» ـ الشريعة ـ، وفي هذه الفتوىٰ يقول الحاخام: «في حالة احتكاك قوَّاتنا بمدنيين خلال الحرب، أو خِلال مطاردة، أو غارة، إذا لم يتوافر دليلٌ بعدم إلحاقهم الأذىٰ بقواتنا، هناك إمكانية لقتلهم، أو حتىٰ ضرورة للقيام بذلك حسب «الهالاكاه». . بل تحضُّ «الهالاكاه» علىٰ قتل حتىٰ المدنيِّين الطيبين»[1].

تلك هي حقيقةُ الانحرافِ اليهوديِّ نحو الحرب الدينية. . والتراثِ اليهوديِّ الحالِم بإبادة الآخرين، والمشتهِي لإبادةِ كل الأغيار. . والصياغاتِ الفكرية. . والخيالات والأمنيات اليهودية في هذا الميدان.

فالربُّ ـ في هذا التراث ـ هو «رب الجنود» «المحارب» و«الساخط علىٰ كل الأمم» ـ غير اليهود. . شعبِه المختار. . والمقدَّس. . دونَ كلِّ الشعوب وفوق جميع الشعوب ـ، وهو الذي يُبيدُ كلَّ الأمم، ويدفعهم للذبح. . «فقتلاهم تطرح، ووجِيَفُهم تَصعدُ نتانتُها، وتَسيلُ الجبالُ بدمائهم، ويُغنِّي كلُّ جُندِ السماوات للرب الذي امتلأ سيفُه دمًا»!. . وهو قد اختار اليهود «ليأكلوا كل الشعوب أكلاً. . دون أن تُشفِقَ عليهم الأعيُنُ أو أن يقطعوا لهذه الشعوب عهدًا»!.

وهو «تراث وتاريخ» نُنزِّه اللَّهَ سبحانه وتعالىٰ، ونُنزِّه رسولَه موسىٰ عليه السلام، وننزِّه شريعةَ موسىٰ الحقَّةَ عن هذا الذي كتبوه؛ وصَدق اللَّه العظيم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

---

(١) «الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود» (ص١٣٤، ١٣٥) لإسرائيل شاحاك ـ ترجمة حسن خضر ـ طبعة القاهرة.

* **الحربُ الدينية في تراث النصرانية :**

□ ثم نأتي إلى الطرفِ الثاني من غير المسلمين الذي تشدَّقوا كثيراً بالسلام والمسالمة إلى حدِّ القول : «سمعتم أنه قيل عَينٌ بعين وسِنٌّ بسن، أمَّا أنا، فأقول لكم : لا تقاوموا الشر، بل مَن لَطَمَك على خَدِّك الأيمنِ، فحَوِّل له الآخَرَ أيضًا. . ومَن أراد أن يخاصمَك ويأخذَ ثوبَك، فاتركْ له الرِّداءَ أيضًا. . ومَن سَخَّرك مِيلاً واحدًا، فاذهب معْه اثنين. . سمعتم أنه قيل : تحب قريبك وتبغض عدوك. . وأما أنا، فأقول لكم : أحبوا أعداءكم، وبارِكوا لاعنِيكم، أحسِنوا إلى مُبغضِيكم، وصَلُّوا لأجل الذين يُسيؤون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات».

إنجيل متى. إصحاح ٥ : ٣٨ـ٤١، ٤٣ـ٤٥

□ ولكنَّ الواقعَ والتاريخَ خيرُ شاهدٍ بكذِبهم، فهم وحوشٌ ضاريةٌ حتى مع بني ديانتهم :

لقد مارست كنيسةُ النصرانية الغربية، ومعها الدولةُ الرومانية والبيزنطية ـ بعد تديُّنِ هذه الدولة بالنصرانية ـ، مارستا حَربًا من الاضطهاد البشع ضدَّ النصرانية الشرقية ـ والمصرية منها على وجه الخصوص ـ، حتى لقد اعتبر النصارى المصريُّون هزيمةَ الدولةِ البيزنطية أمامَ الفتحِ الإسلاميِّ عقابًا إلهيًّا لهذه الدولة وكنيستها على الاضطهاد الذي مارسوه ضدَّ نصارى مصر، عندما أصبحوا ـ في هذا الاضطهاد الدينيِّ والحضاريِّ ـ طعامًا للنار والأُسود وأسماك البحار! . . وصُبَّتْ عليهم كلُّ ألوانِ التعذيب! . . فكتب «ميخائيل السرياني» يقول : «لم يسمح الإمبراطورُ لكنيستنا «المونوفيزتية» ـ [أي القائلة بالطبيعة لواحدة للمسيح] ـ بالظهور، ولم يُصغِ إلى شكاوى

الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التي نُهبت، ولهذا فقد انتَقم الربُّ منه.. لقد نَهب الرومانُ الأشرارُ كنائسَنا وأَدْيِرتَنا بقسوةٍ بالغة، واتهمونا دونَ شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناءُ إسماعيل ـ [أي العرب المسلمون] ـ لينقذونا من أيدي الرومان، وتَركَنا العربُ نمارسُ عقائدنا بحرية، وعشنا في سلام»[1].

فبسبب اختلاف المذهب، وقفت الكنيسةُ الرومانية مع دولتها الاستعمارية، ومارست القَهْرَ الديني والحضاري للنصارىٰ الشرقيين.

❑ كذلك شنَّت الكنيسةُ الغربيةُ ضدَّ الشرق الإسلامي حربًا صليبية «مقدسة» استمرت حملاتُها قرنين من الزمان [٤٨٩ ـ ٦٩٠هـ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١م]، وأشركت فيها الملوكَ وأمراءَ الإقطاع والرَّعاعَ من سائر أنحاء أوروبا ـ حتىٰ كأنها أولىٰ الحروب العالمية التي مارسها الغرب ضد الشرق! ـ، وفي هذه الحرب الصليبية استَخدمت الكنيسةُ الدينَ لتحقيق المقاصدِ الاستعمارية، ولإعادةِ اختطافِ الشرقِ من التحرير الإسلامي الذي أنقذ الشرقَ ونصرانيتَه من إبادةِ الاضطهاد «الإغريقي ـ الروماني» الذي دام عشَرةَ قرون ـ من الإسكندر الأكبر [٣٥٦ ـ ٣٢٤ ق.م] في القرن الرابع قبل الميلاد، إلىٰ الفتوحات الإسلامية في القرن السابع للميلاد ـ.

❑ إنها حربٌ قادتها الكنيسةُ، وأعلنها البابا الذهبي «أوربان الثاني» [١٠٨٨ ـ ١٠٩٩م] عندما خاطب فِرسانَ الإقطاع الأوروبيين سنة ١٠٩٥م في «كلير مونت» بجنوبي فرنسا ـ قائلاً: «يا مَن كنتم لصوصًا، كونوا اليوم

---

(١) «تاريخ مصر في العصر البيزنطي» (ص٦٢) للدكتور صبري أبو الخير سليم.

جنودًا! لقد آن الزمانُ الذي فيه تُحوِّلون ضدَّ الإسلام تلك الإسلحةَ التي أنتم لِحَدِّ الآنَ تستخدمونها بعضُكم ضدَّ بعض. . فالحربُ المقدَّسةُ المعتمَدةُ الآن هي في حقِّ اللَّه عينه. . وليست هي لاكتسابِ مدينةٍ واحدة. . بل هي أقاليمُ آسيا بجُملتها، مع غناها وخزاينها العديمة الإحصاء.

فاتخذوا مَحَجَّةَ القبر المقدس، وخلِّصوا الأراضي المقدسةَ من أيادي المختلسين، وأنتم املكوها لذواتكم، فهذه الأرض ـ حسب ألفاظ التوراة ـ تَفيضُ لبنًا وعسلاً. . ومدينة «أورشليم» هي قطبُ الأرض المذكورة، والأمكنةِ المخصبةِ المشابهةِ فردوسًا سماويًّا.

اذهبوا وحارِبوا البربر ـ يقصد المسلمين! ـ لتخليص الأراضي المقدسة من استيلائهم. . امضُوا مُتَسَلِّحِين بسيفِ مفاتحي البطرسية ـ أي: مفاتيح الجنة التي صنعها لهم البابا! ـ، واكتسبوا بها لذواتكم خزائن المكافآت السماوية الأبدية، فإذا أنتم انتصرتم على أعدائكم، فالمُلكُ الشرقيُّ يكون لكم قَسْمًا وميراثًا.

وهذا هو الحينُ الذي فيه أنتم تَفْدُون عن كثرة الاغتصابات التي مارستموها عدوانًا. . ومن حيث إنكم صبغتم أيديَكم بالدم ظلمًا، فاغسلوها بدمِ غير المؤمنين»[1].

فهي حرب «دينية ـ استعمارية»، يذهبُ إليها فِرسانُ الإقطاع الأوروبيون، اللصوص المصطبغةُ أيديهم بدماءِ المظلومين، ليغسلوا أيديَهم

---

(١) «تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب» لمكسيموس مونروند (١/ ٤١٣) ترجمة مكسيموس مظلوم.

بدماء المسلمين!!.. وهم في حَملاتهم الصليبية المقدسة هذه، يحملون مفاتيحَ الجنة ـ المفاتيح البطرسية التي صنعها لهم البابا الذهبي «أوربان الثاني» ـ ليفتدوا أنفسهم من كثرةِ الاغتصابات التي مارسوها عدوانًا.. وأيضًا ليتملَّكوا ويرِثوا ـ بهذه الحرب «المقدسة» ـ التي هي «في حق اللَّه عينه» ـ أي في سبيل الذات الإلهية!!! حسب تعبير الباب ـ كلَّ أقاليم آسيا ذات الخزائن الغنية التي تفوق الإحصاء، والتي تَفيضُ لبنًا وعسلاً!!.. والتي تُشابهُ في الخصوبة فردوسًا سماويًّا!!.

هكذا تحولت المقاصدُ الدينيةُ المقدسةُ إلىٰ سُبُلٍ وآلياتٍ وطاقاتِ شَحنٍ لتحقيق الاستعمار والنهب والاستغلال.. وأصبحت الآخرةُ في خدمة لصوص الدنيا.. وحملت الأيدي المخضَّبةُ بدماء المظلومين مفاتيحَ الفردوس الإلهي الأعلىٰ!.

وفي موقعة احتلال الصليبيين لمدينة القدس وحدَها سنة ١٠٩٩م تمت مَجزرةُ الإبادة الكاملة لسكَّانها المسلمين ـ ومعهم اليهود ـ بالقتل والذبح والإحراق.. ونحن ننقلُ عن شهودِ العِيان النصارىٰ، الذين حَفِظت لنا مشاهداتِهم المصادرُ النصرانية، لمحةً من لمحات هذه الحرب الدينية النصرانية علىٰ الإسلام والمسلمين.

❑ تقول هذه الشهادات ـ في كتاب «تاريخ الحروب المقدسة في الشرق، المدعوة حرب الصليب»: «إن ديوانَ المشورة العسكرية الْتَيَم ـ أي: اجتمع ـ وقَطع حُكمًا مرهبًا، هو: أن يُمات كلُّ مسلمٍ باقٍ داخلَ المدينة المقدسة.. وهذا الحُكم المَهيل قد تَباشَرَ بالعمل.. ودامت هذه الملحمة مدةَ سبَّب ـ أي: سبعة أيام ـ كاملة»!!.

وحتىٰ الذين هَربوا واحتمَوا بالمسجد ـ مسجد عمر بن الخطاب ـ «قبة الصخرة» ـ ذبحهم الصليبيون في المسجد . . وبعبارة شهود العيان : « . . علىٰ أنه باطلاً ـ أي : عبثًا ـ كان الإسلامُ ـ أي : المسلمون ـ في «أورشليم» يجدُّون مفتِّشين عن مَهْرَبٍ يحمُون به حياتَهم . . فعددٌ كليٌّ منهم قد هربوا إلىٰ جامع عمر ظانين أنهم هناك يحمُون ذواتَهم من الموت، ولكنَّ ظنَّهم خاب، إذ إن الصليبيين ـ خيَّالةً ومُشاةً ـ قد دخلوا الجامع المذكور، وأبادوا بحدِّ السيف كلَّ الموجودين هناك . . حتىٰ استوعب الجامعُ من الدم بحراً متموِّجًا، علا إلىٰ حدِّ الرُّكَب، بل إلىٰ لجُم الخيل . . وذلك مما فَتكت به سيوفُ الجيوش الصليبية أرقابَ ـ أي : رقاب ـ الإسلام ـ أي : المسلمين ـ . »[1] .

❑ وبعد أن «كَلَّت أيدي الصليبيين من سفك الدماء»!! ـ كما يقول مؤلف هذا الكتاب رجل الدين النصراني «مكسيموس مونروند» ـ: «ذهبوا إلىٰ كنيسة القيامة ـ التي حرَّرها عمر بن الخطاب، وتحرَّج أن يُصلِّيَ فيها، كي تظلَّ خالصةً للنصرانية والنصارىٰ ـ ذهب الصليبيون إلىٰ كنيسةِ القيامة، وهم سُكارىٰ، يرددون الصلوات، وأيديهم غارقةٌ في دماء المسلمين الذين ذبحوهم في مسجد عمر بن الخطاب»!! . . وبعبارة شهود العيان النصارىٰ : « . . ولما حَلَّ المساء، اندفع الصليبيون يبكون من فَرْطِ الضحك ـ !! ـ بعد أن أتوا علىٰ نبيذ المَعَاصر ـ!! ـ إلىٰ كنيسة القيامة، ووضعوا أكفَّهم الغارقة في الدماء علىٰ جُدرانها، ورددوا الصلوات . . »!! .

ثم كتبوا إلىٰ البابا الذهبي «أوربان الثاني»، الذي صَنع لهم مفاتيح

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٧٢، ١٧٣).

الجنة لقاءَ هذا الذي صنعوا بالإسلام والمسلمين. . فقالوا: «يا ليتك كنتَ معنا لتشهدَ خيولَنا وهي تَسبحُ في دماء الكفار ـ أي: المسلمين ـ . »!!.

وإذا كانت هذه شهادةً نصرانيةً قديمة، توكِّدُ على توسُّل الكنيسةِ الغربية بالدين لإعادة اختطافِ الشرق من الإسلام، لِنَهْبِ ثرواته. . فإن شهادةً نصرانيةً معاصرةً تؤكِّدُ ـ هي الأخرى ـ على الطابعِ الديني لهذه الحرب الصليبية ـ التي دامت قرنين ضدَّ الإسلام ـ وفي هذه الشهادة المعاصرة يقول الدكتور «جاك تاجر»: «إن ضخامةَ الوسائل التي أعدها الصليبيون، وتعدُّدَ هجماتهم، تدل بلا شك على أن الحروبَ الصليبيةَ كانت محاولةً لمحو نفوذِ الإسلام في الشرق، فقد شُنَّت هذه الحرب أولَ ما شُنَّت لانتزاعِ حمايةِ القبرِ المقدَّس من الخلفاء، ولكنها ما لَبِثَتْ أن تحوَّلت إلى قتالٍ عامٍّ بين جيوش الإسلام وجيوشِ المسيحية، أي: بين الشرق المسلم والغرب المسيحي»[1].

* وصفحةٌ أخرى ـ دامية ـ من صفحات الحروب الدينية للكنيسة الغربية، تلك التي تمثَّلت في نَشْرِ النصرانية بحدِّ السيف، وإبادةِ كلِّ مَن لم يتدينْ بدينِ المَلِكِ أو الأمير الذي اعتنق النصرانية!..

□ فالملك «شارلمان» [٧٤٢ ـ ٨١٤م] فَرَض النصرانيةَ على السكسونيين بحد السيف!..

□ وفي الدنمارك، استأصل الملك «كنوت ـ Cnut» [٩٩٥ ـ ١٠٣٥م] الدياناتِ غيرَ المسيحيةِ من بلادِه بالقوة والإرهاب!.

---

(١) «أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى سنة ١٩٢٢» للدكتور جاك تاجر ـ أصدرها أقباط المهجر ـ مدينة جرسي بأمريكا سنة ١٩٨٤.

☐ وفي روسيا، فَرَض الأمير «فلاديمير ـ Vladimir» [٩٨٠ ـ ١٠١٥م] المسيحية الأرثوذكسية على كلِّ الروس غداةَ اعتناقه لها سنة ٩٨٨م!.

☐ وفي الجبل الأسود، ذبح «دانيال بيتروفيتش ـ D.Petrovich» غيرَ المسيحيين ـ بمن فيهم المسلمون ـ ليلةَ عيدِ الميلاد سنة ١٧٠٣م!.

☐ وفي المجر أرغم الملك «شارل روبرت» [١٣١٦ ـ ١٣٧٨م] غيرَ المسيحيين على التنصر أو النفي من البلاد سنة ١٣٤٠م!.

☐ وفي إسبانيا ـ قبل الفتح الإسلامي لها ـ أقسم الملوكُ على التنفيذ بالقوة لقرار «المجمع الكنسي السادس» ـ في «طُلَيطلة» ـ تحريم كل المذاهب المخالفة للمذهب الكاثوليكي!..

* أما الحروبُ الدينية التي قادتها وخاضتها الكنائسُ الغربية بعضُها ضدَّ البعض الآخر ـ أي في داخل النصرانية، وبين أتباعِ مذاهبها، التي أصبح لكلِّ مذهبٍ فيها «قانونٌ للإيمان» يحتكرُ الخَلاصَ لأبناء المذهب دون سواهم ـ هذه الحروب التي اشتَعلت لإبادة المخالِفين في المذهب، أو إكراهِهم على تغييرِ عقيدتهم.. فإنها شهيرة، حتى لقد مَثَّلت «عصراً» من عصور الحضارة الغربية!.. وهي قد امتدَّت أكثرَ من قرنين، بين الكاثوليك وبين البروتستانت.. واشتُهر منها إحدى عشرة حربًا ـ [١٥٦٢ ـ ١٥٦٣م] و[١٥٦٧ ـ ١٥٦٨م] و[١٥٦٩ ـ ١٥٧٠م] و[١٥٧٢ ـ ١٥٧٣م] و[١٥٧٤ ـ ١٥٧٦م] و[١٥٧٦ ـ ١٥٧٧م] و[١٥٨٠م] و[١٥٨٥ ـ ١٥٩٤م] و[١٥٨٦م] و[١٦٢١م] و[١٦٢٥ ـ ١٦٢٩م]..

ولقد ذهب ضحيةً لهذه الحروب ٤٠٪ من سكان وسط أوروبا..

ووفق إحصاء «ڤولتيرا» [١٦٩٤ ـ ١٧٧٨م] عشرة ملايين إنسان! . .

وذلك غيرُ حربِ الكنيسة اللاتينية الغربية ضدَّ كنيسةِ «أياصوفيا» اليونانية ـ بالقسطنطينية ـ [١٢٠٢ ـ ١٢٠٤م]، والتي تم فيها التدميرُ والاحتلالُ والسَّلبُ والنهب للملكة القسطنطينية بأسرها![1] .

☐ أما صفحةُ الحربِ الدينية التي أعلنتها وخاضتها الكنائسُ الغربية، باسم «محاكم التفتيش» عندما أَعلنت أن «خلاص» المخالفين إنما يتحقق «بتخليصهم من الحياة»!، بعد صَبِّ صنوف العذاب عليهم!! . . فلقد دامت هذه الحربُ البشعةُ من عهد البابا «إنوسنت الثالث» [١١٩٨ ـ ١٢١٦م] ـ في القرن الثالث عشر الميلادي ـ حتى القرن السابع عشر!! . . وغَطَّت جميعَ ممالكِ وإماراتِ النصرانية الغربية . . وذهب ضحيَّتها ملايينُ الضحايا، الذين حكمت عليهم الكنيسةُ «بالخلاص: الذي يخلِّصُهم من الحياة» بالإغراق ـ أو الإحراق . . أو الإعدام على الخازوق ـ الذي استمر عقوبةً للمخالفين ثلاثة قرون! ! . . .[2] .

☐ أما أحدثُ صفحاتِ وموجاتِ هذه الحروب الدينية الغربية ضد الإسلام وأُمَّته وعالَمِه، فهي تلك التي أعلنها اليمينُ الدينيُّ الأمريكي، في

(١) «قصة الحضارة» لول ديورانت المجلد السادس (ج٣، ٤) ترجمة د. عبدالحميد يونس ـ القاهرة، المجلد الرابع (ج٤ص٤٦ ـ ٥٣)، و«الدعوة إلى الإسلام» لسيرتوماس أرنولد (ص٣٠ ـ ٣٢، ٧٢، ٧٣، ١٢٢ ـ ١٢٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٣، ١٥٤ ـ ١٥٦، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٤، ٢٧٦) ترجمةد. حسن إبراهيم حسن، د. عبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوي.

(٢) «قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام» للدكتور توفيق الطويل (ص٧٠ ـ ١١٢).

الإدارة الأمريكية، بقيادة «چورچ بوش ـ الصغير»، بعدَ أحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م ـ في أمريكا ـ.

وهي حربٌ تستهدفُ بترول الشرق الإسلامي ـ من منطقة البحيرات الإفريقية إلىٰ بحر «قزوين»، مروراً بالعراق والخليج العربي ـ لتحقيق الهيمنة الأمريكية علىٰ العالم، وانفرادِ الإمبريالية الأمريكية بالزعامة ـ دون شَريك ـ في القرن الواحد والعشرين.. ويقودُها اليمينُ الدينيُّ الأمريكي، برؤية تَوْرَاتية، تُوحِّدُ بين هذا اليمين البروتستانتي وبين اليمين اليهودي والصهيوني.

وإذا كان الجميعُ مُجمِعين علىٰ استهدافِ هذه الحربِ الاستيلاءَ علىٰ مصادر الطاقة للانفراد بالهيمنة علىٰ العالَم.. فإن الطابعَ الدينيَّ لهذه الحربِ تقومُ عليه شواهدُ وأدلةٌ وحقائقُ عديدةٌ لا ينكرُها إلاَّ مُكابر.

لقد وصف «چورچ بوش ـ الصغير» هذه الحرب في ١٦ سبتمبر سنة ٢٠٠١م ـ بأنها «حملة صليبية» ـ وهي عبارةٌ لمعناها في العقل المسلم تاريخ ـ ثم جَرَت محاولات ـ غربية ومتغرِّبة! ـ للتخفيف من وقع هذه العبارة علىٰ العالم الإسلامي، بالقول: إنها «زَلَّةُ لسان»!..

❑ لكنَّ تداعياتِ الوقائع والأحداث، في هذه الحرب الممتدة، قد جَعلت حتىٰ الڤاتيكان ـ وهو أكبر كنائس النصرانية ـ يُعلِن ـ من خلال إذاعته الرسمية، التي تُذاعُ بتسعٍ وثلاثين لغةً، وعلىٰ لسان مديرِ هذه الإذاعة الرسمية الأب «باسكوالي بور جوميو» ـ يعلن أن الإدارةَ الأمريكية في حَمْلتِها علىٰ العراق، تتصرف «بلهجة ومواقف صليبية»، فيقول: «في الوقت الذي

يدعو الفاتيكان إلى التعقُّل، ويشجِّعُ العملَ الديبلوماسي، ويدافعُ عن الحق الدولي، نرى في الجانب الآخر قوةً عظمى تقودُها إدارةٌ خَوَّلت إلى نفسها مهمةً إنقاذيةً ـ [مقدسة] ـ واتخذت لهجةً ومواقفَ صليبية»![١] .

☐ أما الأنبا «يوحنا قلته» ـ نائب البطريك الكاثوليكي في مصر ـ فلقد أعلن: «أن بوش يستخدمُ المسيحَ دِرعًا والصليبيةَ ثوبًا للدفاع عن مصالحِ أمريكا المادية.. وأنه كان يقصدُ تمامًا معنى عبارة «الحملة الصليبية».. ولم تكن أبدًا زَلَّةَ لسان»[٢] .

فهي «حربٌ صليبية» أعلنها ويقودُها اليمينُ الدينيُّ الأمريكي.. بشهادة الفاتيكان ـ أكبرِ كنائس النصرانية، في الشرق والغرب ـ.

أما السيناتور «إدوارد كنيدي» والسيناتور «بابريك ليهي»، فلقد أعلنا: أن الإدارة الأمريكية مدفوعةٌ إلى هذه الحربِ «بحماسةٍ مسيحية»[٣] .

☐ ولقد كَتَبت «النيوزويك» ـ الأمريكية ـ عن «بوش ـ الصغير» (حامل البشارة)، فقالت: «إنه يؤمن أن حربَه على العراق ستكونُ حربًا عادلةً وِفقَ المفهومِ المسيحي كما شرحها القديس أغسطين ـ في القرن الرابع ـ وفصَّلها كلٌّ من «توما الأكويني» [١٢٢٥ ـ ١٢٧٤م] ومارتن لوثر [١٤٨٣ ـ ١٥٤٦م] وآخرون، وأنه عندما استَخْدم مصطلح «الأشرار» في وصف خُصومه، قد نَبَش هذه الكلمةَ مباشرةً من المزامير» و«أنه يُفَكِّرُ في سياسةٍ خارجيةٍ تستندُ

---

(١) صحيفة الحياة ـ لندن ـ في ٢٩ ـ ٢/ ٣/ ٢٠٠٣م.

(٢) صحيفة [العربي] ـ القاهرة في ١٦/ ٣/ ٢٠٠٣م.

(٣) صحيفة الحياة ـ لندن ـ في ١٥/ ٣/ ٢٠٠٣م.

إلىٰ الإيمان. . ويفكِّرُ في حربٍ باسم «الحريَّة المدنية» ـ بما في ذلك الحرِّية الدينية ـ في القلب القديم للإسلام العربي. . ويحظىٰ بدعمٍ قويٍّ من قاعدته في الجَناح السياسيِّ للمؤتمر المَعْمداني الجنوبي، من أمثال «ريتشارد لاند» و«فرانكلين جراهام» الأب الروحي لبوش ـ والذي سَبَّ رسولَ الإسلام، ويُندِّد بالإسلام باعتباره إيمانًا عنيفًا وفاسدًا ـ، ولا يَخفىٰ ـ مع المبشرين الإنجيليين ـ رغبتُهم تحويلَ المسلمين إلىٰ المسيحية، لا سيَّما في بغداد»[1] .

هذا ما كتبته «النيوزويك» الأمريكية ـ قبل شنِّ الحرب علىٰ العراق.

□ أما الـ «نيويورك تايمز» فإنها كتبت مقالَين في ٥,٦/ ٤/ سنة ٢٠٠٣م ـ أي في ذُروة الحرب علىٰ العراق ـ عن انخراطِ المبشِّرين الإنجيليِّين، تحت قيادة الآباء الرُّوحيين «لبوش» في الحملة الأمريكية علىٰ العراق، بصُحبة القواتِ الأمريكية الغازية. . الأمر الذي «صَبَغ الحرب علىٰ العراق بصبِغة الحروب الصليبيَّة. . وأنَّ مِن بين تلك الجماعات التبشيرية المُصاحِبة للجيش الأمريكي مبشِّرين تابعين للكنيسة المعمدانية والكنيسة المنهجية، وكِلْتا الكنيستين كانت ضمنَ أهمِّ الجماعات التي دَعَّمت الرئيسَ بوش. . وهناك ٨٠٠ مبشِّر تطوَّعوا لمصاحبة الجيش الأمريكي الزاحف علىٰ العراق، لتقديم الدعم الرُّوحي والمادي للشعب العراقي. . ومِن بيْن هؤلاء المبشرين «فرانكلين جراهام» الذي دشَّن حفل تنصيب جورج بوش رئيسًا. . ووالده «بيل جراهام»، الذي أثار عاصفةً داخل المجتمعات الإسلامية عندما وَصف النبيَّ محمداً بأنه «إرهابي» و«وثني». . ولقد أعلن المبشِّرُ «فرانكلين

(١) مجلة «النيوزويك» الأمريكية ـ عدد ١١/ ٣/ ٢٠٠٣م.

جراهام» ـ في القاعدة الأمريكية في الكويت ـ: «لقد جئتُ إلىٰ هنا تمهيداً لدخول العراق.. فرغم أن نسبةَ المسلمين في العراق تُشكِّلُ ٩٧٪ من إجمالي تعدادِ السكَّان، إلاَّ أننا يجبُ ألاَّ ننسىٰ أن المسيحية سَبقت الإسلامَ في دخول العراق.. إنني هنا لدعمِ مَسِيحِيِّي العراق، لكننا في الوقت ذاته نُخطِّط لتقديم الدعمِ للمسلمين، ليس باسمنا، ولكن باسمِ الرب».

□ أمَّا والد هذا المبشر ـ القَس «بيل جراهام» ـ، فهو الأبُ الرُّوحي لجورج بوش، الذي قال عنه بوش: «إنه الرجلُ الذي قادني إلىٰ الربِّ.. وهو الذي جَعل بوش يواظب يوميًّا علىٰ القراءة في كتاب القَس «أوزوالد شامبرز» الذي مات سنة ١٩١٧م وهو يَعظُ الجنود البريطانيين والأستراليين بالزحف إلىٰ القدس وانتزاعها من المسلمين»[1].

□ ويكتبُ المُفكِّرُ الاستراتيجي الأمريكي «فرانسيس فوكوياما» بعد أحداث سبتمبر سنة ٢٠٠١م فيقول: «إنَّ الصراع الحالي ليس ببساطةٍ ضدَّ الإرهاب.. ولكنه صراعٌ ضدَّ العقيدة الإسلامية الأصولية.. التي تقفُ ضدَّ الحداثة الغربية ـ وضدَّ الدولةِ العِلمانية ـ وهذه الأيديولوچية الأصولية تُمثِّل خطراً أكثر حساسيَّةً ـ في بعض جوانبه ـ من الخطر الذي شكَّلته الشيوعية.. والمطلوبُ هو حربٌ داخلَ الإسلام حتىٰ يَقبلَ الحداثة الغربية والعلمانية الغربية.. والمبدأ المسيحي: دع ما لقيصر لقيصر.. وما للَّه للَّه».

فماذا فعلوا في حروبهم الدينية في أفغانستان والعراق؟. لقد أهلكوا الأخضرَ واليابس، وعاثوا في الأرض فساداً، واغتصبوا النساء، وذبحوا

---

(١) ترجمة مقالي «نيويورك تايمز» عن صحيفة «الأسبوع» ـ القاهرة في ١٤/ ٤/ ٢٠٠٣م.

الأطفال، ونسفوا القرىٰ والمدن، وبالوا علىٰ المصاحف، وسلسلوا الأسرىٰ عُراةً، وأجبروهم علىٰ الأفعال الشاذة، وأطلقوا عليهم الكلاب، وما أحداث سجن «أبو غريب» ببعيد!!.

- فأيُّ الفريقين خيرٌ مَقامًا وأحسنُ نديًّا.. رسولُ الإسلام والسلام والمؤمنون.. أم الثعالبُ والذئاب.. من الصليبيين واليهود؟!..

سيأتي اليوم الذي يُكشَفُ فيه التاريخُ الأسوء لما فُعِل بالمسلمين علىٰ أيدي هؤلاء.

*** أكبر شانئي محمد ﷺ المغضوبُ عليهم وهو اليهود، والضالُّون وهم النصارى:**

* قال تعالىٰ: ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ [البقرة: ١٢٠].

* وقال تعالىٰ: ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾ [آل عمران: ١١٨].

* وقال تعالىٰ: ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً**﴾ [النساء: ٨٩].

قلوبٌ كافرةٌ سوداءُ مظلمةٌ، ظُلُماتُها بعضُها فوقَ بعضٍ لا انكشافَ لها، مخيفةٌ لا أَمْنَ فيها، مَضْيَعَةٌ لا خيرَ فيها، ضالةٌ ضلالُها لا رجوعَ منه، أعمالُهم سَرابٌ ضائع يلتمعُ التماعًا كاذبًا، فيتبعُه صاحبُه الظاميء، وهو يتوقَّعُ الرِّيَّ غافلاً عما ينتظره هناك، يَصِلُ فلا يَجدُ ماءً يَرويه، إنما يجدُ ما يُرعبه ويُقطِّعُ أوصالَه، ويُورِّثه الخَبَال، ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ**

بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

وجد اللَّه عنده.. اللَّه الذي كَفَر به، وجَحَده، وخاصَمَه، وعادىٰ رسولَه، وآذاه، واستهزأ به.

هذه القلوبُ الكالحة، والأنفُسُ الصَّلْدةُ اليابسة بِسُمِّها الزُّعاف لا تحملُ للإسلام ونبيِّه ﷺ إلاَّ التحقيرَ والاستهزاءَ والسُّخريةَ وخَلْقَ أجواءِ الرِّيبة والاتهاماتِ والحقدِ علىٰ رسول اللَّه ﷺ، منهم رُوَّاد حركة التغريب، وكبارُ مخططيها، وأبرز دعاتها، الذين حَملوا لواءَ العمل في ميادين التبشير «التنصير والاستشراق»، والكتابات السوداء عن الإسلام ونبيِّه العظيم ﷺ.

إنَّ النور الذي أتىٰ به السراجُ المنيرُ ﷺ لا يقفُ له إلاَّ قلبٌ غيرُ مطموس، ولا تصمُدُ لهُ إلاَّ روحٌ غيرُ معاندة ولا مستكبرة ولا مشدودة بالهوىٰ الجامح اللئيم.

❑ حَمَلَةُ السُّمومِ والحقدِ الواضحِ ـ لا الدفين ـ الذي تطفحُ به مواقفُهم وكتاباتُهم: مكرُ أولئك هو يَبور.. ويبقىٰ رسولُ اللَّه ﷺ بنوره وبهائِه وأصالته وجذورِه القوية وكلماتِه الطيِّبة وعقيدتِه الصافية النقيَّة، تزولُ الدنيا بأسرها، ولا يزولُ الإسلام وتعاليمُ نبيِّه ﷺ من صدورِ مُتَّبعيه ما بَقِيَت الدنيا.

❑ **شانئو محمد** ﷺ مِن العبيد والأقزام وأذنابِ الغرب من الدَّجاجلة الذين يطعنون في شريعته ﷺ وصلاحيتها لكل زمانٍ ومكان، ويمكرون أقبحَ المكر بسُنَّته ورجالها، ويطعنون في أكبرِ دواوينِ السُّنة وحَمَلَةِ الحديث

مِمَّن لا تساوي دنياهم قُلامةَ ظفرهم.

نابتةٌ من الزنادقة الملحِدين في آياتِ اللَّه، أو الصادِّين عن دين اللَّه، قد سَلَكوا في الدعوة إلىٰ الكفر والإلحاد شِعَابًا جُدُدًا، وللتشكيك في الدين طرائِقَ قِدَدًا؛ يزعمون للعِلم معنًىٰ، إنْ لم يكن بعضُه في العلم، فأكثره في الجهل.

جاؤونا في أسماء العلماء، ولكن بأفعالِ أهل الجهل، وكانوا في العلم كالنبات الذي خَبُث، وإنَّك لن تجدَ سيماهم إلاَّ في أخلاقهم، فتعرَّفْهم بهذه الأخلاق، فستُنكِرْهم جميعًا، ولتعلَمَنَّ عليهم كلَّ سُوءٍ، ولترينَّهم حَشَوا أجسامهم طينًا وحماةً، في زَعْمِ كَذِبٍ يُسمِّي لك الطينَ «طِيبًا»، والحَمأة «مِسْكًا»!، ولَتَجِدَنَّ أحدهم وما في السِّفْلَةِ أسفلُ منه شهواتٍ ونزعات، وإنه مع ذلك ليُزَوِّرُ لك ويُلَبِّسُ عليك، فما فيه من لونٍ عندك يَعيبه إلاَّ هو عندَه تحتَ لوْنٍ يَزينه، ولا رزيلة تُقبِّحه إلاَّ هي في معنىٰ فضيلةٍ تُجمِّله، فخذْ منه الكَذِبَ في فلسفةِ المنفَعة، والتسفُّلَ في شعاعة الغريزة، والوقاحةَ في زَعْم الحُرِيَّة، والخطأَ في عِلَّة الرأي، والإلحادَ في حُجَّة العلم، وفسادَ الطبيعة في دعوىٰ الرجوع إلىٰ الطبيعة.. وبالجملة: خذْ فِعالَهم فسَمِّهَا غيرَ أسمائها، وانحَلْها غيرَ صفاتِها، واكذبْ بالألفاظ علىٰ المعاني، وقُلْ: علماءُ ومُصلِحون، وأنت تعني ما شئت إلاَّ حقيقةَ العلم والإصلاح!!.

◻ أيتها الحصاة، ما يَسخرُ منكِ الساخرُ بأكثر من أن يَجلُوكِ علىٰ الناس في عُلبةِ جوهرة.

يذهبُ أين ذهب، وشُعلةُ الجحيم العلميَّة تدورُ في رأسه تهفو من هنا وهناك، لا يَصلحُ إلاَّ علىٰ إفسادِ الحياة، ولا يقوىٰ إلاَّ علىٰ إِضعافِ القوي،

ولا يَعيشُ إلاَّ علىٰ غِذاءٍ من الموت، كأنَّه كان مِن قبلُ دودةً في قبر، ثم نَفَخَه اللَّه إنسانًا، يجعله فيما يبلو به من الخلْق، ويضربُ الحياةَ به ضَرْبَ انحلالٍ وبِلًىٰ وتَعَفُّن.

ومَن تراهُ قد سَخِر به القَدَرُ أشدَّ سخرية قط، فضَغْطَةٌ في قالبٍ من قوالبِ الحياة المصنوعة، فإذا هو في تصاريفِ الدنيا كاتب مُرشد متنصِّح، يَنْفُث دُخانَ قلبه الأسود، ويعملُ كما تعملُ الأعاصيرُ علىٰ إهداء الوجوه والأعين والأنفاس صُحُفًا مُنَشَّرَةً مِن غُبار الأرض، إنْ لم تكنْ مَرَضًا فأذًىٰ، وإن لم تكن أذًىٰ فضِيق، وإن لم تكن ضِيقًا فلن تكون شيئًا مما يُساغ أَوْ يُقبَل أوْ يُحَبُّ، علىٰ أنك ترىٰ أصحابَنا لا يتحاملون علىٰ شيءٍ ما يتحاملون علىٰ القرآن الكريم، فهم يخصُّونه بمكاره العلم كُلِّها ويَجفَون عنه أشدَّ جفاء»[1].

❑ **شانئو محمد** ﷺ هم شانئو القرآن الكريم الذي نزل علىٰ قلبه، فأراد المُجرمون أن يَحصُروه في المساجد تلاوةً، وهجروه تحاكمًا، وأنِفوا من تشريعه، وأرادوا فَصْلَ الدين عن دنيا الناس وسياستهم.. وهم واللَّهِ الجهالُ الذين لا يعلمون قَدْرَ كلامِ اللَّه الذي سمَّاه اللَّه «نورًا»، وسمَّاه «رُوحًا»، وسمَّاه «شفاء»، و«فضلاً»، و«رحمة».. كلامُ اللَّه الذي «يجري في الخواطر كما تصعدُ في الشجرِ قَطَراتُ الماء، ويتَّصلُ بالرُّوح، فإنما يَمُدُّ لها بسببٍ إلىٰ السماء، وإنه لسِحْرٌ؛ إذْ هو ألحاظٌ لم تَعْهَدْ كلْمٌ أحداقَها، وثمراتٌ لم تَنبُتْ في قلمٍ أوْراقُها، ونورٌ عليه رَوْنَقُ الماء، فكأنما اشتعلت به الغيومُ، وماءٌ يتلألأ كالنور، فكأنما عُصِر من النُّجوم.

(١) «إعجاز القرآن» للرافعي (٩ ـ ١٢) ـ دار الكتاب العربي.

هَلْ رَأوا إلاَّ كلامًا تضيءُ ألفاظُه كالمصابيح، فعَصَفوا عليه بأفواههم كما تَعَصِفُ الريح، يُريدون أن يُطفؤوا نورَ اللَّه، وأين سراجُ النَّجم من نفخةٍ ترتفعُ إليه؛ كأنما تذهبُ تُطفيه؟! ونورُ القمر من كفٍّ يَحسَبُ صاحبُها أنها في حجْمِه، فيرفعُها كأنما يُخفيه؟! وهيهات هيهات؛ دون ذلك دَرْجُ الشمس - وهي أمُّ الحياة - في كفَنٍ، وإنزالُها بالأيدي - وهي رُوح النار - في قبرٍ من كهوفِ الزمن.. لا جَرَمَ أن القرآنَ سرُّ السماء؛ فهو نورُ اللَّه في أُفق الدنيا حتىٰ تزول، ومعنىٰ الخلود في دولة الأرض إلىٰ أن تدول، وكذلك تمادىٰ العربُ في طغيانهم يَعمهون، وظَلَّت آياتُه تلْقَفُ ما يأفِكون، فوقع الحقُّ وبطل ما كانوا يعملون»[1].

* **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾** [المجادلة: ٥]:

ما أفظعَ عملَ وأقبحَ موقفَ المجرمين الأقزام الذين يَتحدَّوْن اللَّهَ ورسوله.. ويقفون عند الحدِّ المواجِهِ لحدِّهما!! وما أقبحَ مصيرَ أولئك المتبجِّحين!! فلهم القهرُ والذُّلُ في الدارين، والتاريخ خيرُ شاهد.. وكلام الملوك ملوك الكلام.

* **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾** [المجادلة: ٢٠-٢١]:

هذا وعدُ اللَّهِ الصادقُ الذي كان ولابُدَّ أن يكونَ، علىٰ الرَّغم مما قد يبدو أحيانًا من الظاهر الذي يُخالِفُ هذا الوعدَ الصادق.

(١) «إعجاز القرآن» للرافعي (ص٣١).

وبعد صراعٍ طويلٍ مع الكفر والشِّرك والإلحاد استقرَّ الإيمانُ باللَّه في هذه الأرض، ودانت له البشريةُ بعد كلِّ ما وقف في طريقه من عَقَبات الشِّرك والوثنيَّة.

وإذا كانت هناك فتراتٌ عاد فيها الإلحادُ أو الشركُ إلىٰ الظهور في بعضِ بقاعِ الأرض، فإن الإيمانَ باللَّه ظلَّ هو المسيطرَ بصفةٍ عامة، فضلاً علىٰ أن فتراتِ الإلحادِ والوثنيةِ والكفر بمحمدٍ رسول اللَّه خاتمِ النبيين ﷺ إلىٰ زوالٍ مؤكَّد؛ لأنها غيرُ صالحةٍ للبقاء، والبشريةُ تهتدي في كلِّ يومٍ إلىٰ أدلةٍ جديدة إلىٰ صِدقِ رسالة محمدٍ ﷺ الخاتمة، ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت: ٥٣].. ويَهرعُ الناسُ في كلِّ مكان من أرجاء البسيطة.. إلىٰ الدخول في الإسلام.. ولا يمرُّ يومٌ إلاَّ ويُسلِمُ العشراتُ بل والمئات.. فقد كَتب اللَّهُ علىٰ أعدائه وأعداءِ رسوله ﷺ الذِّلَّةَ والهزيمة، وكتب لنفسه ولرسوله الغَلَبَةَ والتمكين.. والمؤمنُ يتعاملُ مع وعد اللَّه علىٰ أنه الحقيقةُ الواقعة، فإذا كان الواقعُ الصغيرُ في جِيلٍ محدود، أو في رُقعةٍ محدودة يخالفُ تلك الحقيقةَ، فهذا الواقعُ هو الباطلُ الزائل، الذي يُوجَد في الأرض لحكمةٍ خاصة، لعلَّها استِجاشةُ الإيمانِ وإهاجتُه لتحقيق وعدِ اللَّه في وقته المرسوم.

وعَبْرَ التاريخ.. وعَبْرَ تاريخ الإسلام هل استطاعت الحروبُ التي شَنَّها أعداؤه هل استطاع القتلُ والتشريدُ والتنكيلُ وأنواعُ النِّكايات، واغتصابُ النساء، وبَقْرُ بطونِ المسلمات، وذَبحُ الأجنَّة.. هل استطاع أن يقتلعَ جذورَ الإيمان باللَّه ورسوله من قلوب المسلمين؟! حين ينظرُ الإنسانُ

إلىٰ هذا الواقعِ في المدىٰ المتطاوِلِ يجدُ مِصداقَ قولِ اللَّه، يجدُه في الواقعِ ذاتِه بدون حاجةٍ إلىٰ الانتظارِ الطويل!!.

لا يخالجُ المؤمنَ شكٌّ في أن وَعْدَ اللَّه هو الحقيقة الكائنة التي لا بدَّ أن تظهرَ في الوجود، وأنَّ الذين يُحادُّون اللَّهَ ورسولَه هم الأذلون، وأنَّ اللَّهَ ورسولَه هم الغالبون، وأن هذا هو الكائنُ والذي لا بُدَّ أن يكون، ولْتَكُنِ الظواهرُ غيرَ هذا ما تكون.

* **قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾** [التوبة: ٣٢-٣٣].

* وقال تعالىٰ: **﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** [الصف: ٨].

❑ قال الإمام ابن جرير الطبري: «يريد هؤلاء القائلون لمحمدٍ ﷺ: «هذا ساحرٌ مبين»، يريدون ليُبطِلوا الحقَّ الذي بَعث اللَّهُ به محمداً ﷺ بأفواههم، يعني: بقولهم: «إنه ساحر، وما جاء به سحر»، **﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾**، واللَّهُ مُعلِنٌ الحقَّ، ومُظهِرٌ دينَه، وناصرٌ محمداً ﷺ علىٰ مَن عاداه، فذلك إتمام نوره، وعُنِي بالنور في هذا الموضع «الإسلام»، وكان ابن زيد يقول: عُنِي به القرآن»[1].

❑ وقال العلاَّمة ابن كثير: «يريد هؤلاء الكفارُ من المشركين، وأهل الكتاب **﴿أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾** أي: الذي بُعث به رسولُ اللَّه ﷺ من الهدىٰ

(١) «جامع البيان» لابن جرير (١١/٨٨) طبع مصطفىٰ الحلبي.

ودينِ الحق بمجرد افترائهم، فمَثَلهم كمَن يريد أن يُطفئ نورَ الشمس أو القمر بنفخة، وهذا لا سبيلَ إليه؛ فكذلك ما أُرسِل به رسولُ اللَّه ﷺ لابد أن يتمَّ ويظهر، ولهذا قال تعالىٰ مقابلاً لهم فيما أرادوه ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.. ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، أي: علىٰ سائر الأديان»[1] .

◻ قال ابن كثير: «يحاولون أن يردُّوا الحقَّ بالباطل، ومَثَلُهم في ذلك كمَثَلِ مَن يُريد أن يُطفئ شعاعَ الشمس بفِيه، وكما أن هذا مستحيلٌ، فذلك مستحيل»[2] .

كم صدُّوا عن سبيله صداً، ومَن ذا يُدافعُ السيل إذا هَدَر؟ واعترضوه بالألسنِة رداً، ولَعَمْرِي مَن يَردُّ علىٰ اللَّه القَدَر؟ وتخاطروا له بسُفهائهم كما تخاطرت الفحولُ بأذنابِ[3] البقر، وفتحوا عليه من الحوادث كلَّ شِدْقٍ فيه مِن كُلِّ داهيةٍ ناب، فما كان إلاَّ نورُ الشمسِ لا يزالُ الجاهلُ يَطمعُ في سَرابه، ثم لا يضعُ منه قَطرةً في سِقائه، ويُلقي الصبيُّ غِطَاءَه ليخفيه بحجابه، ثم لا يزالُ النورُ ينبسِطُ علىٰ غِطائه.

◻ كم أبرقوا وأرعَدوا حتىٰ سال بهم وبصاحبهم السَّيل، وأثاروا من الباطل في بيضاءَ ليلُها كنهارها[4] ليجعلوا نهارَها كالليل، فما كان لهم إلاَّ كما قال اللَّه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ..﴾ الآية [الأنبياء: ١٨].

(١، ٢) «تفسير ابن كثير».

(٣) إذا تصاولت الفحول من الإبل تخاطرت بأذنابها كأنها يهدد بعضها بعضاً.

(٤) أي: هذه الملّة السمحة.

* **المصباح الذي أناره محمدٌ ﷺ تألَّب عليه مليون «أبي جهل» و«أبي لهب» ليطفؤوه:**

إن هذا المصباحَ السماويَّ تألَّب عليه مليونُ «أبي جهل» و«أبي لهب»، مليونُ «حُيَيِّ بن أخطب»، مليونُ «كعب بن الأشرف»، مليون «فرناندوا» و«إيزابيلا»، مليون «أتاتورك»، ولكن هيهات هيهات..

كذلك الحقُّ يعلو في مَصَاعِده — حتى ينالَ الذُّرَى أو يَبْلُغَ الشَّعَفَا[1]

شتَّانَ ما بين صَرْحٍ ثابت رُفِعَتْ — منه القِبابُ وصَرْحٍ واهنٍ خُسِفَا

لتُنْصِت الأرضُ، ولتَسْمَعْ ممالكُها — ماذا يقول لها الرعْدُ الذي قَصَفَا

شرائعُ الخيرِ يُلقيها مُحبَّبَةً — شيخُ النبيِّين يَبغي البرَّ واللَّطَفَا

* **﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾** [الحجر: ٩٥]:

☐ قال العلامة ابن كثير: «قوله: **﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾** [الحجر: ٩٤ ـ ٩٥]، أيْ: بلِّغ ما أُنزل إليك من ربِّك، ولا تلتفتْ إلىٰ المشركين الذين يريدون أن يصدُّوك عن آياتِ اللَّه، **﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾** [القلم: ٩]، ولا تَخَفْهم، فإن اللَّهَ كافيك إياهم، وحافظُك منهم، كقوله تعالىٰ: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾** [المائدة: ٦٧].

وروىٰ الحافظ أبو بكر البزار عن يزيدَ بنِ درهم قال: «سمعتُ أنسًا يقول في هذه الآية: **﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾** [الحجر: ٩٥ ـ ٩٦] قال: مَرَّ رسولُ اللَّه ﷺ، فغَمَزه بعضُهم، فجاء

(١) الشعف: رؤوس الجبال، جمع شعفة.

جبريل عليه السلام، فغمزهم، فوقع في أجسادهم كهيئة الطعْنة فماتوا».

وقال محمدُ بن إسحاق: «كان عظماءُ المستهزئين ـ كما رُوي عن عروةَ ابنِ الزبير ـ خمسةَ نَفَر، وكانوا ذَوِي أسنانٍ وشَرَف في قومهم مِن بني أسد ابنِ عبدِالعزَّىٰ بنِ قُصَيٍّ، الأسود بن أبي زمعةَ: كان رسول اللَّه ﷺ فيما بلغني قد دعا عليه لِمَا كان يبلغُه من أذاه واستهزائِه، فقال: «**اللَّهم أعْمِ بَصَره، وأثكلْه ولدَه**»، ومِن بني زهرة: الأسود بن عبد يغوثَ بنِ وهبِ بنِ عبدِمنافِ بن زهرة، ومِن بني مخزوم: الوليدُ بنُ المغيرة بن عبداللَّه بن عمرو ابن مخزوم، ومِن بني سهم بن عمر بن هصيص بن كعب بن لؤي: العاص ابن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد، ومن خزاعة الحارث بن الطُّلاطِلة بن عمرو بن الحارث بن عمر بن مَلْكان.. فلما تمادَوا في الشر، وأكثروا برسول اللَّه ﷺ الاستهزاءَ أنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ إلىٰ قوله: ﴿.. **فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الحجر: ٩٤-٩٦]».

◻ قال ابنُ إسحاق: «وعن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء أن جبريلَ عليه السلام أتىٰ رسولَ اللَّه ﷺ وهو يطوفُ بالبيت، فقام، وقام رسول اللَّه ﷺ إلىٰ جَنبه، فمرَّ به الأسودُ بنُ عبدِ يغوث، فأشار إلىٰ بطنه، فاستسقىٰ بطنه، فمات منه، ومَرَّ به الوليد بن المغيرة، فأشار إلىٰ أثرِ جِراحٍ بأسفلِ كعبِ رِجله ـ وكان أصابَه قبل ذلك بسنتين وهو يجرُّ إزاره ـ، وذلك أنه مرَّ برجلٍ من خزاعة يَريشُ نَبْلاً له، فتعلَّق سهمٌ مِن نَبْله بإزاره، فخَدَش رجلَه ذلك الخدشُ وليس بشيءٍ، فانتقض به فقتله، ومَرَّ به العاصُ بنُ وائل فأشار

إلىٰ أخمُصِ قدمه، فخرج علىٰ حمارٍ له يريدُ الطائف، فرَبَض علىٰ شبرقة، فدخلت في أخمُصِ قدمه فقتلته، ومَرَّ به الحارثُ بن الطُّلاطِلة، فأشار إلىٰ رأسه فامتخطَ قيحًا فقتله».

◻ ورَوىٰ محمدُ بنُ إسحاق عن ابن عباس قال: «كان رأسَهم الوليدُ ابنُ المغيرة وهو الذي جَمَعهم».

وهكذا رُوي عن سعيد بن جبير وعكرمة نحو سياق محمد بن إسحاق به عن يزيد عن عروة بطوله، إلاَّ أن سعيداً يقول: الحارث بن غَيْطلة، وعكرمة يقول الحارث بن قيس.. قال الزهري: وصَدَقا، هو الحارث بن قيس، وأمه غيطلة، وكذا رُوي عن مجاهد ومِقسم وقتادة وغير واحد: أنهم كانوا خمسة، وقال الشعبيُّ: كانوا سبعة، والمشهور الأول»[1].

◻ وقال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي: «﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ وقد فعل، فما تظاهر أحدٌ بالاستهزاء برسول اللَّه ﷺ وبما جاء به إلاَّ أهلكه اللَّهُ وقتَلَه شرَّ قِتْلة»[2].

◻ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد كان المسلمون إذا حاصَروا أهلَ حصنٍ واستعصىٰ عليهم، ثم سَمِعوهم يقعون في النبي ﷺ ويسبُّونه، يستبشرون بقرب الفتح، ثم ما هو إلاَّ وقتٌ يسير، ويأتي اللَّهُ بالفتحِ من عندِه انتقامًا لرسوله ﷺ»[3].

---

(١) «تفسير ابن كثير».

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» للشيخ السعدي.

(٣) «الصارم المسلول» لابن تيمية (ص١١٦ ـ ١١٧).

* **أعداء رسول اللَّه ﷺ شياطينُ مجرمون:**

* قال تعالىٰ - ومَن أصدقُ من اللَّه قِيلاً -: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ**﴾ [الأنعام: ١١٢ - ١١٣]، والشيطنةُ هي التمرُّد والغِواية والتمحُّص للشر، تلحقُ الإنسَ كما تلحقُ الجنَّ، وكما أن الذي يتمرَّد من الجنِّ ويتمحَّضُ للشرِّ والغواية يُسمَّىٰ «شيطانًا»؛ فكذلك الذي يتمرَّد من الإنس ويتمحَّضُ للشر والغواية.

❑ قال ابن كثير: «يقول تعالىٰ: وكما جَعَلْنا لك يا محمدُ أعداءَ يخالفونَك ويُعادونك ويُعاندونك جَعَلْنا لكلِّ نبيٍّ من قَبْلك أيضًا أعداءَ، فلا يَحزُنْك ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا**﴾ [الأنعام: ٣٤].. وقال وَرَقةُ بن نوفل لرسول اللَّه ﷺ: «إنه لم يأتِ أحدٌ بِمثلِ ما جئتَ به إلاَّ عُودِي..».. وقوله: ﴿**شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ**﴾، أي: لهم أعداءُ من شياطين الإنس والجن، و«الشيطانُ» كُلُّ من خَرَج عن نظيره بالشرِّ، ولا يعادِي الرسلَ إلاَّ الشياطينُ مِن هؤلاء وهؤلاء - قَبَّحهم اللَّه ولعنهم -.

* وقال تعالىٰ: ﴿**يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**﴾، أي: يُلقي بعضُهم إلىٰ بعضٍ القولَ المُزَيَّنَ المزخرف، وهو المُزَوَّقُ الذي يَغْتَرُّ سامعُه من الجَهَلة بأمره.

﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ**﴾، أي: وذلك كلُّه بقَدَر اللَّه وقضائه وإرادته

ومشيئته أن يكونَ لكلِّ نبيٍّ عدوٌّ من هؤلاء.. ﴿فَذَرْهُمْ﴾، أي: فدَعْهم.. ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾، أي: يكذبون.. أي: دَعْ أذاهم، وتوكَّلْ على اللَّه في عداوتِهم، فإنَّ اللَّهَ كافيك وناصرُك عليهم.

* وقال تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ﴾، أي: ولتميلَ إليه.. قاله ابن عباس: ﴿أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾، أي: قلوبُهم وعقولُهم وأسماعُهم.. وقال السُّدِّيُّ: قلوبُ الكافرين. ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾، أي: يحبوه ويريدوه، وإنما يستجيبُ لذلك مَن لا يؤمنُ بالآخرة.

وقوله: ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾، قال عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: وليكتسبوا ما هم مكتسبون»[1].

◘ وقال ابن القيم: «ذكر سبحانه أنهم يستعينون على مخالفة أمرِ الأنبياء بما يُزخرفُه بعضُهم لبعضٍ من القول، فيغترُّ به الأغمارُ وضُعفاءُ العقول، فذكر السببَ الفاعلَ والقابلَ، ثم ذَكر سبحانه انفعالَ هذه النفوسِ الجاهلةِ به، بصَغْوِها ومَيلِها إليه، ورضاها به لِمَا كُسِي من الزخرفِ الذي يَغُرُّ السامعَ، فلما أصْغَتْ إليه ورَضِيَتْه اقترفت ما تدعو إليه من الباطل قوْلاً وعملاً، فتأمل هذه الآياتِ وما تحتها من هذا المعنى العظيمِ القَدْرِ، الذي فيه بيانُ أصولِ الباطل، والتنبيهُ على مواقعِ الحذرِ منها، وعدمِ الاغترار بها، وإذا تأمَّلت مقالاتِ أهلِ الباطل، رأيتَهم قد كَسَوها من العبارات وتخيَّروا لها من الألفاظ الرائقة، ما يُسرِعُ إلى قبوله كلُّ مَن ليس له بصيرةٌ نافذة.. وأكثرُ الخلق كذلك، حتى إنَّ الفجار ليُسمُّون أعظمَ أنواعِ الفجورِ بأسماءَ لا

(١) «تفسير ابن كثير».

ينبو عنها السمعُ»[١] .

□ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «سَمَّاه «زخرفًا»، وهو باطل؛ لأن صاحبَه يُزخرفُه ويُزيِّنُه ما استطاع، ويُلقيه إلىٰ سَمْعِ المغرور، فيغترُّ به»[٢] .

□ وقال ـ رحمهم اللَّه ـ: «قد أخبر سبحانه بمقصودهم من الإيحاء المذكور، وهو أربعةُ أمور:

غرورُ مَن يوحون إليه، وإصغاءُ أفئدتهم إليه، ومحبَّتُهم لذلك، وانفعالُهم عنده بالاقتراف، وإن كان ذلك تعليلاً لجعله سبحانه لكلِّ نبيٍّ عدوًّا، فيكون هذا الحُكم من جُملة الغايات، والحِكَم المطلوبة بهذا الجعل، وهي غايةٌ وحكمةٌ مقصودة لغيرها؛ لأنها مُفضيةٌ إلىٰ أمور هي محبوبة مطلوبةٌ للرب سبحانه، وفواتُها يستلزمُ فواتَ ما هو أحبُّ إليه من حُصولها، فاللام لامُ التعليل والحكمة»[٣] .

□ وقال: «الزُّخْرُف: هو الكلامُ المُزَيَّن، كما يزيَّنُ الشيءُ بالزخرف ـ وهو الذهب ـ، وهو الغرور؛ لأنه يَغُرُّ المستمعَ، والشبهاتُ العارضةُ للوحي هي كلامُ زخرفٍ، يَغُرُّ المستمع، فانظر إلىٰ إصغاءِ المستجيبين لهؤلاء ورضاهم بذلك واقترافِهم المترتِّب عليه، فتأمَّلْ»[٤] .

□ وما أكثَرَ شياطينَ الإنس.. الذين يَصُدُّون عن دعوة الرسول ﷺ!! يَصدُقُ فيهم قولُ القائل:

وإذا رأى إبليسُ طَلْعَةَ وجهِه ... حَيَّا وقال: فَدَيْتُ مَن لا يُفلِحُ

---

(١) «الصواعق المرسلة» لابن القيم (٢/ ٤٣٨).

(٢) «الداء والدواء» لابن قيم الجوزية (ص١٤٤).

(٣) «شفاء العليل» لابن القيم (١٩٣).

(٤) «الصواعق المرسلة» لابن القيم (٣/ ١٠٤١، ١٠٤٢).

□ أو قول القائل:

وكنت امرأً من جُندِ إبليس فارتقى ... بي الدَّهْرُ حتى صار إبليسُ من جندي

فلو مات قبلي كنت أُحسنُ بَعْـدهُ ... طرائقَ فِسْقٍ ليس يُحْسِنُها بعـدي

وهؤلاء الشياطينُ في قبضةِ اللَّه عز وجل، لا يفعلون شيئًا من هذا كلِّه، ولا يَقدرون علىٰ شيءٍ من عداوةِ الأنبياء بقُدرةٍ ذاتيَّةٍ فيهم.. لا يَقدِرون علىٰ شيءٍ من ذلك إلاَّ بالقَدْرِ الذي يشاؤه اللَّه، فإرادتُهم مقيَّدة بمشيِّئة اللَّه، وقدرتُهم محدودةٌ بقَدَر اللَّه، ومَردُّ الأمرِ كلِّه إلىٰ اللَّه، فانظر إلىٰ هوانِ الشياطين من الإنس والجن، وهوانِ كيدِهم وأذاهم، هذا الكيدُ علىٰ ضخامته وتجمُّعِ قوىٰ الشرِّ العالمية كلِّها عليه هو مقيَّدٌ مغلول، والمؤمنُ الذي يعلمُ أن ربَّه هو الذي يُقَدِّر، وهو الذي يأذَن، خليقٌ أن يستهينَ بأعدائه من الشياطين؛ مهما تبلغ قوَّتهم الظاهرة وسلطانُهم المُدَّعىٰ.

﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾، فاللَّه من ورائهم، قادر علىٰ أخذهم، مُدَّخَرٌ لهم جزاؤهم.

* وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

□ قال ابن كثير: «وكفىٰ بربك هاديًا ونصيرًا: أي لمن اتبع رسولَه وآمَنَ بكتابه وصَدَّقه واتَّبَعه، فإن اللَّه هاديه وناصرُه في الدنيا والآخرة، وإنما قال: ﴿هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾؛ لأن المشركين كانوا يصدُّون الناسَ عن اتِّباع القرآن لئلاَّ يهتديَ أحدٌ به ولِتغلبَ طريقتُهم طريقةَ القرآن».

ويكفي أن القرآنَ نَعَتهم بهذا النعتِ القبيح «المجرمين» وهم فاسدون

مفسدون لا يعيشون إلاَّ على الإفساد، كالخنافس تختنقُ برائحةِ الأزهار العَبِقة، ولا تحيا إلاَّ على الرَّوَث، ولا تستطيعُ الحياةَ إلاَّ في المقاذر، وبعضُ الديدانِ يموتُ في الماءِ الطاهرِ الجاري، ولا يستطيعُ الحياةَ إلاَّ في المستنقع الآسن، وكذلك المجرمون.

ومَن كان اللَّهُ هاديَه وناصرَه فمَنْ عليه؟! لا يَضيرُه تكالبُ كلِّ المجرمين والشياطين، فمكر أولئك هو يبور.. مَن وَجَد اللَّهَ فماذا فقد؟!.

* **وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [التوبة: ٦١]:

❑ قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ: «يقول تعالى: «ومِن المنافقين قومٌ يؤذُون رسولَ اللَّه ﷺ بالكلام فيه، ويقولون: «هو أُذُن»، أي: مَن قال له شيئًا صَدَّقه فينا، ومَن حدَّثه صَدَّقه، فإذا جئناه وحلَفنا له صدَّقنا.

رُوي معناه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.. قال اللَّه تعالى: **﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾**، أي: هو أُذُنُ خيرٍ يَعرِفُ الصادقَ من الكاذب، **﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**، أي: ويُصدِّق المؤمنين، **﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾**، أي: وهو حجَّة على الكافرين؛ ولهذا قال: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**»[1].

* **من يُحادّ اللَّهَ ورسولَه له الخزيُ العظيم:**

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا

(١) «تفسير ابن كثير».

فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٦٣]:

□ قال ابن كثير: «أي: ألم يتحققُوا ويَعْلموا أنه مَن حادَّ اللَّهَ عزَّ وجل ـ أي شاقَّه وحاربَه وخالفه، وكان في حدٍّ واللَّه ورسوله في حدٍّ ـ ﴿ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ﴾، أيْ: مهانًا مُعَذَّبًا!! و﴿ ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾، أي: وهذا هو الذلُّ العظيمُ والشقاءُ الكبير»[1] .

□ وقال ابن القيم: «جَعَلَهم بهذا محادِّين، ومعلومٌ قطعًا أنَّ مَن أظهر مَسَبَّةَ اللَّهِ ورسوله، والطعنَ في دينه أعظمُ محادةً له ولرسوله، وإذا ثبت أنه محادٌّ فقد قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ ﴾ [المجادلة: ٢٠]، و«الأذلُّ» أبلغُ من «الذليل»، ولا يكونُ أذلَّ حتىٰ يخافَ علىٰ نفسه ومالِه؛ لأن مَن كان دمُه ومالُه معصومًا لا يُستباحُ فليس بأذلَّ؛ يدلُّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٢]، فبيَّن سبحانه أنهم أينما ثُقِفوا فعليهم الذِّلَّةُ إلاَّ مع العهد، فعُلِم أنَّ مَن له عهدٌ وحَبلٌ يأمنُ به علىٰ نفسه وماله لا ذِلَّةَ عليه، وإنْ كانت عليه المسكنةُ؛ فإنَّ المسكنة قد تكون مع عدم الذلَّة، كما دلَّت عليه الآية، وهذا ظاهرٌ، فإن الأذلَّ ليس له قوةٌ يَمتنعُ بها ممَّن أراده بسُوء، فإذا كان من المسلمين عَهدٌ يجبُ عليهم به نَصرُه ومَنعُه فليس بأذَلَّ، فثَبَت أن المحادَّ للَّه ورسوله لا يكونُ له عهدٌ يعصمه»[1] .

* ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ :

* قال تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ

(١) «تفسير ابن كثير». (٢) «أحكام أهل الذمة» لابن القيم (٢/ ٨٢٥ـ٨٢٦).

وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

● عن عبداللَّه بن عمر ﷺ قال: «قال رجلٌ في غزوة «تبوك» في مجلس يومًا: ما رأيتُ مثلَ قُرَّائنا هؤلاء لا أرغبَ بطونًا ولا أكذبَ ألسنةً ولا أجبنَ عند اللقاء، فقال رجلٌ في المجلس: كذبتَ، ولكنك مُنافق، لأُخبِرَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ، فبلَغ ذلك النبيَّ ﷺ ونزل القرآن، قال عبدُاللَّه، فأنا رأيتُه متعلِّقًا بحَقَب⁽¹⁾ ناقةِ رسول اللَّه تَنكُبُهُ الحجارةُ وهو يقول: يا رسول اللَّه، إنما كنا نخوضُ ونلعب، ورسول اللَّه ﷺ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾»⁽²⁾.

مقالةٌ فاجرةٌ كافرةٌ خاطئةٌ منحرفةٌ ضالةٌ يَكفُرُ صاحبُها.

* الذين يؤذون رسول اللَّه ملعونون في الدنيا والآخرة:

* قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

في ظل التمجيد الإلهي لنبيِّه وصلاتِه عليه هو وملائكته ومَن في الأرض، يبدو إيذاءُ الناسِ للَّه وللنبي ﷺ بشعًا شنيعًا ملعونًا قبيحًا.

---

(١) الحَقَب: الحزام الذي يكون في مؤخِّرة الحيوان.

(٢) صحيح: أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ٦٣)، ورجاله رجال الصحيح إلا هشام ابن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما في «الميزان»، وأخرجه الطبري من طريقه (١٠/ ١٧٢) وله شاهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم (٤/ ٦٤) من حديث كعب ابن مالك.

ويَزيدُه بشاعةً وشناعةً أنه إيذاءٌ من عبيده ومخاليقه، وهم لا يبلغُون أن يؤذوا اللَّه، إنما هذا التعبيرُ يُصوِّرُ الحساسيةَ بإيذاءِ رسوله، وكأنما هو إيذاءٌ لذاته جل وعلا، فما أفظعَ! وما أبشعَ! وما أشنع!.

قال ابن القيم: «وليس أذاه سبحانه من جِنسِ الأذىٰ الحاصل للمخلوقين، كما أن سُخطَه وغَضبَه وكراهتَه ليست من جنس ما للمخلوقين»[1].

﴿لَعَنَهُمُ﴾: «واللعن هو الطردُ من رحمةِ اللَّه سبحانه، والعربُ يقولون: «لَعنتُ الكلبَ»، أي: طردته. وكذلك: «لعنتُ الذئب»، ويُقال للذئب: «اللَّعين».

والذين يؤذون رسول اللَّه ﷺ ملعونون في الدنيا والآخرة، أي: مطرودون من رحمة اللَّه فيهما، أمَّا الطردُ من رحمة اللَّه في الدنيا، فإنه طردٌ من دائرة الإيمان الذي هو قرارٌ وأمنٌ في القلوب، وراحةٌ من عذابِ الشكِّ واليأس والحَيرة، والطردُ في الدنيا حرمانُ النفس من المعرفة الذكيةِ في القلوب، وهي معرفةُ اللَّه، ومعرفةُ النفس مَبْدَءً ومعاداً، ثم إنهم في الآخرة لا يُعاقَبون بالطرد من الرحمة فحسب، وإنما يَجدون عذاباً يُهينهم ويَستذلُّهم، قد أعدَّه اللَّهُ بجلالِه لهم، غضباً عليهم، واستنكاراً لموقفهم، ونَلحظُ هنا أنهم في الدنيا يُعاقَبون عقوبةً سلبيةً، وهي الطردُ من الرحمةِ فحسب، وفي الآخرة يُعاقَبون عقوبتَيْن، عقوبةً سلبية، وهي الطردُ من الرحمة، وهذه عقوبةٌ قاسيةٌ حين ينظرون إلىٰ الذين فُتحتِ لهم أبوابُ الرحمة وهَنِئوا برضوانه سبحانه، ثم هناك عقوبةٌ أُخرىٰ، وهي العذابُ

---

(١) «الصواعق المرسلة» لابن القيم (٤/ ١٤٥٠ـ١٤٥١).

المُذِلُّ الذي أعدَّه اللَّهُ لهم»[1] .

*** الجـزاء من جنس العمـل: جَحَدوا رحمة اللّه للعالمين، وآذوه ﷺ، فطردهم اللّه من رحمته:**

* قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

أرسله اللَّهُ رحمةً للعالمين، مَن آمن به، ومَن لم يؤمنْ به، والبشريةُ كلُّها قد تأثَّرت بالمنهج الذي جاء به ـ سابقًا لها ـ طائعةً أو كارهةً، شاعرةً أو غيرَ شاعرة؛ وما تزالُ ظِلالُ هذه الرحمةِ وارفةً، لمن يريدُ أن يستظلَّ بها، ويستروحَ فيها نسائمَ السماء الرخيَّة، في هجير الأرض المُحرِق.. إن البشرية اليومَ لفي أشدِّ الحاجة إلى حسِّ هذه الرحمةِ ونداها، وهي قلقةٌ حائرة، شاردةٌ في متاهات المادية، وجحيمِ الحروب، وجفافِ الأرواحِ والقلوبِ.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ**»[1] .

أيةُ نَفسٍ حانيةٍ نفسُ رسول اللَّه ﷺ!، كانت الرحمةُ مُهجتَه.. تنتشرُ الرحمةُ لديه ﷺ حتى يُغطِّي دِفؤها كلَّ مقرورٍ، وحتى تشملَ الأحياءَ جميعًا من إنسانٍ وحيوان.. ويدورُ قلبُه الكبيرُ مع دواعي الرحمة حيث تدور، والرحمةُ عنده ليست نافلةً من نوافل البِر، بل واجبًا من واجبات الرشد،

---

(١) «من أسرار التعبير القرآني» دراسة تحليلية لسورة الأحزاب (ص٣٩٠ ـ ٣٩١) للدكتور محمد محمد أبو موسى ـ مكتبة وهبة ـ مصر.

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن سعد، والحكيم عن أبي صالح مرسلاً، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٤٩٠)، و«صحيح الجامع» برقم (٢٣٤١)، وكذا أخرجه الدارمي، والبيهقي في «شعب الإيمان».

وتَبِعةً من تَبِعات الحياة. . فالكلمةُ الطيبةُ رحمة، والنظرةُ العاطفةُ رحمة، والصَّفحُ الجميلُ رحمة، وعيادةُ المريض رحمة، بل وتشميتُ العاطسِ رحمة. . وسنفرد لرحمته الحانية فصلاً خاصًّا في كتابنا المقبل. . ونكتفي هنا بأروعِ نماذجِ الرحمة تُجاهَ حِفْنةٍ من النمل:

● عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**قَرَصتْ نملةٌ نبيًّا من الأنبياء، فأَمَرَ بقريةِ النَّمل فأُحرقتْ، فأوحى اللَّهُ تعالى إليه: أنْ قَرَصَتْكَ نملةٌ أَحْرَقت أُمَّةً من الأمم تُسبِّح؟!**»[1].

انظروا كيف تتألَّقُ إنسانيةُ محمدٍ ﷺ ورحمتُه، وكيف تسمو وتُشرق!! انظروا، إن الذي يؤاخذُه اللَّه في هذه القصَّة ويعاتبُه على تخلِّيه عن الرحمة تُجاهَ حفنةٍ من النمل، ليس فردًا عاديًّا. . بل هو نبيٌّ من الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه عليهم.

إن الصورة على بساطتها تتضمَّنُ أروعَ نماذجِ الرحمةِ على الإطلاق، وتكشفُ عن رحمةِ محمدٍ ﷺ العَذْبة. . كما لا يُكشف شيءٌ مثلها.

حفنةٌ من النمل، لا يدرك الناسُ لها - ولا لآلافٍ مثلِها قَدْرًا - أيَّ قَدْرَ، ترتفعُ في عين «محمد» ﷺ إلى الحدِّ الذي يُتصوَّرُ لها عنده قداسةٌ وحُرمة!.

وتُقَدَّس حقوقُها إلى الحدِّ الذي يواخَذُ عنده نبيٌّ من الأنبياء؛ لأنه اعتدى عليها. .!! بل إنه حينَ يأمرُ بقتلِ حشرةٍ سامَّةٍ تفترسُ الناس بلَدْغِها. . يجعلُ المَهارةَ في قتلِها مرادفةً للرحمة بها. . انظروا:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنْ قَتَل وَزَغَةً في أَوَّلِ ضربَةٍ، كُتِب له مئةُ**

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

حَسَنَة، ومَن قَتَلها في الضَّرْبَة الثَّانية، فلهُ كذا وكذا حسنَة، وإنْ قتلها في الضَّرْبة الثالثة، فله كذا وكذا حَسَنة»[١] .

إن الوَزَغة حشرةٌ سامةٌ كالأفعى، والخلاصُ من شرِّها ضروري. . ولكن حتى هنا لا يَنسَى «محمد» ﷺ فينشيءُ مِن مثوبةِ اللّه سبحانه جائزةً لمن يُجهزُ على تلك الحشراتِ القاتلة، دونَ أن يُسبِّب لها ألَمًا - أيَّ ألم -!! أجلْ، جائزةٌ لمن يُصيبُ الهدفَ دون أن يُبعثَ منه أنين. . !!. . ذلك أنَّ الرفقَ والرحمةَ عند محمد ﷺ هو جوهرُ الحياة وزينتُها.

● قال ﷺ: **«ما كان الرِّفْقُ في شيءٍ إلاَّ زانَه، ولا نُزع من شيءٍ إلاَّ شانه»**[٢] .

هذه وَمْضةٌ من وَمَضاتِ رحمةِ محمدٍ رسول اللّه ﷺ . . رحمتُه بالناس. . ورحمتُه بالأحياء جميعًا. . رحمةُ الرحمةِ المهداة الذي أرسله اللّه رحمةً للعالمين.

● قال ﷺ: **«الراحمون يرحَمُهم الرحمنُ تبارك وتعالى.. ارحَموا مَنْ في الأرضِ يرحَمْكم مَن في السماء»**[٣] .

● وقال ﷺ: **«بينما كلبٌ يُطيف بركِيَّة**[٤] **كادَ يقتله العطشُ، إذْ رأته**

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد، ومسلم عن عائشة.

(٣) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم، وزاد أحمد والترمذي والحاكم: **«والرَّحم شُجْنةٌ من الرحمن، فمَنْ وصَلَها وصلَهُ اللّه، ومَن قطعها قطعه اللّه..»** وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٢٥)، و«صحيح الجامع» (٣٥٢٢).

(٤) الركِيّة: البئر.

بَغِيٌّ من بغايا بني إسرائيل فنَزَعت مُوقها[١]، فاستقتْ لهُ به، فغُفر لها»[٢].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «دخلت امرأةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ رَبَطتها؛ فلمْ تُطعِمها، ولم تَدَعْها تأكلُ مِنْ خَشاشِ الأرض؛ حتى ماتت»[٣].

فمن وَسِعت رحمتُه الأحياءَ وجَحده أبعدُ الناس عن الرحمة، حُقَّ لهم أن يُطردوا مِن رحمةِ اللَّه في الدنيا والآخرة جزاءً وفاقًا.

* ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾:

* قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

❑ قال ابن جرير الطبري: «إن مُبغِضَك ـ يا محمد ـ وعدوَّك هو الأبتر.. يعني بالأبتر: الأقلَّ الأذلَّ المنقطعَ دابرُه الذي لا عَقِبَ له».

❑ عن ابن عباس ﷺ قال: «قَدِم كعبُ بنُ الأشرف مكةَ، فقالت له قريشٌ: أنت سيِّدُهم، ألا ترىٰ هذا الصنبور المُنبترَ من قومه يزعمُ أنه خيرٌ منَّا، ونحن أهلُ الحَجيج وأهلُ السِّدانة وأهلُ السِّقاية!! فقال: أنتم خيرٌ منه.. قال: فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾»[٤].

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾: يَردُّ اللَّهُ الكيدَ علىٰ كائديه، ويؤكِّدُ اللَّهُ سبحانه أن الأبترَ ليس هو محمداً ﷺ، إنما هم شانؤوه وكارهوه.

ولقد صَدَق فيهم وعيدُ اللَّه، فقد انقطع ذِكرُهم وانطوىٰ، بينما امتد

---

(١) المُوق: الخُفُّ.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وابن ماجه عن أبي هريرة، والبخاري عن ابن عمر.

(٤) **إسناده صحيح**: رواه البزار، وأخرجه ابن جرير (٣/ ٣٣٠) وقال ابن كثير: إسناده صحيح.

ذِكرُ محمد وعلا، ونحن نشهدُ اليومَ مِصداقَ هذا القولِ الكريم، في صورةٍ باهرة، واسعةِ المدىٰ كما لم يَشهَدْه سامِعوه الأوَّلون.

إنَّ الإيمانَ والحقَّ والخيرَ الذي جاء به محمدٌ ﷺ من عند ربِّه لا يمكن أن يكونَ أبتر، فهو ممتدُّ الفروع عميقُ الجذور، وإنما الكفرُ والباطلُ والشرُّ هو الأبتر مهما ترعرع وزَهَا وتَجبَّر.

إنَّ مقاييسَ اللَّهِ غيرُ مقاييس البشر، ولكنَّ البشرَ ينخدعون ويغترُّون فيَحْسَبون مقاييَسهم هي التي تقرِّرُ حقائقَ الأمور! وأمامَنا هذا المَثَلُ الناطق الخالد.

فأين الذين كانوا يقولون عن محمدٍ ﷺ قولتهم اللئيمة، وينالون بها من قلوبِ الرَّعاع أتباعِ كلِّ ناعق، ويَحسبون أنهم قد قضَوا علىٰ محمد ﷺ وقطعوا عليه الطريق، أين هم؟ وأين ذِكراهم؟ وأين آثارُهم؟ إلىٰ جوارِ الكوثر من كلِّ شيء، ذلك الذي أوتيه مَن كانوا يقولون عنه: الأبتر؟!.

إنَّ الدعوةَ إلىٰ اللَّه والحقِّ والخيرِ لا يمكنُ أن تكونَ بتراءَ، ولا يمكن أن يكونَ صاحبُها أبتر، وكيف وهي موصولةٌ باللَّه الحيِّ الباقي الأزَليِّ الخالد؟ إنما يُبترُ الكفرُ والباطلُ والشرُّ ويُبَترُ أهلُه، مهما بدا في لحظةٍ من اللحظات أنه طويلُ الأجل ممتدُّ الجذور.

وصدق اللَّه العظيم.. وكَذَب الكائدون الماكرون.

*** لطيفة وإعجاز:**

سبحانَ مَلِكِ الملوك!! سبحان مَن كلامُه القرآنُ ـ وكلامُ المُلوك ملوكُ الكلام ـ!.

انظر إلىٰ بعضِ أسرار البيان وإعجازِ القرآن في سورة «الكوثر»، كلُّها تدورُ علىٰ أن شانِئَ النبيِّ هو الأبترُ تصدِّق ذلك سِيرته:

◻ «إنَّ هذه السورةَ عَشْرُ كلماتٍ في الكتابة، إشارةً إلىٰ أن تمامَ بَتْرِ شانئه يكونُ مع تمامِ السَّنَةِ العاشرةِ من الهجرة، وكذا كان، لم تَمْضِ السَّنَةُ الحاديةَ عشْرةَ من الهجرة وفي جزيرةِ العرب إلاَّ مَن يَرىٰ أشرفَ أحواله بَذْلَ نفسِه ومالِه في حُبِّه، وإذا أضفْنا إليها الضميرين المسترَيْنِ كانت اثنَتْي عشْرة، وفي السَّنَة الثانيةَ عشْرةَ من النبوَّة بايعه ﷺ الأنصارُ علىٰ مُنابذةِ الكفار، وإذا أُضيف إلىٰ العشرةِ الضمائرِ البارزةِ الخمسةُ كانت خَمْسَ عشرة، فتكون إشارةً إلىٰ أنه ﷺ عند تمام السَّنةِ الخامسةَ عشْرةَ من نبوَّته يَبسُطُ يَدَه العاليةَ لبترِ أعدائِه، وكذا كان في وقعة «بدر» الرفيعة القَدْر، ففي ضمائرِ الاستتارِ كانت «البيعةُ» وهي مستترة، وفي الضمائرِ البارزة كانت «بدر» وهي مشتهرة، وإذا أضيف إلىٰ ذلك الضميرانِ المستترانِ كانت سَبْعَ عشرة، وفي السَّنة السابعةَ عشْرةَ، من نبوَّته كانت غزوةُ «بدر الموعد»، وفَّىٰ فيها النبي ﷺ بالوعد في الإتيان إلىٰ بدرٍ للقاءِ قريش للقتال ومقارعةِ الأبطال، فآذَنَهم اللَّهُ فلم يأتوا، وإنما اعتُبر ما بعد الهجرة من أحوال النبوة عندما عُدَّت الكلمات الخطيَّة العشر لكونها أقوىٰ أحوالِ النبوة - كما أن الكلماتِ الخطيةَ أقوىٰ من الضمائر وإنِ اشترك الكلُّ في اسم الكلمات -، فلذلك أُخذ تمام البتر للشانئ، وهو ما كان في السنة الحاديةَ عشْرةَ من هلاك أهلِ الرِّدة وثباتِ العرب في صفة الإسلام. . ولما ضُمَّت الضمائرُ البارزة الخمسة - التي هي أقربُ من المستترة إلىٰ الكلماتِ الخطية وأضعفُ من الكلمات الخطية - اعتُبر من أولِ السورةِ لمناسبةِ ما كان من ضعف الحال فيما

كان قبل الهجرة، فوازىٰ ذلك السنةَ الثانيةَ من الهجرة التي كانت فيها غزوةُ «بدرٍ الكبرىٰ»، وهي وإن كانت من العِظَمِ علىٰ أمر بالغٍ جداً، لكنها كانت علىٰ وجهٍ مخالف للقياس، فإنَّ حالَ الصحابة ﷺ كان فيها في غايةِ الضَّعف، ولكونها أولَ ما وقع فيه النصرُ من الغزوات لم تكن نفوسُ المخالفين مُذعِنةً؛ لأن ما بعدها يكون مِثْلَها، فإذا ضُمَّ إلىٰ ذلك الضميران المستتران ـ وهما أضعفُ من البارز ـ انطبق العددُ علىٰ سَنَةِ غزوةِ «بدر الموعد» في سنهِ أربع، وهي ـ وإن كانت قويةً لكونِ قريش ضَعُفوا عن اللقاء ـ لكنْ كان حالُها أضعفَ من «بدر» التي وقع فيها القتالُ وأستر، وكونُ كلماتِها الخطيةِ والاصطلاحيةِ التي هي أبعاضُ الكلماتِ الخطية سبْعَ عشْرةَ مؤذِنٌ بأن الأمرَ في ﴿فَصَلِّ﴾ مُصوَّبٌ بالذات وبالقصدِ الأول إلىٰ الصلواتِ الخمس التي هي سَبْعَ عشْرةَ ركعة، وأن مَن ثابر عليها كان مُصلِّيًا خارجًا من عُهدةِ الأمر، فإذا قُصِدَتْ في السَّفَرَ بما اقتضته صِفةُ التربية بالإحسان نَقَصت بقَدْرِ عِدَّةِ الضمائرِ سوىٰ الذي وفىٰ الأمر بها؛ لأن الأمرَ الناشئَ عن مَظهرِ العَظَمة لا يليقُ فيه التخفيفُ بنفس كلمةِ الأمر، وإذا أضفنا إليها كلماتِ البسملة الأربعَ كان لها أسرارٌ كبرىٰ من جهةٍ أخرىٰ، وذلك أن الكلماتِ الخطيَّةَ تكونُ أربعَ عشْرةَ إشارةً إلىٰ أن ابتداءَ البَتْرِ للأضداد يكونُ بالقوَّة القريبة من الفِعلِ بالتهيىء له في السَّنةِ الرابعةَ عشْرةَ من النبوة، وذلك عامَ الهجرة، فإذا أضفنا إليها الضمائرَ البارزة التي هي أقربُ إلىٰ الكلمات الخطية ـ وهي خَمْسة ـ كانت تِسْعَ عشرة، وفي السنةِ التاسعةَ عشْرةَ من النبوة ـ وهي السادسة من الهجرة ـ كان الفتحُ المُبين علىٰ الشانِئين الذي أنزل اللّٰه فيه سورة «الفتح»، فإذا أضفنا إليها الضميرين المستترين كانت إحدىٰ وعشرين

وهي سَنَةُ ثمانٍ من الهجرة سَنَة الفتحِ الأكبر الذي عمَّ العِلمُ فيه بأن الشانئَ هو الأبتر، وإذا اعتَبَرْتَ حُروفَها المتلفَّظَ بها كانت أربعةً وأربعين حَرْفًا، فإذا ناظَرْتها بالسِّنين مِن أولِ حينِ النبوة كان آخِرُها سنةَ إحدىٰ وثلاثين من الهجرة، وهي سنةُ البتر الأعظم لشانئِه الأكبر الذي مَزَّق كتابه، وكان مالِكًا لبلاد اليمن، وهو قَدْرٌ كبيرٌ من بلاد العرب، وكذا لغيرهم مما قارَبَ بلاده، وكانت قريشٌ تجعلُه مِن عدادهم، وهو كسرىٰ ملك الفرس، ففيها كان انقراضُ مُلكِهم بقتلِ آخِرِ ملوكِهم «يزدَجِرْد»، كما أنك إذا اعتبرت كلماتِها الخطيةَ مع الضمائر البارزة التي هي كلماتٌ اصطلاحية - دون ما استُتر - فإنَّ وجوبَ استتارِه مَنَع من عَدِّهِ كانت تسْعَ عشْرَةَ كلمة، فإذا اعَتَبْرت بها ما بعد الهجرة وازَتْ وقتَ موتِ «قيصَر» طاغية الروم في سنةِ تِسْعَ عشْرَة من الهجرة أهلكه اللَّه، وقد تجهَّز إلىٰ قتال العرب بالإسكندرية بنفسه، وأمر ألاَّ يتخلَّف عنه أحدٌ من الروم فكَسَر اللَّه بموته شوكةَ الروم، واستأسدت العربُ عند ذلك، فكانت الأحرُفُ مشيرةً إلىٰ بتر الشانئ من الفرس، والكلماتُ مشيرةً إلىٰ بتر الشانئ من الروم، والفرس أولىٰ بإشارةِ الأحرف لأنهم ليسوا بذَوِي عِلم، والروم بالكلمات لأنهم أهلُ علم، والكلماتُ أقربُ إلىٰ العلم، وإذا اعتَبَرْت أحرفَ البسملة اللفظيةَ كانت ثمانيةَ عَشَر حرفًا، فإذا جعلتها سِنين من أول النبوة كان آخرُها سنةَ خمسٍ من الهجرة، وفيها كانت غزوةُ «الأحزاب»، قال النبيُّ ﷺ - بعد انصرافهم منها -: «**الآن نغزوهم، لا يغزونا**»، فهو أولُ أخذِ الشانئِ في الانبتار، وإذا اعتبرتَ الأحرفَ بحسبِ الرسم كانت تسعةَ عشَرَ آخرُها سنةَ ستٍّ، هي عُمرةُ الحديبية سنةَ الفتح السَّبَبي، وهو الصُّلحُ الذي نزلت فيه سورةُ «الفتح» وسماه اللَّه فتحًا، وقال

النبي ﷺ : «إنه أعظمُ الفتح»، فكان سببُ الفتح الأعظم بخُلطةِ الكفارِ لأهلِ الإسلام بالصُّلح، فأسرعوا إلىٰ الإسلام بالدخول فيه لِمَا رَأَوا من محاسنِ الدين وإعجازِ القرآن، فكانوا يومَ الفتح عَشَرةَ آلافٍ ـ بعد أن كانوا قبلَ ذلك بسنتين يومَ الحديبية ألفًا وأربَعمئة ـ، واللّه الموفق.

هذا يسيرٌ من أسرارِ هذه السورة، وقد عُلم منه من إعجازِها ما يشرحُ الخواطر ويُبهج النواظر؛ لأنه يفوقُ حُسنًا علىٰ الرياض النواضر، وعُلم أيضًا جنونُ الخبيثِ المَسخرةِ مُسيلِمةَ الكذاب ـ عليه اللعنةُ والتباب، وله سوءُ المنقلب والمآب ـ، حيث قال في معارضتها: «إنا أعطيناك الجماهر، فَصلِّ لربك وهاجر، إنا كفينـاك المُكابـر أو المُجاهر»؛ لأنه كلامٌ ـ مع أنه قصيرُ المدىٰ ـ، رَكيكُ اللُّحمة والسدىٰ، غريقُ الساحة والفنا في الهلك والفنا، ليس فيه غَنىٰ، بل كلُّه نَصَبٌ وعنا، هَلْهَل النسـج، رثُّ القوىٰ، مُنفصمُ العُـرىٰ، مخلخَـلُ الأرجـا، فاسـدُ المعنـىٰ والبنا، سافلُ الألفـاظ، مر الجنا»[1] اهـ. فسبحان من علا كلامه علىٰ كل كلام.

*** معجزة متجدِّدة:**

❑ مهما غاصَ العلماءُ في بحارِ النورِ الزواخر، واستخرَجوا منها روائعَ اللآلئِ وبدائعَ الجواهر، ونثروها أو نَظَموها عقودًا في جِيد الزمان، أو جَعلوها تِيجانًا في مَفرِقَ الأيام للإحاطة بقَدْرِ هذه المعجزة المتجدِّدة لنبيِّنا، فلن يبلغوا من ذلك المنتهىٰ: «إن هذه الأرض، بأركانها الأربعة، وقارَّاتها الخمس، ومليارات‌ِها السِّتة، وفي دَوْرات أيَّامها السَّبعة، لَتَشْهَدُ بأن

(١) «نظم الدرر» للبقاعي (٢٢/ ٢٩٤ـ٢٩٨).

اسم النبي محمد ﷺ يتردَّدُ على مدارِ ساعاتِ اليوم، بل دقائقِ الساعة، بل ثواني الدقيقة، بل أجزاءِ أجزاءِ الثانية. . يتردَّدُ اسمُ محمد ﷺ كلَّ لحظةٍ تحتَ كلِّ سماء، فما مِن نَسَمةٍ مسلمةٍ في أرجاء العالم المملوءِ بالمسلمين، إلاَّ وهي تنطقُ اسمَ النبي ﷺ مقرونًا باسم اللَّه الأعلى، في كلِّ صلاةٍ مفروضة أو مسنونة، وتُردِّدُها في كلِّ أذانٍ وإقامةٍ، وفي الثناءِ والدعاء، والذِّكر والشكر. . فتبقى الأرضُ كلُّها تَلْهَجُ باسم النبي ﷺ، من كلِّ أصحابِ اللغات واللهجات، ومن كلِّ ذَوِي الجِنسيَّات والعِرْقيَّات، ومِن كلِّ الأعمارِ في كلِّ الأقطار، مَقرونًا باسم اللَّه، ليصدُقَ قولُ اللَّه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٣]. .

فهو الذي تمَّ معنـــاه وصورتُـــه ... ثم اصطفـــاه خليـــلاً بارئُ النَّسَمِ

*** أَعْلى وأغلى مَثَلٍ للحقِّ رسولُ اللَّه ﷺ باقٍ ما بَقِيَتْ دُنيا الرحمن:**

* قال اللَّه تعالى: ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ**﴾ [الرعد: ١٧].

مثلٌ للحقِّ والباطل يضربُه اللَّهُ: إن الماء لَينزلُ من السماء فتَسيلُ به الأودية، وهو يَلُمُّ في طريقه غثاءً، فيطفو على وجهه في صورةِ الزَّبَد حتى ليَحجُبَ الزَّبدُ الماءَ في بعض الأحيان. . هذا الزَّبد نافشٌ رابٍ منتفخ ـ ولكنه بَعدُ غثاءٌ ـ، والماء من تحته ساربٌ ساكنٌ هادئ. . ولكنه هو الماءُ الذي يحملُ الخير والحياة. . كذلك يقعُ في المعادن التي تُذابُ لتصاغَ منها حِليةٌ كالذهب

والفضَّة، أو آنيةٌ، أو آلةٌ نافعةٌ للحياة، فإنَّ الخَبَثَ يطفو وقد يَحجُبَ المعدنَ الأصيل، ولكنه بَعْدُ خَبَثٌ يَذهبُ ويبقىٰ المعدنُ في نقاء.

ذلك مَثَلُ الحقِّ والباطل في هذه الحياة، فالباطلُ يطفو ويعلُو ويَنتفخُ ويبدو رابيًا طافيًا، ولكنه بَعْدُ زبدٌ أوْ خَبَث، ما يَلبثُ أن يذهبَ جُفاءً مطروحًا لا حقيقةَ له ولا تماسُك فيه.. والحقُّ يظلُّ هادئًا ساكنًا، وربما يَحسَبُه بعضُهم قد انزوىٰ، أو غار، أو ضاع، أو مات، ولكنه هو الباقي في الأرض كالماءِ المحيي والمعدِن الصريح.

* وقال تعالىٰ: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ**﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٦].

إنَّ الكلمةَ الطيِّبة ـ كلمةَ الحق ـ كالشجرة الطيبة.. ثابتةٌ سامقةٌ مثمرة.. ثابتةٌ لا تزعزعُها الأعاصير، ولا تعصِفُ بها رياحُ الباطل، ولا تقوىٰ عليها مَعاولُ الطغيان، سامقةٌ متعالية، تُطِلُّ علىٰ الشرِّ والظُّلم والطغيان مِن عَلٍ وإنْ خُيِّل إلىٰ البعض أحيانًا أن الشرَّ يَزْحَمُها في الفضاء، مثمرةٌ لا ينقطعُ ثمرُها؛ لأن بُذورَها تَنبُتُ في النفوس المتكاثرة آنًا بعد آن.

وإنَّ الكلمةَ الخبيثةَ ـ كلمةَ الباطل ـ كالشجرة الخبيثة، قد تَهيجُ وتتعالىٰ وتتشابك، ويُخيَّلُ إلىٰ بعضِ الناس أنها أضخمُ من الشجرة الطيبة وأقوىٰ، ولكنها تظلُّ نافشةً هشَّةً، وتظلُّ جذورُها في التربة قريبةً حتىٰ لكأنها علىٰ وجهِ الأرض.. وما هي إلاَّ فترةٌ ثم تُجتَثُّ من فوقِ الأرض، فلا قرار لها

ولا بقاء.

والخيرُ الأصيل لا يموتُ ولا يَذوِي، مهما زَحَمه الشرُّ وأَخَذ عليه الطريق.. والشرُّ كذلك لا يعيشُ، بل يتهالكُ ويتهشَّم، مهما تضخَّم واستطال.

إنَّ الخيرَ بخير! وإنَّ الشرَّ بِشَر.

* ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾:

كلامُ الملوك ملوكُ الكلام، فقد تكفَّل اللَّهُ بنصرِ نبيِّه.. فقد نصَرَه اللَّه.. هكذا أتت بصيغة الماضي.. قبل هذا الوجود.. وقبل خَلقِ السماوات والأرض بخمسين ألفَ سَنَةٍ حين قدَّر اللَّهُ مقاديرَ الخلائق.. بل قبل ذلك.. فالقرآنُ من كلامِ اللَّه، وكلامُ اللَّه صفةٌ للَّه.. انتهت القصة والأيامُ كفيلةٌ بإبرازِ ذلك.. يَبقىٰ ذِكرُه، ويتولَّىٰ اللَّهُ نُصرتَه، ويذهبُ شانؤوه إلىٰ مزابلِ التاريخ.

﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾، يَكفيك من كلِّ ما أهمَّك، يَحفظُك في الأزمات، ويَرعاك في المُلمَّات، ويَحميك في المُدْلَهِمَّات.

﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾، فهو ناصرُك علىٰ كلِّ عدو، ومُظهِرُك علىٰ كلِّ خَصم، ومؤيِّدُك في كلِّ أمر، يُعطيك إذا سألت، ويغفرُ لك إذا استغفرت، ويَزيدُك إذا شكرت، ويَذكُرُك إذا ذَكرت، وينصرُك إذا حاربت، ويوفِّقك إذا حكمت.

﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾، يَمنحُك العزَّ بلا عشيرة، والغنَىٰ بلا مال، والحفظَ بلا حَرَس، فأنت المُظفَّر؛ لأنَّ اللَّه حَسْبُك! وأنت المُوفَّق لأنَّ اللَّه حَسْبُك،

فلا تَخَفْ من عينِ حاسد، ولا مِن كيدِ كائد، ولا مِن مَكْرِ ماكر، ولا مِن خُبثِ كافر، ولا من حِيلةِ فاجر؛ لأن اللَّهَ حسبُك.

﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾، مِن صولةِ الباطل، ودعايةِ الشِّرك، وجَلَبَةِ الخصوم، ووعيدِ اليهود، وخُبْثِ النصارىٰ وكفرِهم، وتَربُّص المنافقين، وشماتةِ الحاسدين.

﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾.. إذا أعرَضَ القريب، وشَمِت العدو.. إذا أتت المصائبُ، وتوالَت الخطوب، وحفَّتِ النكبات.

﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾.. إذا أبطأ النصرُ، وتأخرَّ الفتح، واشتدَّ الكرب، وادْلَهمَّ الخَطْب.. أنت مَحفوظٌ لأنك بعين اللَّه، وأنت محروسٌ لأنك خليلُه، وأنت في رعياته لأنك رسولُه، وأنت في حِمايته لأنك عبدُه المُجتبَىٰ، ونبيُّه المصطفىٰ ﷺ، ولأنك الجوهرةُ اليتميةُ التي ما جاد بِمثلها الزمان - مِن قَبَلك ولا من بعدِك - إلىٰ أن يَرِثَ اللَّهُ الأرضَ ومن عليها.

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما - ولِلَّه درُّه -: «واللَّهِ ما خلَق اللَّه وما ذَرَأ وما بَرَأ نَفْسًا أكرمَ عليه من محمدٍ ﷺ.. وما أقسَمَ اللَّهُ بحياةِ أحدٍ غيره».

* قال تعالىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]..

فهو الذي تَمَّ معناهُ وصـورتُهُ ... ثُم اصطفاه خليلاً بارئُ النَّسَمِ

* * *

عُذْرًا رسول اللَّه[1]

«في الذَّب عَنْ رسُول اللَّه ﷺ وردْع البقرِ الدَّنماركِيِّ الحلُوب»:

إلَىٰ قَيْءِ الحَضَارَةِ، بَلْ سَقْط السَّفَالَة، وأَدْعِيَاءِ التَّقَدُّمِ، ولُصُوصِ التَّمَدُّنِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ سَفِهُوا، وَأَوْحَلُوا، فَعَابُوا أَطْهَرَ الخَلْقِ، وأَشْرَفَ الرُّسُلِ، فَعَلَا وسَفِلُوا، وطَهُرَ ودَنِسُوا، وخَلُدَ وذَهَبُوا إِلَىٰ مَزَابِلِ التَّارِيخ.

إِلَيْهِمْ وإِلَىٰ أَذْنَابِهِمْ، أُولئِكَ الذين أَعْمَاهُمْ بَرِيقُ الغَرْبِ الخَادِعُ، فَرَاحُوا يَتَهَافَتُونَ عَلَيْه تَهافُتَ الفَرَاشِ عَلَىٰ النَّارِ، بَلْ رَاحُوا يَتدافَعْونَ عليْه تَدَافُعَ الحُمُرِ عَلَىٰ المُسْتَنْقَعِ الآسِنِ، إليهمْ ـ وليْتهُمْ يعقلُون ـ . .

حِمَمٌ تَثُـــورُ وأَنْفُسٌ تَتَفَطَّـــرُ ... وأَزِيــزُ أَفْئِــدَةَ تَـكَادُ تَبَخَّـــرُ

ومَدَامِعٌ بِدُمُوعِهَا ثَمِـــلَ[2] الثَّرَى ... وتَدَفَّـقَـتْ بِدِمَائِـهِـنَّ الأَبْحُــرُ

تَرْنُو إِلَيْكَ شَوَاخِصًا مَشْــدُوهَةً[3] ... قَرْحَى فمَا تَغْفُــو ولاَ هِيَ تُبْـصِـرُ

وجَوانِحٌ كَالـنَّارِ تَحْطِـمُ نَفْسَــهَا ... وتَـكَادُ مِنْ غَيْـظٍ بِهَـا تَتَنَاثَرُ

وجِبَـــالُ غَيْــمٍ تَسْتَحِيلُ مجامِرًا ... وتَكَادُ تَقْذِفُ بِالجِمَارِ وتهْمُــرُ[4]

واليَمُّ مَــوَّارُ الجَوَانِــحِ هَائِــجٌ ... يَنْهَى جُمُــوعَ العَالَمِــينَ ويُنْــذِرُ

يَسْتَأْذِنُ الجَبَّـــارَ يُغْـرِقُ جَمْـعَهُمْ ... فَلَطَالَمَا نَقَـضُوا العُهُودَ وأَخْفَـرُوا

وإِخَالُ هَــذِي الشَّمْسَ تَسأَلُ رَبَّهَا ... أَنْ تَحْرِقَ الكَوْنَ الأَثِيـمَ وتَصْهَرُ!

---

(١) قصيدة: «أين الأزهرُ؟!!» لشقيقي الشاعر عبداللَّه حسين عبداللَّه العفاني.

(٢) ثمل: سكِر.

(٣) مشدوهة: متحيِّرة. شَده: شُغِل وتحيَّر.

(٤) تهمُر: همر: صبَّ.

وتَخِرُّ تَحْتَ العَرْشِ تَرْجُو رحْمةً: إِنْ أَمْهَلَ البَاغِينَ أَلاَّ تُسْفِرُ
والأَرْضُ مِنْ حَنَق تَمُورُ زَلازِلاً وتَوَدُّ لَوْ تَئِدُ العُصَاةَ وتَقْبُرُ
حَتَّى النَّسِيمُ العَذْبُ يُعْلِنُ ثَــوْرَةً ويَثُورُ إِعْصَــارًا يُبِيدُ.. يُدَمِّرُ
ضَجَّ الوُجُودُ بِنَا وثَــارَ جَمَادُهُ أَنْ يُسْتَضَامَ بِهِ النَّبِيُّ الأَنْــوَرُ

* * *

أَعِصَابَةَ «البَقَرِ الحَلُوبِ» رُوَيْدَكُمْ فَسَوَائِمُ[1] الأَبْقَارِ مِنْكُمْ أَحْضَرُ[2]!
مَا كُنْتُ أَهْوَى أَنْ أَسُومَ قَطِيعَكُمْ بِنِصَالِ قَافِيَـةٍ تَفُلُّ[3] و«تَنْحَــرُ»
مَا كُنْتُ أَهْوَى لاَ لِرِفعَةِ قَدْرِكُمْ فَلأَنْتُــمُ أَدْنَى لَدَيَّ وأَحْقَــرُ
لكِنْ لأَسْمُوَ فَوْقَ وَهْدَةِ وَحلِكُمْ حَيْثُ الجَنَانُ ومِسْكُهُنَّ الأَذْفَرُ
لكِنَّكُمْ تَأْبَوْنَ غَيْــرَ قَصِــيدَةٍ تُبْدِي سُــعَارَ «جُنُونِكُمْ» وتُحذِّرُ
وكذلك الأَبْقَارُ يُعْضِلُها[4] الحِجا[5] ويَسُوسُهَا السَّوْطُ الرفيعُ ويزْجرُ!
فَلْتُفْسِحُوا لِي ضَيِّقَاتِ صُدُورِكُمْ أَجْلُوا غِشَــاوَةَ قَلْبِهَا وأُطَهِّــرُ

* * *

أَيْنَ الحَضَارَةُ يَا رَجِيعَ[6] حَضَـارَةٍ رَعْنَــاءَ مِنْ وَحْلِ البَذَاءَةِ تَسْكَرُ!

---

(١) سوائم: جمع سائمة: الإبل التي تُتْرَك ترعى حيث شاءت.
(٢) أحْضر: أكثر تحضُّرًا.
(٣) تَفُلُّ: فَلّ السيف: ثَلَمَه وكسر حدّه.
(٤) يُعضِلُها: أعْضَلَه الأمر: غَلَبه، والمقصود: أنها لا تعقل.
(٥) الحِجا: العَقْل.
(٦) رجيع: عَذْرة: غائط.

أَمِنَ الحَضَارَةِ أَنْ أَسُبَّ جَهَالَةً ... مَنْ لَسْتُ أَدْرِي سَمْتَهُ بَلْ أَسْبُرُ[1]

أَتَرَوْنَ خَيْرَ الخَلْقِ صَبًّا وَالِهًا ... فَمُنَاهُ مِنْ خَلْفِ النِّسَاءِ تَقَصُّرُ؟!

أَوَمَا خَبَرْتُمْ كَمْ تَزَوَّجَ ثَيِّبًا[2] ؟! ... والزَّهْرُ بَعْدَ قِطَافِهِ مَا يَسْحَرُ!

ما رَامَ أَبْكَارًا هُنَالِكَ خُرَّدًا[3] ... يَنْدَى لَهُنَّ الحُسْنُ بَلْ يَتَخَدَّرُ

بَلْ لِلأَرَامِلِ كَيْ يَصُونَ عَفَافَهَا ... فَتَقَرَّ حَاضِنَةٌ وَيَحْلُمُ قُصَّرُ

وَيَلُمُّ شَعْثَ قَبَائِلٍ حَوْلَ الهُدَى ... فَيَضُمُّ أَقْطَارًا[4] لها ويُصَاهِرُ

وَلِحِكْمَةٍ لَسْنَا نَرَاحُ[5] طُيُوبَهَ ... ولَئِنْ تَفَانَى فِي سَنَاهَا النَّاظِرُ

هُوَ إِنَّمَا بِالوَحْيِ عَاشَ حَيَاتَه ... بالوَحْيِ ما يُبْدِي ويُخْفِي الخَاطِرُ

مَا إِنْ يُجَاوِزُ أَمْرَهُ وسَبِيلَهُ ... لِلَّهِ إِذْ يَرْسُو وإِذْ هُوَ يُبْحِرُ

أَحُثَالَةَ الشُّذَّاذِ أَنْتُم مَن هَجَى ... مِنَّا الرَّسُولَ وراحَ فيه يُغَامِرُ؟!

أَتَرَوْنَ تَعْدَادَ الحَلائِلِ[6] سُبَّةً ... وجَرِيمَةً نَكْرَاءَ مَا إِنْ تُغْفَرُ؟!

فَقَطِيعُكُم أَبَدًا يُدَنْدِنُ حَوْلَهَا ... وَيَحُومُ حَوْلَ رَبِيعِهَا وَيُخَوِّرُ[7]

لَكِنَّ تَعْدَادَ الحَلائِلِ رِفْعَةٌ ... عَلْيَاءَ مَا يَرْقَى لها مُتَأَخِّرُ!!

---

(١) أسبر: سبر الشيء: خَبَرَه.

(٢) ثيِّبًا: الثيِّب: المرأة التي سبق لها الزواج.

(٣) خُرَّدًا: جمع خريدة: وهي البكر التي لم تُمَسّ قط، الحَيِيَّة، الطويلة السكوت من حياء لا من ذُلٍّ، الخافضة الصوت، الخفرة المُستترة.

(٤) أقطارًا: جوانبًا.

(٥) نراحُ: راح الشيء يريحه: وجد رائحته.

(٦) الحلائل: جمع الحليلة: الزوجة.

(٧) الخُوار: صوت الثور وما اشتد من صوت البقرة والعِجْل.

أمَّا مُضَاجَعَةُ الرِّجَالِ فَمُتْعَةٌ ... وحضارَةٌ تَسْبي القُلُوبَ وتَأسرُ!!
بَلْ إنَّ تَعْدَادَ المَحَارِمِ فيكُمُ ... شَرَفٌ ومَجْدُ حَضَارة تَتَفَاخَـرُ!!
فَلِمَجْدِكُمْ مَجْدُ «الحَمِير» بحيِّنَا ... تَلْهُو بقَـارعَــةِ الطَّـرِيقِ وتَفْجُرُ
وإذا الحَيَـاءُ تَجاهَلَتْكَ طُيُوبُـــه ... فعجائبُ الأقذارِ فيكَ تَكَـاثَرُ!!
ولَكُمْ يَسُودُ المُتْرَفين زَنيمُهُم[1] ... ويُطاولُ الأشرافَ قَزْمٌ عاهرُ!!
«أَبْقَار» أُوربَّا أَمَا برؤُوسكُمْ ... مثْقَالُ ذَرٍّ منْ نُهًى تَتَفَكَّرُ؟!
فَزَعَمْتُمُ المَعْصُومَ أَسَّسَ أُمَّةً ... ببَوَاترٍ تُحْني الرُّؤُوس وتقْهَرُ!!
أَوَمَا دريْتُم كَيْفَ رَدَّ جبالَهَا؟! ... فَعَسَى يَفي وَلَدٌ ويُسْلمُ كَافرُ
أَتَرَوْنَ لَوْ قَهَرَ الجُسُومَ بسَيْفه ... كَانَتْ تَهيمُ به القُلُوبُ وتَنْصُرُ
أَفَهَلْ دَرَيْتُمْ أُمَّةً بسيُوفهَا ... تَزْكُو وتَرْشُفُ منْ جناهَا الأَعْصُرُ؟!
فَلْتَسْأَلُوا عَنْهَا بُغَاةَ «رُعَاتكُمْ» ... هَلْ قَرَّ في أَرْضِ الفرات مَجَامرُ؟!
بَلْ كَيْفَ تَكْثُرُ والمَعَامعُ جَمَّةٌ ... وقَد ارْتَخَتْ يَدُهَا وفُلَّ البَاترُ؟!
أَمْ هَلْ خَبَرْتُمْ أُمَّةً بحرَابهَا ... لَمَّا تَزَلْ في كُلِّ صقْعٍ تُزْهرُ؟!
ولْتَنْظُرُوا لَمَّا يَزَلْ ببلاَدكُمْ ... يَنْمُو لَنَا الدَّوْحُ الوَريفُ ويُثْمرُ!
ولْتَسْأَلُوا عَنَّا «الهُنُودَ» وسلْمهمْ ... لمَلائك بهُدى الشَّريعَة تَاجَرُوا!!
لَمَّا تَزَلْ أُمَمُ العدَا إذْ أَسْلَمَتْ ... تَزْدَانُ ـ من نَسب إلَيه ـ وتَفْخَرُ
وإذَا الجَوَارِحُ[2] لَمْ تُرَوِّضْهَا النُّهى ... بَالَتْ مَدَامعُهَا وغَاطَ[3] المشْفَرُ!

(١) زنيمهم: الزنيم: ولد الزِّنَى الملصق بالقوم وليس منهم.
(٢) الجَوَارِحُ: أعضَاءُ الإنسانِ.
(٣) غاط: قضى حاجتهُ.

عُذْرًا رَسُولَ اللَّه دُونَ خِطَابِكُمْ تَعْنُوا فَلاسِفَةُ البَيَانِ وتَعْقُرُ[١]
مَا زِلْتُ دُونَ حَدِيثِكُمْ مُتَحَيِّرًا لَهْفَانَ أُقْدِمُ تَـــارةً وأُؤَخِّرُ!!!
مَا زِلْتُ خَلْفَ اللَّفْظِ أَلْهَثُ جاهدًا ومَشَاعِرِي بِمَشَاعِرِي تَتَعَثَّرُ!!
كَيْفَ الحَدِيثُ وذِي شَمَائِلُ ثَـرَّةٌ وعَبِيرُ جَنَّاتٍ يَفُوحُ وعَنْبَرُ؟!
ونَدًى لِطِيبِ رُضابِه ثَمِلَ النَّدَى واشْتَاقَ وَرْدٌ واسْتَهَامَ صُنُوبَرُ!
وإِخَالُ أشجارَ الوُجُودِ وقَدْ ذَوَتْ[٢] فَإِذَا ذُكِرْتَ خَيَالَها تَخْضَوْضَرُ
بَلْ سَبَّحَ الصَّخْرُ الجَمَادُ بِكَفِّكُمْ بَكَتِ الجِمالُ.. هَفَا إِلَيكَ المِنْبَرُ
مَاذَا أَقولُ أنا وتِلْكَ سِمَاتُكُمْ بَيْضَاءَ تَعْشَى من سَنَاها الأَسْطُرُ؟!
فَلْيَكْفِنِي شَـرَفًا أُنَافِـحُ[٣] عَنْكُمُ فَلَذَاكَ عِزُّ الدَّهْرِ بَلْ هُوَ أَكْبَرُ

* * *

أَيْ أُمَّةَ الإِسلامِ أَخْيَرَ أُمَّةٍ ثُورُوا لِعِرْضِ نَبِيِّكُمْ وَلْتَثْأَرُوا
ثُورُوا ولَكِنْ ثَوْرَةً فَوْقَ النُّهَى تُودِي فَما يُجْدِي الهُتَافُ الثَّائِرُ؟
فَلْتَطْرُدُوهُمْ واقْطَعُوا أَذْنَابَهُم قَطْعًا تَذِلُّ له الرُّؤُوسُ وتَصْغُرُ
بل قاطِعُوهم هم عَبِيدُ دَرَاهِمٍ وجِراحُ عَبْدِ المالِ ما تَتَخَثَّرُ[٤]
وأَرُوا العَوالِمَ مِن مَحَاسِنِ دِينِكُمْ ما لَيْسَ يُنْكِرُهُ الكَفُـورُ الأَكْفَرُ
وَلْتَقْتَفُوا أَثَرَ النَّبِيِّ فطَالَما سَكَنَ الشَّرِيدُ له وحَنَّ النَّافِرُ

---

(١) تعقرُ: تعقم: لا تلدُ.

(٢) ذَوَت: يبست.

(٣) أنافحُ: أدُافعُ.

(٤) تتخثَّرُ: تلتئم.

ما زالَ سُؤْالُ في الجَوَانحِ ثَارُ ... يَذْوِي به القَلْبُ الكَلِيمُ ويَزْفُرُ

أيثُورُ كَلْبُ[١] إذْ يُسَبُّ رَسُولُنا ... «والرُّكْنُ» مَنْزُوعُ اللِّسَانِ وخَائِرُ؟!

أَنَّى لَهُ ثَأْرُ المُحِبِّ وقَلْبُهُ ... يَعْمَى لآثارِ الرَّسُولِ ويَهْجُرُ

ما زلتُ أَسأَلُ والعيونُ سَوَاجِمُ[٢] ... دارَ المآذنِ: أينَ مِصْرُ.. الأزْهَرُ؟[٣]

***

✍ نبدأُ في ذِكرِ أعداءِ رسول اللَّه ﷺ وشانئيه عبرَ التاريخ. . وفي ذِكرِ مصيرِهم ومآلِهم أعظمُ العِبَر لمن كان له قلبٌ أو ألقىٰ السمع وهو شهيد. . نَرىٰ كيف ذهبوا إلىٰ مزابلِ التاريخ تُشيِّعُهم لَعَناتُ اللاعنين جزاءَ تبجُّحِهم وتطاوُلِهم علىٰ سيِّد السادات، أزكىٰ وأغلىٰ وأعلىٰ وأحلىٰ البشر رسولِ اللَّه ﷺ . . وإنْ نعلمُ لبعضهم خاتمةً تُذكر فيها العِبرة فموعدنا يومَ القيامة. . اللَّهُ الموعد. . وهو الذابُّ عن نبيِّه، ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٤٨ - ٤٩].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ [فرقان: ٢٧ - ٢٩].

---

(١) ذكر ابن حجر في «الدرر الكامنة» أن نصرانيًا سب رسول اللَّه ﷺ وأقذع في السَّب فقطع الكلب رباطه ووثب علىٰ عنق الصليبي وقلع زوره في الحال، فأسلم نحو أربعين ألفًا من المغول.

(٢) سواجم: سجمت العين الدمع: صبّته.

(٣) كُتبت السابعة مساء الأربعاء ٩ من المحرم ١٤٢٧هـ، ٨ من فبراير ٢٠٠٦م.

* وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ﴾ [الأحزاب: ٦٦].

*** أبو جهل ـ لعنه اللَّه ـ، فرعونُ هذه الأُمَّة وأكبرُ أعداءِ النبي ﷺ:**

عدوُّ اللَّه أبو جهل، أكبرُ مُجرمي قريشٍ، وأكبرُ أعداءِ النبي ﷺ، ناصبَه العِداءَ حتىٰ آخرِ رَمَقٍ من حياته، ملأ الأرضَ كُفرًا، وعاث في الأرض فسادًا، هو فرعونُ هذه الأُمَّة. . ومِن أكابرِ شياطينِ الإنس ـ لعنه اللَّه ـ.

مِن أجل الرئاسة وحسدًا للنبي ﷺ، جَحَد نبوَّة خليلِ الرحمن محمدٍ ﷺ، وهو العليمُ بصِدقِ رسولِ اللَّه ﷺ.

● عن المغيرةِ بنِ شُعبة رضي الله عنه قال: «إنَّ أولَ يومٍ عَرفتُ فيه رسولَ اللَّه ﷺ كنتُ أنا وأبو جهلِ بنُ هشام في بعضِ أزقَّةِ مكة، إذْ لَقِينَا رسولُ اللَّه ﷺ، فقال رسولُ اللَّه ﷺ لأبي جهل: «**يا أبا الحكم! هَلُمَّ إلى اللَّه وإلى رسوله، إني أدعوك إلى اللَّه**»، فقال أبو جهل: يا محمدُ، هل أنت مُنتهٍ عن سَبِّ آلهتنا؟ هل تريدُ إلاَّ أنْ تشهدَ أنْ قد بَلَّغْتَ؟ فواللَّهِ لو أني أعلمُ أنَّ ما تقولُ حقًّا ما تَبِعْتُك!. فانصرف رسولُ اللَّه ﷺ، وأقبل عَلَيَّ، فقال: واللَّهِ إني لأعلمُ ما يقول حقٌّ، ولكن بَنِي قُصَيٍّ قالوا: فينا الحِجابة، فقلنا: نعم، قالوا: فينا النَّدْوة، قلنا: نعم، قالوا: فينا اللواءُ، قلنا: نعم، قالوا: فينا السِّقاية، قلنا: نعم. ثم أطعَموا وأطعمنا، حتىٰ إذا تحاكَّتِ الرُّكَبُ قالوا: مِنَّا نَبِيٌّ! فلا واللَّهِ لا أفعل»[1].

---

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي، باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب اللَّه تعالىٰ من الإعجاز (٢/٢٠٧).

◘ قال المِسْورُ بنُ مَخْرمة ـ وهو ابنُ أختِ أبي جهل ـ لأبي جهل: «يا خالي، هل كنتم تتَّهِمون مُحَمَّدًا بالكذِب قبلَ أن يقولَ ما قال؟ فقال: يا ابنَ أختي، واللَّهِ لقد كان محمدٌ فينا وهو شابٌّ يُدعىٰ «الأمين»، فما جرَّبنا عليه كَذِبًا قطُّ. قال: يا خال، فما لكم لا تتَّبعونه؟! قال: يا ابن أختي، تنازَعْنا نحن وبنو هاشم الشرفَ، فأطعَموا وأطعَمْنا، وسَقَوا وسَقَيْنا، وأجارُوا وأَجَرْنا، حتىٰ إذا تجاثَيْنا علىٰ الرُّكَب ـ وكنَّا كفَرَسَيْ رهانٍ ـ قالوا: «مِنَّا نبيٌّ»، فمتىٰ نُدرِك مثلَ هذه؟».

◘ وقال الأخنسُ بنُ شَرَيق يومَ بدرٍ لأبي جهل: «يا أبا الحكم، أخبِرْني عن محمدٍ، أصادِقٌ هو أمْ كاذبٌ، فإنه ليس ها هنا من قريش أحدٌ غيري وغيرُك يسمعُ كلامنا؟ فقال أبو جهل: وَيحك! واللَّهِ إن محمَّدًا لصادق، وما كَذَب محمدٌ قط، ولكنْ إذا ذهبتْ بنو قُصَيٍّ باللواءِ والحِجابةِ والسِّقايةِ والنُّبوَّة، فماذا يكون لسائرِ قريش؟»[1].

◘ وروىٰ البيهقي بسنده عن ابنِ إسحاقَ: حَدَّثني الزُّهريُّ قال: حُدِّثتُ أنَّ أبا جهل وأبا سفيان والأخنسَ بنَ شَرَيق خرَجوا ليلةً ليسمعوا من رسول اللَّه ﷺ وهو يُصلِّي بالليل في بيته، فأخذ كلُّ رجلٍ منهم مجلسًا ليستمع منه، وكلٌّ لا يعلمُ بمكانِ صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتىٰ إذا أصبحوا وطَلَعَ الفجر تفرَّقوا، فجمعهم الطريقُ فتلاوَموا، وقال بعضُهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعضُ سفهائِكم لأوقعتم في نفسِه شيئًا. ثم انصرفوا.. حتىٰ إذا كانت الليلةُ الثانيةُ عاد كلُّ رجلٍ منهم إلىٰ مجلسِه،

---

(١) «هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ» لابن قيم الجوزية (ص٥٠ ـ ٥١) ـ دار الريَّان للتراث ـ القاهرة.

فباتوا يستمعون له، حتىٰ إذا طَلَع الفجر تفرَّقوا، فجَمَعهم الطريقُ، فقال بعضُهم لبعضٍ مثلَ ما قالوا أولَ مرة، ثم انصرفوا.. فلما كانت الليلةُ الثالثةُ أخذ كلُّ رجلٍ منهم مجلسَه، فباتوا يستمعون له، حتىٰ إذا طَلَع الفجرُ تفرَّقوا، فجَمَعهم الطريقُ، فقالوا: لا نَبْرَحُ حتىٰ نتعاهَدَ ألاَّ نعود، فتعاهدوا علىٰ ذلك، ثم تفرَّقوا. فلما أصبح الأخنسُ بنُ شَريق أخذ عصاه، ثم خرج حتىٰ أتىٰ أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني - يا أبا حنظلة - عن رأيك فيما سمعتَ من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة، واللَّهِ لقد سمعتُ أشياءَ أعرفُها وأعرفُ ما يُرادُ بها، فقال الأخنس: وأنا والذي حَلفتَ به، ثم خرج من عنده حتىٰ أتىٰ أبا جهل، فدخل عليه بيتَه، فقال: يا أبا الحكم، ما رأْيُك فيما سمعتَ من محمدٍ؟ فقال: ماذا سمعتُ؟! تنازَعْنا نحن وبنو عبد منافٍ الشرفَ، أطعموا فأطعمنا، وحَمَلوا فحَمَلْنا، وأعطَوْا فأعطيْنا، حتىٰ إذا تجاثَيْنا علىٰ الرُّكَب - وكُنَّا كفرسَيْ رِهان - قالوا: مِنَّا نبيٌّ يأتيه الوحيُ من السماء.. متىٰ نُدرِكُ هذه؟ واللَّهِ لا نسمعُ به أبداً ولا نصدِّقه.. فقام عنه الأخنس بن شَريق»[1].

فيا له من قزمٍ أحمقَ، مَكَّن الهوىٰ والعنادَ من قلبه، والجحودَ والكفرَ والحسدَ والبَغْيَ مِن صَدره، والمخالفةَ من جوارحه، فصار يتقلَّبُ في ظلماتٍ بعضُها فوقَ بعض، فمُدْخلُه ظُلمة، ومُخْرَجُه ظُلمة، وقولُه ظُلْمة، وعملُه ظلمة، وقَصْدُه ظلمة، وهو متخبِّطٌ في ظلماتِ طبعِه وشِركه وهواه، وقلبُه مُظلم، ووجهُه مُظلم.. أشرَقَ له نورُ النبوة، فكان بمنزلة إشراقِ الشمس علىٰ بصائرِ الخُفَّاش..

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ٦٢).

بصائرُ أعشاها النهارُ بضَوئِـه ولاءمَها قِطْعٌ من الليل مظلِمُ

أصَمَّه اللَّهُ وأبْكَمَه وأعماه، فهو ميِّت الدارَين، فاقدُ السَّعَادتَيْن، قد رضِي بخِزي الدنيا وعذابِ الآخرة، باع التجارةَ الرابحة بالصفقةِ الخاسرة، قلبُه عن نبي اللَّه ﷺ مصدود، وسبيلُ الوصول إلىٰ جنةِ ربِّه وقُربُه منه مسدود، هو وليُّ الشيطان، وعدوُّ الرحمن، وأبو الكفرِ والفسوقِ والعِصيان.

* ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾:

☐ عن سعيدِ بن جُبير قال: «قلت لابن عباس: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤ ـ ٣٥] قال: قاله رسول اللَّه ﷺ لأبي جهل، ثم أنزله اللَّه ـ عز وجل ـ»[1].

* قال تعالىٰ: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة: ٣١ ـ ٣٥].

☐ قال الطبري: «يقول تعالىٰ ذِكرُه: لَم يُصدِّقْ بكتابِ اللَّه، ولم يُصَلِّ له صلاةً، ولكنه كَذَّب بكتابِ اللَّه، وتولَّىٰ فأدبَرَ عن طاعةِ اللَّه».

☐ قال قتادة: «قوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾: لا صَدَّقَ بكتابِ اللَّه، ولا صلَّىٰ للَّه، ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ كذَّب بكتابِ اللَّه، وتولَّىٰ عن طاعة اللَّه».

---

(١) رواه النسائي، وأبو داود. والحديث رجاله رجال الصحيح كما في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص١٦٩) لمقبل الوادعي.

﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴾ .

☐ قال قتادة: «أي: يتبختر.. وهو أبو جهل ابن هشام، كانت مشيته».

☐ وقال مجاهد: «كان يتبختر».

☐ وقال أيضًا: «﴿ يَتَمَطَّىٰ ﴾ أبو جهل».

☐ وقال ابن زيد: «هذا في أبي جهل متبخترًا»[1] .

● وقد نهىٰ النبي ﷺ عن هذه المِشية، فقال: «**إذا مَشَتْ أُمَّتي المُطَيْطاء، وخَدَمها أبناءُ الملوكِ ـ أبناءُ فارسَ والرومـ، سُلِّط شِرارُها على خيارِها**»[2].

كان أبو جهلٍ عمرُو بنُ هشامٍ يجيءُ أحيانًا إلىٰ رسول اللَّه ﷺ يَسمعُ منه القرآنَ، ثم يذهبُ عنه، فلا يؤمنُ ولا يُطيع، ولا يتأدبُ ولا يخشىٰ؛ ويؤذِي رسولَ اللَّه بالقول، ويَصُدُّ عن سبيل اللَّه.. ثم يذهبُ مُختالاً بما يفعل، فخوراً بما ارتكب من الشر، كأنما فَعَل شيئًا يُذْكَر.. والتعبيرُ القرآني يتهكَّمُ به، ويَسخرُ منه، ويُثير السُّخرية كذلك، وهو يُصوِّرُ حركةَ اختياله بأنه ﴿ يَتَمَطَّىٰ ﴾، يَمُطُّ في ظهره، ويتعاجَبُ تعاجُبًا ثقيلاً كريهًا! .

وكم من أبي جهلٍ في تاريخ الدعوة إلىٰ اللَّه، يَسمعُ ويُعرض، ويتفنَّنُ في الصَّدِّ عن سبيل اللَّه والأذىٰ للدعاة، ويمكرُ مَكْرَ السَّيِّء، ويتولَّىٰ وهو

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٢٦١)، وابن المبارك في «الزهد» (١٨٧) زيادات نعيم بن حماد من حديث ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠١)، والصحيحة» (٩٥٦).

والمطيطاء: بالمدّ والقصر، مشية فيها تبختر ومدّ اليدين، ويُقال: مطوت ومططت بمعنىٰ مددت وهي من المصغرات التي لم يستعمل لها مكبر. انظر «النهاية» (٤/ ٣٤٠).
والمطا: هو الظهر.

فخورٌ بما أوقع من الشرِّ والسوء، وبما أفسد في الأرض، وبما صَدَّ عن سبيل اللَّه، وبما مَكَر لدين اللَّه وعقيدته وكاد!!.

والقرآنُ يواجهُ هذه الخُيلاءَ الشريرةَ بالتهديد والوعيد:

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾.

☐ قال الطبري: «هذا وعيدٌ من اللَّه ـ عز وجلَّ ـ علىٰ وعيدٍ لأبي جهل».

☐ وقال قتادة: «وعيدٌ علىٰ وعيد كما تسمعون.. زعم أن هذا أُنزل في عدو اللَّه أبي جهل: ذُكر لنا أن نبي اللَّه أَخَذ بمجامعِ ثوبه، فقال: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾، فقال عدُّو اللَّه أبو جهل: أيوُعِدُني محمد، واللَّهِ ما تَستطيعُ لي أنت ولا ربُّك شيئًا، واللَّهِ لأنا أعزُّ مَن مَشَىٰ بين جَبَلَيْها»[1].

● وعن مَعْمَرٍ، عن قتادةَ قال: «أخذ النبيُّ ﷺ بيده ـ يعني بيَدِ أبي جهل ـ، فقال: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾. فقال: يا محمدُ، ما تستطيعُ أنت وربُّك فيَّ شيئًا، إني لأعَزُّ مَن بيْن جَبَلَيْها، فلمَّا كان يومُ بدرٍ أشرف عليهم، فقال: لا يُعبَدُ اللَّهُ بعدَ هذا اليوم أبدًا، فضَرَب اللَّهُ عُنُقَه، وقَتَله شرَّ قِتْلَةٍ»[2].

(١) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٢٥)، و«تفسير ابن أبي حاتم»، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٠٨).

(٢) «أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢٥)، وأخرجه عبدالرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٣٥)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٩٦) إلىٰ عبد بن حميد وابن المنذر.

◻ وقال ابن زيد: «قال أبو جهل: إن محمداً ليُوعِدُني، وأنا أعزُّ أهلِ مكة والبَطحاء».

وكم من أبي جهل في تاريخ الدعوات يعتزُّ بعشيرته وبقوَّته وبسُلطانه، ويَحسَبُها شيئًا؛ ويَنْسَىٰ اللَّهَ وأَخْذَه، حتىٰ يأخذَه أهونَ من بعوضةٍ، وأحقرَ من ذُبابة.. إنما هو الأجلُ الموعود، لا يَستقدمُ لحظةً ولا يَستأخِر.

◻ يا عدوُّ اللَّه، تتمطَّىٰ ومِلءَ بطنِك الخُرء!!، أوَّلُك نُطفةٌ مَذِرة، وآخِرُك جِيفةٌ قَذِرة، وأنت بين هذا وذاك تحملُ العَذِرة.. جَدُّك البعيد ترابٌ ذليل، وأبوك القريب ماءٌ مَهين، وأنت خَرجْتَ من مجرىٰ البول مرتين..

أنفٌ يسـيلُ وأُذْنٌ كلُّها سَهَـكٌ	والعينُ مُرمصَةٌ والثَّغْـرُ ملـعوبُ
يا ابنَ الترابِ ومأكولَ الترابِ غدًا	قصِّـرْ فإنك مأكـولٌ ومشروبُ

بئس أبي جهلٍ طغىٰ وعتا، ونَسِيَ الجبَّارَ الأعلىٰ.. نَسِيَ المبدأ والمنتهىٰ.. نسىٰ المقابر والبِلىٰ.

* ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦-٧]:

تَبرُزُ صورةُ عدوِّ اللَّه أبي جهل الطاغي الذي طغىٰ وفَجَر، وبَغَىٰ وتكبَّر، وأبطره الغنىٰ، وهي صورةُ اللئيمِ الصغيرِ النفسِ الحقير، الهابط الذي يُؤتَىٰ المالَ فتسيطر نفسُه به، حتىٰ ما يُطيق نفسَه! ويروحُ يَشعرُ أن المالَ هو القيمةُ العليا في الحياة.. القيمةُ التي تَهُونُ أمامَها جميعُ القيم وجميعُ الأقدار: أقدارُ الناس، وأقدارُ المعاني، وأقدارُ الحقائق.. وتنطلقُ في كِيانه نفخةٌ فاجرة.

● عن أبي هريرة ﷺ قال: قال أبو جهل: «هل يُعَفِّر محمدٌ وجهَه بين أظهُركم؟! فقيل: نعم، فقال: واللاتِ والعُزَّىٰ لئِن رأيتُه يفعلُ ذلك لأطأنَّ علىٰ رَقبتِه، ولأعُفِّرَنَّ وجهَه في التراب، قال: فأتىٰ رسولَ اللَّه ﷺ وهو يُصلِّي ـ زعم ليطأَ علىٰ رقبته ـ، قال: فما فجأهم منه إلاَّ وهو يَنْكُصُ علىٰ عَقِبْيه ويتَّقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحةً. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لو دَنَا لاخْتَطَفَتْه الملائكةُ عُضْوًا عُضْوًا**». قال: فأنزل اللَّه ـ لا ندري[1] في حديث أبي هريرة أو شيءٍ بَلَغه ـ: ﴿**كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ**[2] **(١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ**﴾ [العلق: ٦ ـ ١٩]»[3].

﴿**أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ**﴾، يعني: أبا جهل.

---

(١) قال الشيخ مقبل بن هادي في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص١٧٥): هذا التردّد يعتبرُ فادحًا في صحة سبب النزول لكن كتبته لكثرة شواهده.

(٢) يعني: أبا جهل.

(٣) رواه أحمد (١٤/ ٤٢٥) (٨٨٣١)، ومسلم (٢٧٩٧/ ٢٨)، والنسائي (١١٦٨٣)، وابن أبي حاتم، وابن حبان (٦٥٧١)، وأبو نعيم في «الدلائل» (١٥٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٨٩)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٧٩)، وذكره ابن جرير في «تفسيره» (٢٤/ ٥٣٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤٦١).

□ زاد عُبيدالله في حديثه قال: «وأمَرَه بما أمره به».

□ وزاد عبدالأعلى: «﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾، يعني: قومه».

● وعن داودَ بنِ أبي هندٍ، عن عكرمةَ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسولُ اللَّه ﷺ يُصلِّي، فجاءه أبو جهل فنهاه أن يُصلِّي، فأنزل اللَّهُ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ إلى قوله: ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ فقال: لقد عَلِم أني أكثرُ هذا الوادي ناديًا.. فغضب النبيُّ ﷺ فتكلَّمَ بشيءٍ - قال داود: ولم أحفَظْه - فأنزل اللَّهُ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾، فقال ابن عباس: فواللَّهِ لو فعل لأخذته الملائكةُ من مكانه»[1].

● وعن داودَ بنِ أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «كان رسول اللَّه ﷺ يُصلِّي عند المَقام، فمرَّ به أبو جهل بن هشام، فقال: يا محمدُ، ألم أنْهَكَ عن هذا؟ - وتوعَّده -، فأغلَظ له رسولُ اللَّه ﷺ وانتهره، فقال: يا محمد، بأيِّ شيءٍ تُهدِّدُني؟ أما واللَّهِ إني لأكثرُ هذا الوادي ناديًا، فأنزل اللَّه ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾، قال ابن عباس: لو دعا ناديه، أخذته زبانية العذاب من ساعته»[2].

(١) سنده صحيح: أخرجه ابن جرير واللفظ له (٢٤/ ٥٣٧ - ٥٣٨)، وأحمد (٥/ ١٦٧) (٣٠٤٤)، والحاكم (٢/ ٤٨٧، ٤٨٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٩٢)، وأخرجه الطبراني (١١٩٥٠).

(٢) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٢٩٨)، وأحمد (٤/ ١٦٤) (٢٣٢١)، والترمذي (٣٣٤٩) وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٨٤) من طريق أبي خالد به، وابن جرير (٢٤/ ٥٣٧) وأخرجه ابن مردويه - كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٤/ ٢٤٨) من طريق علي بن مُسهِر به، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٩): رجاله رجال الصحيح.

◘ ولفظ الترمذي: «كان النبي ﷺ يُصلِّي، فجاء أبو جهل، فقال: ألمْ أنْهَكَ عن هذا؟! ألم أَنْهَك عن هذا؟! فانصرف النبي ﷺ فزَبَره[1]، فقال أبو جهل: إنك لَتعلمُ ما بها نادٍ أكثرُ منِّي!! فأنزل اللَّه تبارك وتعالىٰ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾، قال ابن عباس: لو دعا ناديَه لأخذته زبانيةُ اللَّه».

◘ قال ابن جرير الطبري: «يُعَجِّبُ جَلَّ ثناؤه نبيَّه والمؤمنين من جهل أبي جهل، وجَرَاءَتِهِ علىٰ ربِّه، في نهيه محمَّداً عن الصلاة لربِّه، وهو مَعَ أياديه عندَه مكذِّبٌ به».

◘ قال قتادة: «وكان يُقال: لِكُلِّ أمةٍ فرعون، وفرعونُ هذه الأمَّة أبو جهل»[2].

صورةٌ مستنكَرة لطاغٍ لئيم، أرأيتَ هذا الأمرَ الشنيعَ العجيبَ؟! ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾؟! أرأيت حين تُضَمُّ شناعةٌ إلىٰ شناعة؟ وتُضَاف بشاعةٌ إلىٰ بشاعة؟ أرأيتَ إن كان هذا الذي يُصلِّي ويتعرَّضُ له مَن ينهاه عن صلاته.. إنْ كان علىٰ الهُدىٰ أوْ أمر بالتقوىٰ؟ ثم ينهاه مَن ينهاه، مع أنه علىٰ الهدىٰ، آمِرٌ بالتقوىٰ؟.

◘ قال الطبري: «أرأيت ﴿إِن كَانَ﴾ محمدٌ ﴿عَلَى الْهُدَىٰ﴾، يعني: علىٰ استقامةٍ وسَدادٍ في صلاته لربه!! ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾: أوْ أَمر محمدٌ هذا الذي ينهىٰ عن الصلاة باتقاء اللَّه وخوف عقابه.

---

(١) زبره: أي نَهَر النبيُّ ﷺ أبا جهل.

(٢) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٣٣، ٥٣٤).

﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾: أرأيت إن كَذَّب أبو جهل بالحق الذي بَعَث به محمداً ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾، وأدبر عنه فلم يصدق به»[1] !!.

وهكذا يُضيفُ اللئيمُ أبو جهل إلىٰ الفِعلةَ المستنكَرة فِعْلَةً أخرىٰ أشدَّ نُكراً.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾: ألم يعلم أبو جهل إذْ ينْهَىٰ محمداً عن عبادة ربه والصلاة له، بأن اللَّه يراه، فيخافَ سطوتَه وعقابَه؟!!.

﴿كَلَّا﴾: ليس كما يقول: «إنه يَطأُ عُنُقَ محمد»، لا يَقدرُ علىٰ ذلك، ولا يَصلُ إليه.. ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾: لئن لم ينته أبو جهل عن محمدٍ ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾: لنأخذنَّ بمقدَّم رأسه، فلنُضيمنَّه، ولنُذلَّنَه.. يُقال منه: سَفَعتُ بيده، إذا أخذتُ بيده، وقيل: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾، المعنىٰ: لنُسوِّدَنَّ وجهَه، فاكْتُفِيَ بذِكرِ الناصية من الوجه كلِّه، إذْ كانت الناصيةُ في مُقدَّم الوجه.

وقيل: معنىٰ ذلك: لنأخُذَنَّ بناصيتِه إلىٰ النار، كما قال: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

والسَّفْعُ: القبضُ الشديد بجَذْبٍ، والناصية: مقدَّم شعرِ الرأس، وفيه إذلالٌ؛ لأنهم كانوا لا يَقبِضون علىٰ شعرِ رأسِ أحدٍ إلاَّ لِضَرْبِه أوْ جَرِّه، وأكَّد ذلك السَّفْعَ بالباء المزيدة الداخلة علىٰ المفعول لتأكيد اللصوق.

يا سبحان اللَّه، أعلىٰ مكانٍ يرفعُه الطاغيةُ المتكبِّر مُقدَّمُ الرأس المتشامخ، إنها ناصيةٌ تستحقُّ السَّفعَ والصَّرْعَ ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾، لكأنَّ الكذبَ والخِطْءَ باديـانِ من ناصيتِه، فكانت الناصيةُ جديرةً بالسَّفْع. والمعنىٰ لصاحبها.

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٣٤، ٥٣٥).

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾: فلْيَدْعُ أبو جهل أهل مَجلسه وأنصارَه من عشيرته وقومه.

والنادي[1]: هو المجلس.. قال ابن عباس: «فليدع ناصِرَه».

﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾[2]: قال قتادة ومجاهد: «الملائكة»، والمراد ملائكة العذاب.

□ «وهذه الآية معجزةٌ خاصةٌ من معجزات القرآن، فإنه تحدَّىٰ أبا جهل بهذا، وقد سمع أبو جهل القرآنَ وسَمِعه أنصارُه، فلم يُقدِمْ أحدٌ منهم علىٰ السَّطْوِ علىٰ الرسول ﷺ، مع أن الكلامَ يُلهِبُ حَمِيَّته»[3].

﴿كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾:

يقول تعالىٰ ذِكرُه: «ليس الأمرُ كما يقول أبو جهل، إذ يَنهىٰ محمداً

---

(١) قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره «التحرير والتنوير» (٣٠/ ٤٥١): «النادي: اسم للمكان الذي يجتمع فيه القوم، يُقال: نَدَا القومُ نَدْوًا، إذا اجتمعوا. والنَّدْوة: الجماعة. ويقال: نادٍ ونَدِيّ، ولا يُطلق هذا الاسمُ علىٰ المكان إلاَّ إذا كان القوم مجتمعين فيه، فإذا تفرَّقوا عنه فليس بنادٍ، ويُقال: «النادي» لمجلس القوم نهاراً، فأما مجلسهم في الليل فيسمىٰ: «المسامر»، قال تعالىٰ: ﴿سَامِراً تَهجرون﴾. ويطلق النادي علىٰ الذين ينتدون فيه. يقال: إني لأكثر أهل هذا الوادي نادياً: أي ناساً يجلسون إليّ، يريد أنه رئيس يصمد إليه».

(٢) الزَّبانية: بفتح الزاي جمع زَبَاني: بفتح الزاي وبتحتية مشدَّدة، أو جمع زِبْنِية بكسر الزاي فسكون، أو جَمع زِبْنِيّ، وقيل: هو اسم جمع لا واحد له من لفظه مثل أبابيل وعَبَاديد. وهذا الاسم مشتق من الزَّبن: وهو الدفع بشدة، يُقال: ناقة زَبُون: إذا كانت تركُل من يحلِبُها، وحرب زبون يدفع بعضها بعضاً بتكرر القتال.

(٣) «تفسير التحرير والتنوير» للطاهر بن عاشور (٣٠/ ٤٥٢).

ﷺ عن عبادة ربِّه والصلاةِ له . . ﴿ لا تُطِعْهُ ﴾ ، يقول جل ثناؤه لنبيِّه محمد ﷺ : لا تُطعْ أبا جهل فيما أَمَرك به من ترك الصلاة لربِّك ، واسجد لربِّك واقترب منه بالتحبُّب إليه بطاعته ، فإنَّ أبا جهلٍ لن يَقْدِرَ علىٰ ضَرِّكَ ، ونحن نمنعُك منه»[1] .

◻ وكان أبو جهل يقولُ ساخراً : «اللَّهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك ، فأمطِرْ علينا حجارةً من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم»!! فنزلت الآية : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . . ﴾ [الأنفال: ٣٣ ـ ٣٤][2] .

◻ وقال أبو جهل ـ لعنه اللَّه ـ كما قال تعالىٰ مخبراً عنه وعن أضرابه : ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان: ٤١ ـ ٤٢] .

◻ قال السيوطي في «الدر المنثور» (١١/ ١٧٠) : «أخرج ابنُ مَرْدُويه عن ابن عباس : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان: ٣١] ، قال : كان عدوَّ النبي ﷺ أبو جهل ، وعدوَّ موسىٰ قارون ، وكان قارونُ ابن عم موسىٰ» .

(١) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٤٠ ، ٥٤١) .

(٢) رواه البخاري (٥/ ١٩٩) ـ كتاب التفسير باب قوله : ﴿وإذ قالوا اللَّهم . . ﴾ ، وباب قوله : ﴿ وما كان اللَّه ليعذبهم ﴾ ، ورواه مسلم (٤/ ٢١٥) .

(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٦٣) .

*** أبو جهل الصادُّ عن سبيل اللَّه، المُحرِّضُ على قتال النبي ﷺ ببدر:**

* قال تعالىٰ: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ [الأنفال: ٤٧].

قَبْلَ بدرٍ، لَمَّا نجا أبو سفيان بِعِيرِ قريش، ولما ترك بدراً بيسار، نزلت قريشٌ بالجُحْفة.

☐ يقول ابن إسحاق: «ولما رأىٰ أبو سفيان أنْ قد أحرز عِيرَه، أرسل إلىٰ قريش: إنكم إنما خرجتُم لتمنعوا عِيرَكم ورجالَكم وأموالَكم، فقد نجَّاها اللَّه، فارجِعوا، فقال أبو جهل بنُ هشام: واللَّهِ لا نرجعُ حتىٰ نَرِدَ بدراً ـ وكان بدرٌ موسمًا من مواسم العرب، يجتمع لهم به سُوقٌ كل عام ـ، فنُقيمَ عليه ثَلاثًا، فنَنحرَ الجَزور، ونُطعِمَ الطعام، ونَسقيَ الخمرَ، وتَعزِفَ علينا القِيان، وتَسمعَ بنا العرب وبمسيرنا وجَمْعنا، فلا يزالون يَهابوننا أبدًا، فامضوا».

☐ وروىٰ الإمامُ أحمد عن عبداللَّه بن ثَعلبة: «أن أبا جهل قال حين التقىٰ القوم: اللَّهم، أقطعُنا للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحْنِهِ[1] الغداة.. فكان هو المستفتِح»[2].

* قال تعالىٰ: ﴿**إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ**

---

(١) أي: اجعل هلاكه غداً.

(٢) رواه أحمد (٥/ ٤٣١) وابن إسحاق، والنسائي، والحاكم، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه وأقره الذهبي.. انظر «البداية والنهاية» (٣/ ٢٨٢)، وكذا رواه ابن جرير (٩/ ٢٠٨) وفيه أنزل اللَّه: ﴿**إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ**﴾.

لَكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

□ قال الآمديُّ عن مُطرِّفٍ في قوله تعالىٰ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾، قال: قال أبو جهل: «اللَّهم أعِنْ أعزَّ الفِئتين، وأكرمَ القبيلتين، وأكثرَ الفريقين، فنزلت: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا﴾ الآية».

□ وقال الطبراني: عن رفاعة بن رافع قال: «لما رأىٰ إبليسُ ما فَعَل الملائكةُ بالمشركين يومَ بدر، أشْفَقَ أن يُخْلَصَ إليه، فَتَشبَّثَ به الحارثُ بنُ هشام وهو يظنُّ أنه سُراقةُ بنُ مالك، فوكز في صَدرِ الحارث، ثم خرج هاربًا حتىٰ ألقىٰ نفسه في البحر، ورفع يديه فقال: اللَّهم إني أسألك نَظِرَتَك إياي.. وخاف أن يَخْلُصَ القَتلُ إليه، وأقبل أبو جهل، فقال: يا معشرَ الناس، لا يَهولَنَّكم خِذلانُ سراقةَ بنِ مالك، فإنه كان علىٰ ميعادٍ من محمد، ولا يُهُولَنَّكم قَتلُ شَيبة وعُتبةَ والوليد، فإن عَجِلوا فواللاتِ والعزىٰ، لا نرجعُ حتىٰ نُفرِّقَهم في الجبال، فلا أَلْفَيَنَّ رجلاً منكم رجِلاً، ولكن خذوهم أخذًا، حتىٰ تُعَرِّفوهم سُوءَ صنيعِهم من مفارقتهم إياكم، ورغبتهم عن اللات والعزىٰ، ثم قال أبو جهل متمثلاً:

ما تَنقِمُ الحَربُ الشَّموسُ مِنِّي
بَاذلَ عامَينِ حديثَ سِنِّ
لِمثلِ هذا ولدَتْني أُمِّي»

*** مقتل فرعون هذه الأمة أبي جهل ـ لعنه اللَّه ـ:**

□ عن عبدالرحمن بن عوف ﷺ قال: «إني لفي الصفِّ يومَ بدر إذِ

التفتُّ، فإذا عن يميني وعن يساري فَتَيانِ حديثا السِّنِّ، فكأني لم آمَنْ بمكانِهما، إذ قال لي أحدُهما ـ سرًا من صاحبه ـ: يا عمِّ، أرني أبا جهل. فقلت: يا ابن أخي، وما تصنعُ به؟ قال: عاهَدتُ اللَّه ـ إن رأيتُه ـ أن أقتلَه، أو أموتَ دونه.. وقال لي الآخرُ ـ سرًا من صاحبه ـ مثله. قال: فما سرَّني أني بين رُجلين مكانهما، فأشرتُ لهما إليه، فشدَّا عليه مثل الصَّقْرين، حتىٰ ضرباه، وهما ابنا عفراء»[1].

◻ وعن عبدالرحمن بن عوف ﷺ قال: «بينا أنا واقفٌ في الصفِّ يومَ بدرٍ، فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بغلامَيْن من الأنصار حديثةٍ أسنانُهما، تمنيْتُ أن أكون بين أضلعَ منهما، فغَمَزني أحدُهما، فقال: يا عمِّ، هل تعرفُ أبا جهل؟ قلت: نعم، وما حاجتُك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخبِرتُ أنه يَسُبُّ رسولَ اللَّه ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيتُه لا يفارقُ سَوادي سَوادَه حتىٰ يموتَ الأعجَلُ منَّا.. فتعجَّبت لذلك، فغَمَزني الآخر فقال لي مِثلَها، فلم أَنْشَبْ أن نظرتُ إلىٰ أبي جهل يَجُولُ في الناس، فقلت: ألاَ إن هذا صاحبُكما الذي سألتُماني، فابتدراه بسيفَيهما، فضرباه حتىٰ قتلاه، ثم انصرفا إلىٰ رسولِ اللَّه ﷺ فأخبراه. قال: **«أيُّكما قَتَله؟»** قال كلٌّ واحد منهما: أنا قتلته. فقال: **«هل مَسَحْتما سَيْفَيْكما؟»**. قالا: لا. فنظر في السَّيفينْ، فقال: **«كلاهما قتله، سَلَبُه لمعاذِ بن عمرِو بن الجموح»**.. وكانا معاذ بن عفراء ومعاذَ بن عمرو بن الجموح»[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٩٨٨)، ومسلم (١٧٥٢)، وأحمد (١/ ١٩٢، ١٩٣)، وأبو يعلىٰ (٢/ ١٧٠).

(٢) رواه البخـاري في «صحيحه» (٣١٤١) كتـاب فرض الخمس ـ بـــاب من لم يخمِّس =

وقضىٰ النبي ﷺ بالسَّلَب للسابق إلىٰ إثخانِه منهما، وهو معاذُ بن عمرو، وإن كانا اشتركا جميعًا في قتله.

◻ وعن معاذِ بن عمرٍو ﷺ قال: «جعلتُ أبا جهل يومَ بدرٍ من شأني، فلما أمكنني حَمَلتُ عليه، فضربتُه، فقطعتُ قَدَمه بنِصفِ ساقه، وضربني ابنُه عكرمةُ بن أبي جهل علىٰ عاتِقي، فَطَرح يدي، وبقيَتْ مُعلَّقَةً بجِلدةٍ بجنبي، وأجهَضَني عنها القتالُ، فقاتلت عامةَ يومي وإني لأسحَبُها خَلفي، فلما آذَتْني، وضعتُ قدمي عليها، ثم تمطَّأْتُ عليها حتىٰ طرحتُها»[٢].

◻ قال الذهبي في «السير» (١/ ٢٥١): «هذه واللّهِ الشجاعة، لا كآخَرَ مِن خدْشٍ بسهمٍ ينقطعُ قلبه، وتخورُ قواه».

◻ قال: «ومرَّ بأبي جهل مُعوِّذُ بنُ عفراء، فضربه حتىٰ أثبته، وتركه وبه رَمَق. ثم قاتل معوِّذ حتىٰ قُتِل وقُتل أخوه عوف من قبله، وهما ابنا الحارث بن رفاعة الزُّرَقي.

ثم مرَّ ابنُ مسعود ﷺ بأبي جهل، فوبَّخه، وبه رَمَقٌ، ثم احتزَّ رأسه»[٢].

● وعن أنس ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ يوم بدر: «**مَن ينظرُ ما صنع أبو جهل؟**»، فانطلق ابن مسعود ﷺ، فوَجده قد ضَرَبه ابنا عفراء،

= الأسلاب.

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٣٤، ٦٣٥)، ورجاله ثقات.

(٢) «السير» (١/ ٢٥١).

حتىٰ بَرَد، فقال: أأنت أبا جهل؟ ـ قال ابن عُلَيَّة: قال سليمان: هكذا قالها أنس. قال: أأنت أبا جهل[1] ؟ ـ قال: وهل فوق رجلٍ قتلتموه ـ أو قال: قتله قومه ـ! قال: وقال أبو مِجْلَز[2] : قال أبو جهل: فلو غَيْرَ أكَّارٍ قتلني»[3] .

◻ وعن عبداللَّه بن مسعود ﷺ أنه أتىٰ أبا جهل وبه رَمَقٌ يوم بدر، فقال أبو جهل: «هل أعمَدَ من رجلٍ قتلتموه»[4] .

وعَمَد بمعنىٰ: هلك.

● وعن أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «مَن ينظرُ ما صنع أبو جهل؟!»، فانطلق ابن مسعود، فوجده قد ضَرَبه ابنا عفراءَ حتىٰ بَرَد، قال: أنت أبو جهل؟ قال: فأخذ بلحيته قال: وهل فوق رجلٍ قتلتموه؟ أوْ رجلٍ قَتَله قومُه؟»[5] .

● وفي حديث ابن عباس ﷺ عند ابن إسحاق والحاكم: «قال ابنُ مسعود: فوجدتُه بآخِرِ رمق، فوضعت رِجلي علىٰ عُنقه، فقلتُ: أخزاك

(١) لأن الجادة: «أأنت أبو جهل».. ولكنَّ المُثبَت لُغةٌ صحيحة.

(٢) أبو مجلز تابعي.

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٢٠)، ومسلم (١٨٠٠)، وأحمد (٣/ ١١٥)، وأبو يعلىٰ (٧/ ١٢٠، ١٢١)، قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٢٩٥): «الأكَّار ـ بتشديد الكاف ـ: الزُّرَّاع وعنىٰ بذلك أن الأنصار أصحاب زرع؛ فأشار إلىٰ تنقيص من قَتَلَهُ منهم بذلك».

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٦١).

(٥) أخرجه البخاري (٣٩٦٢).

وعند مسلم «برك» بدلاً من «برد»؛ قال عياض: وهذه الرواية أولىٰ؛ لأنه قد كَلَّم ابنَ مسعود، فلو كان مات كيف كان يكلمه؟ انتهىٰ. ويحتمل أن يكون «برد» هنا؛ أي: صار في حالة من مات، ولم يَبْقَ فيه سوىٰ حركة المذبوح.

اللَّهُ يا عدوَّ اللَّه، قال: وبِمَ أخزاني؟ هل أعمدَ من رجلٍ قتلتموه؟». قال: «وزعم رجالٌ من بني مخزوم أنه قال له: لقد ارتقيتَ يا رُوَيْعِيَّ الغنم مرتقًى صعبًا».

قال: «ثم احتززتُ رأسه، فجئتُ به رسول اللَّه ﷺ فقلتُ: هذا رأسُ عدوِّ اللَّه أبي جهل، فقال: «**واللَّه الذي لا إله إلا هو؟**».. فحلف له.

▫ وفي زيادة المغازي: «فحلف له، فأخذ رسول اللَّه ﷺ بيده ثم انطلق حتى أتاه، فقام عنده، فقال: «**الحمد للَّه الذي أعزَّ الإسلام وأهله**» (ثلاث مرات)».

▫ قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٣٤٥) للجمع بين الروايات التي ظاهرها الاختلاف: «حاصله أن كلاًّ من ابنَيْ عفراءَ سأل عبدَالرحمن ابنَ عوفٍ، فدلَّهما عليه، فشدَّا عليه فضرباه حتى قتلاه».

وفي آخرِ حديث مُسدَّد: «وهما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء، وأن النبي ﷺ نظر في سيفيهما، وقال: «**كلاكما قتله**»، وأنه قضى بسَلَبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح». انتهى.

و«عفراء» والدةُ معاذٍ، واسم أبيه «الحارث»، وأما ابنُ عمرو بن الجموح فليس اسم أمه «عفراء»، وإنما أُطلق عليه تغليبًا.

ويُحتمل أن تكونَ أمُّ معوِّذ - أيضًا - تسمَّى «عفراء»، أو أنه كان لمعوِّذٍ أخٌ يسمَّى «معاذًا» باسم الذي شرَكه في قتلِ أبي جهل، ظنه الراوي أخاه.

▫ قال معاذُ بن عمرو بن الجموح: «سمعتهم يقولون وأبو جهل في مثل الحَرْجة: «أبو جهل الحَكَمُ لا يُخلَصُ إليه»، فجعلتُه مِن شأني،

فعَمَدتُ نحوه، فلما أمكنني حَمَلتُ عليه، فضربتُه ضَربةً أطنَّت قدمَه، وضربني ابنُه عكرمةُ علىٰ عاتقي فطَرَح يدي ـ قال: ثم عاش معاذٌ إلىٰ زمنِ عثمان ـ. قال: ومرَّ بأبي جهل معوِّذُ بنُ عفراءَ، فضَرَبه حتىٰ أثبَتَه وبه رَمَقٌ، ثم قاتل معوِّذٌ حتىٰ قُتِل، فمر عبدُاللَّه بن مسعود بأبي جهل فوجده بآخر رمق».

فهذا الذي رواه ابنُ إسحاق يَجمعُ بين الأحاديث، لكنه يخالفُ ما في «الصحيح» من حديثِ عبدالرحمنِ بنِ عوفٍ أنه رأىٰ معاذًا ومعوِّذًا شدَّا عليه جميعًا حتىٰ طرحاه.

◻ وابن إسحاق يقول: إن ابنَ عفراءَ هو معوِّذ ـ والذي في «الصحيح»: «معاذ» ـ وهما أخوان، فيحتمل أن يكون معاذُ بنُ عفراء شدَّ عليه مع معاذِ بنِ عمرو، كما في «الصحيح»، وضربه بعد ذلك مُعَوِّذٌ حتىٰ أثبتَه ثم حَزَّ رأسَه ابنُ مسعود، فتُجمع الأقوال كلُّها، وإطلاقُ كونِهما قتلاه يخالفُ في الظاهرِ حديثَ ابنِ مسعود أنه وَجَده وبه رَمَق، وهو محمولٌ علىٰ أنهما بلغا به بضربهما إياه بسَيفيهما منزلةَ المقتول حتىٰ لم يَبْقَ به إلاَّ مثلُ حركةِ المذبوح، وفي تلك الحالة لَقِيه ابنُ مسعود فضرب عنقه.. واللَّه أعلم».

◻ وللّه درُّ حسان بن ثابت ﷺ، وهو يقول:

فغادَرْنا أبا جهلٍ صريعًا ... وعُتْبَةُ قد تَرَكْنا بالجيوبِ[1]

---

(١) الجيوب: اسم للأرض؛ لأنها تُجب، أي: تُحفر.

❏ وما أجملَ ما قال الشاعر:

وهَوى أبو جهلٍ ونوفلُ وارعَوَى ... بعدَ اللَّجاجِ الفاحشُ المتوقِّحُ[١]
لما رأى الغازي المظفَّرُ رأسَهُ ... أهوى يُكبِّر ساجدًا ويُسبِّحُ
في جلده من رجْز ربِّك آيـــةٌ ... عَجَبٌ تُفَسِّرُ للَّبيب وتَشرَحُ[٢]
تلك السُّطورُ السُّودُ ضمَّ كتابُها ... أبهى وأجملَ ما يَرَى المُتَصَفِّحُ
إن لم يُغَيَّبْ في جهنمَ بعدها ... فلِمَن سواه في جهنم يُضْرَحُ؟![٣]

❏ ولِلَّهِ درُّ القائلِ في مصرع أبي جهل ـ فرعونِ هذه الأمة ـ:

بسيفك فيما اخترتَ من عاجلِ القتلِ ... سُقيتَ زُعاف الموت فاشربْ أبا جهلِ
هو السيفُ لولا الجُبنُ لم يَمْضِ حدُّه ... ولم يَرْضَ في جِدِّ الكريهةِ بالهزلِ
شَهِدتَ الوغى تَبغي على الضعفِ راحةً ... لنفسك من حِقدٍ مذيبٍ ومن غِلِّ
أفرعونُ إنْ تجهلْ فلن تجهلِ الوغى ... فراعينها من ذي شَبابٍ ومن كَهْلِ
أصابك فيها ما أصابَك من أذى ... وفاتكَ ما نال الرُّوَيْعيُّ[٤] من فضلِ
رمـــاكَ معـــاذٌ قبـلَه ومُعـوِّذٌ ... وجاءك مَشبوبًا حَمِيَّتُهُ تغلي
سقى السيفَ عفوًا من دمٍ لك طيِّعٌ ... فَمِن مرتقًى صعب إلى مُسْتَقًى سهلِ
دَعِ الهزلَ يا ابنَ الحَنْظَلِيَّة إنه ... هو الجِدُّ كلُّ الجِدِّ لو كنتَ ذا عقلِ

---

(١) نوفل: هو نوفل بن خويلد، كان من شياطين قريش قتله علي بن أبي طالب. والفاحش المتوقح: هو أبو جهل. وارعوىٰ: كفَّ.

(٢) رجز: عذاب، وقد وُجِدَ في جسد أبي جهل آثار سود كآثار ضرب السياط.

(٣) يضرح: يدفع ويُقبر.

(٤) الرويعي: تصغير الراعي؛ وهو: عبدالله بن مسعود.

هي اللاتُ والعُزَّى أضَلَّتْكَ هذه ... وزادتك هذي من ضلال ومن خَبَلِ
مضى جارُكَ المأفون[1] خَزيانَ وانقضَتْ ... حبالُك فانظر هل ترى الآنَ من حَبْلِ؟
لقد كنتَ ترجو أن تَرى الهَبَلَ الذي ... رَضِيتَ به ربًّا يفــوزُ ويَســتعلِي
أصبتَ ابنَ مسعود سناءً ورفعةً ... وباء عدوُّ اللَّه بالخـــزي والذلِّ
فخُذْ سيفَه ثم ارفعِ الصوتَ شاكرًا ... فما بعدَ ما أعطاك ربُّك من سُؤْلِ

* **أبو جهل الأثيم ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾:**

* قال اللَّه تبارك وتعالىٰ: **﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ﴾** [الدخان: ٤٣ - ٤٤].

□ قال ابن زيد في هذه الآية: «الأثيم هوأبو جهل»[2].

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لو أنَّ قطرةً من الزَّقُّوم قَطَرت في دارِ الدنيا، لأفسَدَت على أهل الدنيا معايشَهم، فكيف بمن تكونُ طعامَهُ؟»**[3].

* قال تعالىٰ: **﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ**

---

(١) هو: إبليس - لَعَنَهُ اللَّهُ.

وكان أبو جهل اللعين يقول: لا، يا قوم، لا يهولنكم قَتْلُ مَن قُتِلَ؛ فواللات والعزىٰ لا نرجع حتىٰ نقرن محمدًا وأصحابه بالحبال، لا تقتلوهم ولكن خذوهم باليد.

(٢) «تفسير الطبري» (٢١/ ٥٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والضياء، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٦٨٣)، و«صحيح الجامع» (٥٢٥٠).

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٨﴾﴾ [الدخان: ٤٥ - ٤٩].

❏ قال ابن جرير الطبري: «يقول تعالىٰ ذِكرُه: يُقال لهذا الأثيم الشقيِّ: ذُقْ هذا العذابَ الذي تُعَذَّبُ به اليوم، ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾ في قومك ﴿الْكَرِيمُ﴾ عليهم.

وذُكر أن هذه الآياتِ نَزَلت في أبي جهل بن هشام.

❏ عن قتادة: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾: «نزلت في عدوِّ اللَّه أبي جهل، لَقِيَ النبيَّ ﷺ، فأخذه، فهزَّه، ثم قال: «**أولَى لك يا أبا جهل فأولى، ثم أولى لك فأولى، ذُقْ إنك أنت العزيز الكريم**». وذلك أنه قال: «أَيُوعِدُني محمدٌ؟! واللَّهِ لأنا أعزُّ من مَشَىٰ بين جَبَلَيْها».. وفيه نزلت: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]، وفيه نزلت: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]».

❏ وقال قتادة: «نَزَلت في أبي جهلٍ وأصحابه الذين قَتَل اللَّهُ تبارك وتعالىٰ يومَ بدر: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]».

❏ وعن قتادة قال: «نزلت في أبي جهل: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ﴾».

❏ قال قتادة: «قال أبو جهل: ما بيْن جَبَلَيْها رجلٌ أعزُّ ولا أكرمُ منِّي.. فقال اللَّه - عز وجل -: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾».

❏ وقال ابن زيد في قوله تعالىٰ: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾: «هذا لأبي جهل».

فإن قال قائلٌ: وكيف قيل: وهو يُهان بالعذاب الذي ذكرَه اللَّه، ويُذَلُّ

بالعَتْل إلىٰ سواء الجحيم: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾؟ لو أمكن قيل: إن قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ غيرُ وصفٍ مِن قائل ذلك له بالعزَّةِ والكرم، ولكنه تقريعٌ منه له بما كان يَصِفُ به نفسَه في الدنيا، وتوبيخٌ له بذلك علىٰ وجهِ الحكاية؛ لأنه كان في الدنيا يقول: أنا العزيز الكريم. فقيل له في الآخرة، إذ عُذِّب بما عُذِّب به في النار: ذُق هذا الهوانَ اليومَ، فإنك كنتَ تزعمُ أنك أنت العزيزُ الكريم، وإنك أنت الذليلُ المَهين، فأينَ الذي كنتَ تقولُ وتدَّعِي مِن العِزِّ والكرم؟!، هَلاَّ تمتنع من العذاب بعزَّتك؟!»[1].

وذهب أبو جهل إلىٰ أُمِّه الهاوية جزاءَ ما عَتَىٰ واستكبر واستهزء بسيِّد البشرية.. ذهب إلىٰ سَقَر جزاءَ ما مكر.. تُشيِّعه لعناتُ اللاعنين إلىٰ يوم الدين جزاءَ ما فعل بسيِّد المرسلين ﷺ.

***

* **الوليد بن المغيرة المخزومي شيخ أهل الكفر:**

☐ عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن الوليد بن المغيرة جاء رسول اللَّه ﷺ، فقرأ عليه القرآنَ، فكأنما رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عمِّ، إن قومَك يريدون أن يَجمعوا لك مالاً. قال: لِمَ؟ قال: ليعطوكَه، فإنك أتيتَ محمداً لتعرضَ ما قِبلَهَ.. قال: قد علِمَتْ قريشٌ أني من أكثرِها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يبلغُ قومَك أنك مُنكِرٌ له. قال: وماذا أقولُ؟ فواللَّهِ ما منكم رجلٌ أعرفُ بالأشعار مني، ولا أعلم برَجَزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعارِ الجن، واللَّهِ ما يُشبه الذي يقول شيئًا من هذا، وواللَّهِ إن لقوله الذي يقوله

(١) «تفسير الطبري» (٢١/ ٦٠، ٦١، ٦٢) بتصرف يسير.

لحلاوةً، وإنَّ عليه لطلاوةً، وإنه لَمُثمِرٌ أعلاه، مُغدِقٌ أسفلُه، وإنه لَيعلو ولا يُعلَىٰ، وإنه ليحطِمُ ما تحتَه. قال: لا يرضىٰ عنك قومك حتىٰ تقول فيه. قال: قِفْ عني حتىٰ أُفكِّر فيه، فلما فكَّر قال: إنْ هذا إلا سِحْرٌ يُؤثر يأثِرُه عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ الآيات [المدثر: ١١-١٣]»[(١)].

□ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «دخل الوليدُ بُن المغيرة علىٰ أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، يسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج علىٰ قريش، فقال: يا عَجَبًا لما يقول ابن أبي كَبْشة[(٢)]، فواللَّه ما هو بشِعرٍ، ولا بسِحرٍ، ولا بهَذْيٍ من الجنون، وإنَّ قولَه لَمِن كلام اللَّه، فلما سمع بذلك النَّفرُ من قريشٍ ائتمروا، وقالوا: واللَّهِ لئنْ صبأ الوليد، لتَصبأَنَّ قريش. فلما سَمع بذلك أبو جهل قال: أنا واللَّه أكْفيكم شأنه، فانطلق حتىٰ دخل عليه بيته، فقال للوليد: ألم تَرَ قومَك قد جمعوا لك الصدقة؟ قال: ألستُ أكثرَهم مالاً وولدًا؟ فقال له أبو جهل: يتحدَّثون أنك إنما تدخل علىٰ ابن أبي قحافة لتُصيب من طعامه.. قال الوليد: قد تَحَدَّث بهذا عشيرتي؟! فلاَ يَمُ جابر بن قَصيٍّ، لا أقربُ أبا بكر، ولا عُمرَ ولا ابن أبي كبشة، وما قولُه إلاَّ سِحرٌ يؤثَر. فأنزل اللَّه علىٰ نبيه ﷺ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إلىٰ قوله: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾».

---

(١) صحيح: رواه الحاكم (٢/٥٠٧)، وقال: صحيح علىٰ شرط البخاري ولم يخرّجاه وأقرّه الذهبي، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/٥٥٦)، وأورده ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/٦٠) عن عكرمة مرسلاً.

(٢) يقصد النبيَّ ﷺ.

☐ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أنزل اللَّه ـ عز وجلَّ ـ في الوليد بن المغيرة المخزوميِّ قولَه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾، وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾» إلى آخرها [الحجر: ٩٢].

☐ وعن مجاهد قال: «نزلت في الوليد بن المغيرة ـ وكذلك الخَلْقِ كلِّهم ـ، خلقتُه وحدَه، ليس معه مالٌ ولا وَلَد».

وهو قول قتادة، وابن زيد، والضحاك.

☐ ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا﴾: قال مجاهد وسعيد بن جبير: «كان مالُه ألفَ دينار».

☐ وقال سفيان: «بلغني أنه أربعةُ آلاف دينار».

☐ وعن عمر رضي الله عنه في قوله: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ قال: «غَلَّةُ شهرٍ بشهر».

☐ قال ابن جرير الطبري: «هو الكثير، الممدودُ عددُه أو مساحته».

☐ ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾، قال مجاهد: «كان بنوه عشرةً».

☐ ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾، قال ابن جرير: «وبَسَطتُ له في العيش بَسْطًا».

☐ قال سفيان: «بُسِط له».

☐ وعن مجاهد: قوله: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ قال: «من المال والولد».

---

(١) قال الرازي في «مفاتيح الغيب»: نزلت في الوليد بن المغيرة وكان له عشرة من البنين، وكان يقول لهم وما قاربهم: لئن تَبعَ دينَ محمدٍ منكم أحدٌ لا أنفعُه بشيءٍ أبدًا، فمَنَعهم الإسلام.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾، يقول تعالىٰ ذكره: ثم يأملُ ويرجو أن أزيده من المال والولد، علىٰ ما أعطيته. . ﴿كَلاَّ﴾: يقول: ليس ذلك كما يأمَلُ ويرجو، مِن أن أزيدَه مالاً وولداً وتمهيداً في الدنيا.

﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً﴾: إن هذا الذي خلقتُه وحيداً كان لآياتنا ـ وهي حُجَجُ اللَّهِ علىٰ خلقه من الكتب والرسل ـ معانداً.

- قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لآيتنا جحوداً».
- وقال مجاهد: «معانداً للحق مجانبًا».
- وقال قتادة: «كفوراً بآيات اللَّه، جَحُوداً بها».
- وقال سفيان: «مُشَاقًّا».

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾ يقول تعالىٰ ذكره: سأُكلِّفه مشقةً من العذاب لا راحةَ له فيها.

- قال مجاهد: «مشقةً من العذاب».
- وعن قتادة: «عذابًا لا راحةَ فيه».

- قال الطبري: «إن هذا الذي خلقتُه وحيداً، فكَّر فيما أنزله اللَّهُ علىٰ عبده محمد ﷺ من القرآن، وقدَّر ما يقول فيه، ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾: فلُعِن كيف قدَّر، ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ يقول: ثم لُعِن كيف قدَّر القولَ فيه، ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ يقول: ثم تَرَوَّىٰ في ذلك، ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾: ثم قَبَض ما بين عينيه، ﴿وَبَسَرَ﴾، يقول: كَلَح وكَرُه وجهه.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾: ثم ولَّىٰ عن الإيمان بما أنزل اللَّه من كتابه والتصديق به، والاستكبار عن الإقرار بالحق، ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ

يُؤْثَرُ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: فقال: إن هذا الذي يتلوه محمدٌ، إلاَّ سحرٌ يَأْثِره عن غيره.

▢ قال أبو رَزين: «يأخذُه عن غيره».

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾: سأورده بابًا من أبواب جهنم.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾: لا تُبقِي مَن فيها حيًّا، ولا تَذَرُ مَن فيها ميّتًا، ولكنها تحرقُهم كلَّما جُدِّدُ خَلْقُهم.

▢ قال مجاهد: «لا تُميت ولا تُحْيي».

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾: يعني جلَّ ثناؤه: مُغَيِّرَةٌ لبَشْرَة أهلها.

▢ قال ابن عباس: «تَحْرِق بَشْرة الإنسان»[1].

▢ قال قتادة: «حَرَّاقةٌ للجلد».

كان الوليدُ شيخَ أهلِ الكفر وأشدَّ الناسِ عداوةً لرسول اللَّه ﷺ، وقد رُويت عنه مواقفُ كثيرةٌ في الكيد لرسول اللَّه ﷺ وإنذارِ أصحابه، والوقوفِ في وجهِ الدعوة، والصَّدِّ عن سبيل اللَّه.

▢ قال القاسمي: «اتفق المفسِّرون أن هذه الآيات نزلت في الوليدِ بن المغيرةِ المخزومي، أحدِ رؤساء قريش ـ لعنه اللَّه ـ»[2].

▢ قال محمد الطاهر بن عاشور: «كان الوليدُ بنُ المغيرة، يُلقَّبُ في قريش بـ «الوحيد»، لِتوحُّدِه وتفرُّده باجتماعِ مزايا له، لم تجتمعْ لغيره من طَبَقته؛ وهي كثرةُ الولد، وسَعَةُ المال، ومَجدِه، ومجدِ أبيه مِن قبلِه، وكان

---

(١) انظر «تفسير الطبري» (٢٣/ ٤٢١ ـ ٤٣٥) باختصار.

(٢) «محاسن التأويل» للقاسمي (١٥/ ٥٩٧٨).

مرجعَ قريشٍ في أمورهم؛ لأنه كان أسنَّ من أبي جَميل وأبي سفيان، فلما اشتُهر بلقب «الوحيد»، كان هذا الكلام إيماءً إلىٰ الوليد بن المغيرة المشتهر به، وجاء هذا الوصفُ بعد فعل: «خَلقتُ»، ليُصرف هذا الوصفُ عما كان مراداً به؛ أي أوجدتُه وحيداً عن المال والبنين والبَسْطة، فيُغيَّر عن غرض المدح والثناء الذي كانوا يخصُّونه به إلىٰ غرضِ الافتقار إلىٰ اللّه؛ الذي هو حالُ كلِّ مخلوق.

◻ عن ابن عباس: «كان مالُ الوليد بين مكةَ والطائفِ من الإبل، والغنم، والعبيد، والجواري، والجِنان، وكانت غَلَّةُ مالِهِ ألفَ دينارٍ في السَّنة».

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً﴾؛ تيسيرَ أموره، ونفاذَ كلمته في قومه؛ بحيث لا يَعسر عليه مَطْلَبٌ، ولا يَستعصي عليه أمرٌ».

◻ ثم قال الشيخ الطاهر بن عاشور: «الصَّعود: العقبةُ الشديدةُ التصعُّد الشاقةُ علىٰ الماشي؛ وهي «فَعول»، مبالغةً من «صَعِد»، فإن العقبة صَعْدة، فإذا كانت عقبــةٌ أشدُّ تصعُّداً من العقبات المعتادة قيل لها: صَعُود.

وقوله: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾، تمثيلٌ لضدِّ الحالة المُجمَّلة في قوله: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً﴾، أي: سينقلبُ حالُه من حال راحةٍ وتنعُّم إلىٰ حالةٍ سُوأىٰ في الدنيا، ثم إلىٰ العذاب الأليم في الآخرة، وكلُّ ذلك إرهاقٌ له»[1].

◻ قال البِقاعي في «نظم الدرر»: «أكملتُ له من سعادة الدنيا ما أوجب التفردَ في زمانه من أهل بيته وفخِذه؛ بحيث كان يسمَّىٰ: «الوحيد،

---

(١) «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٣٠٧).

وريحانة قريش»، فلم يَرْعَ هذه النعمة العظيمة، ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلاَّ﴾، لم يُزَدْ بعد ذلك شيئًا؛ بل لم يزل في نقصان حتىٰ هلك، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥]، ليرتدعَ عن هذا الطمع، وليزدجرَ وليرتجع، فإنه حُمقٌ محض، وزخرفٌ بحت، وغُرورٌ صِرف.

﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾، أي: بالغَ العنادِ علىٰ وجهٍ لا يُعَدُّ عناده لغيرها؛ بسبب مزيد قبحِه عنادًا.

والعناد، كما قال المَلَوي: مِن كِبْرٍ في النفس، أو يُبْسٍ في الطبع، أو شراسةٍ في الخُلق، أو خَبَلٍ في العقل، وقد جُمع ذلك كلُّه لإبليس.

لما كان العناد غِلظةً في الطبع، أو شكاسةً في الخُلق، يُوجِبُ النكدَ والمشقَّةَ، جُعل جزاؤه من جِنسه، فقال: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾، أي: أُلحِقُه بعُنفٍ وغِلظةٍ وقهرٍ، إلحاقًا يَغشاه ويُحيطُ به، وعيدًا لا خُلْفَ فيه.

﴿صَعُودًا﴾، أي: شيئًا من الدواهي والأنكار؛ كأنه عَقَبة.

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾، حادَ عن وجه الأفكار إلىٰ أقفائِها، سكت ألفًا، ونطق خلفًا، فكان شبيهًا من بعض الوجوه بما قاله بعضهم:

لَوْ قِيلَ كَمْ خَمْسٌ وَخَمْسٌ لاَغْتَدَى	يَوْمًا ولَيْلَتَــهُ يَعُــدُّ وَيَحْسبُ
وَيَقُولُ مُعْضِــلَةٌ عَجِيبٌ أمرُهَــا	ولَئِنْ عَجِبْتُ لَها لأَمْرِي أَعْجَبُ
حَتَّى إِذَا خَـدَرَتْ يَــدَاهُ وغُوِّرتْ	عَيـنـاهُ ممَّا قَـدْ يَخُـطُّ وَيَكْتُبُ
أَوْفَى عَلَى شَـرَفٍ وَقَالَ أَلا انْظُرُوا	ويَكَادُ منْ فَرَحٍ يُـجَنُّ ويُسْــلَبُ
خَمْسٌ وَخَمْسٌ سِــتَّةٌ أَوْ سَبْـعَةٌ	قَوْلاَنِ قَالَهُمَا الْخلِيــلُ وَثَعْلَبُ

* قال تعالىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾، أي: الدَّرَكَة النارية؛ التي تَفعلُ في الأدمغةِ من شدَّةِ حُموِّها ما يَجِلُّ عن الوصف، فأُدخله إياها، وأُلْوِحُه في شدائد حرِّها، وأُذيب دماغَه بها، وأُسيلُ ذِهنَه وكلَّ عصارته بشديدِ حرِّها. . جزاءً علىٰ تفكيره هذا، الذي قدَّره، وتخيَّله وصَوَّره بإرادته في طبقاتِ دماغه؛ ليحرقَ أكبادَ أولياءِ اللَّه وأصفيائه»[١] .

□ «﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾: التصعيدُ في الطريق: هو أشقُّ السَّير وأشدُّه، فإذا كان دَفعًا من غير إرادةٍ من المُصعَد كان أكثَرَ مشقةً وأعظمَ إرهاقًا، وهو في الوقت ذاتِه تعبيرٌ عن الحقيقة؛ فالذي ينحرفُ عن طريقِ الإيمان السهلِ الميسَّرِ الوُرودِ، يَندبُّ في طريقٍ وعرٍ شاقٍّ مبتوت، ويقطعُ الحياةَ في قلقٍ وشدةٍ وكُربةٍ وضِيق، كأنما يصَّعَّد في السماء، أو يصَّعَّد في وعْرٍ صلد، لا رِيَّ فيه ولا زاد، ولا راحةَ ولا أملَ في نهاية الطريق! .

ثم يرسُمُ تلك الصورةَ المُبدعةَ المثيرةَ للسخرية، والرجلُ يُكِدُّ ذِهنَه، ويَعصِرُ أعصابَه، ويَقبضُ جَبينه، وتَكْلَحُ ملامحُه وقَسَماتُه، كلُّ ذلك لِيجدَ عيبًا يَعيبُ به هذا القرآن، وليجدَ قولاً يقولُه فيه؛ جِدَّ مُصطَنَع، متكلَّف يُوحي بالسخرية منه والاستهزاء، وبعد هذا المَخاض كلِّه؛ وهذا الحزَق كلِّه، لا يُفتحُ عليه بشيء، إنما يُدبِرُ عن النور، ويستكبرُ عن الحق.

إنها لَمَحاتٌ تدعُ صاحبَها سخريةَ الساخرين أبدَ الدهر، وتُثبِتُ صورتَه الرزيَّةَ في صُلْب الوجود، تتملأَّها الأجيالُ بعد الأجيال.

فإذا انتهىٰ عَرضُ هذه اللمحات، عَقَّب عليها بالوعيد المفزع:

---

(١) «نظم الدرر» للبقاعي (٢١/ ٥١ ـ ٥٩).

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ . . وزاد هذا الوعيدَ تهويلاً بتجهيل سقر، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾، إنها شيءٌ أعظمُ وأهولُ من الإدراك، ثم عَقَّب علىٰ التجهيل بشيءٍ من صفاتها أشدَّ هولاً: ﴿لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾، فهي تَكنِسُ كنسًا، وتَبلعُ بلعًا، وتمحو محوًا، فلا يقفُ لها شيء، ولا يقفُ وراءَها شيء، ولا يبقَىٰ وراءَها شيء، ولا يفضلُ منها شيء»[1] .

هذا دينٌ رفيع، لا يُعْرِضُ عنه إلاَّ مطموس، ولا يَعيبُه إلاَّ منكوس.

* وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

◻ قال ابن عباس: «يعني بالعظيم: الوليد بن المغيرة القرشي، وحبيب ابن عمرو بن عمير الثقفي . . وبالقريتَيْن: مكة والطائف».

◻ وقال قتادة: «الرجل: الوليد بن المغيرة قال: لو كان ما يقول محمدٌ حقًّا، أُنزل عليَّ هذا أو علىٰ ابن مسعود الثقفي»[2] .

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ .

◻ يقول ـ جَلَّ وعَزَّ ـ: أهؤلاء القائلون يا محمدُ، يَقسِمون رحمةَ ربِّك بين خَلْقه، فيجعلون كرامتَه لمن شاؤوا، وفَضْلَه عند مَن أرادوا، أمِ اللَّهُ الذي يَقسِمُ ذلك، فيُعطِيه مَن أحبَّ، ويَحرمُه من شاء؟ .

قال: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يقول ـ عز وجل ـ: بل نحن نقسمُ رَحمتَنا وكرامتَنا بين مَن شِئنا من خَلْقِنا، فنجعلُ مَن

(١) «الظلال» (٦/ ٣٧٥٦).

(٢) هو عروة بن مسعود الثقفي سيد أهل الطائف.

شئنا رسولاً، ومَنْ أردْنا صدِّيقًا، ونتَّخذُ من أردنا خليلاً، كما قَسَمْنا بينهم معيشتَهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات، فجعلنا بعضَهم فيها أرفعَ من بعض درجةً بأنْ جَعَلنا هذا غنيًّا وهذا فقيرًا، وهذا مَلِكًا وهذا مملوكًا؛ ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾، يعني بذلك العبيدَ والخَدَم سَخَّرهم لهم.

☐ قال قتادة: «﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، يعني: الجنة»[1].

* قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، وقد جَعَلها حيث عَلِم، واختار لها أكرمَ خَلقِه وأخلَصَهم، وجعل الرسلَ هم ذلك الرَّهْطَ الكريمَ، حتىٰ انتهت إلىٰ محمدٍ خيرِ خلقِ اللَّه وخاتمِ النبيين..

تتباهى بك العصــــورُ وتسمــو بك عَليــــاءٌ دونـهـا عليــــاءُ
أنت مصبــــاحُ كلِّ فضــــلٍ فما يَصدُرُ إلاَّ عن ضوئك الأضــواءُ

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾، والصَّغار هو: أشدُّ الذُّلِّ، يُقابِلُ الاستعلاءَ عند الأتباع، والاستكبارَ عن الحق، والتطاولَ إلىٰ مقامِ رُسل اللَّه! والعذابُ الشديد يُقابل المكرَ الشديد، فالعِداءُ للرسل، والأذىٰ للمؤمنين، وصَدَق اللَّه إذ يقول:

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٥٨٠ـ٥٨٦) مختصرًا.

﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

والرِّجس هو: النَّجَس الذي لا خيرَ فيه، وهو الشيطانُ، كما قال ابن عباس:

لــواءُ ضـــلالٍ قاد إبليسُ أهلَــه فخاسَ بهم إنَّ الخبيث إلى غَـــدْرِ

ومن معاني الرجس: العذاب، ومن معانيه كذلك: الارتكاس، وكلاهما يُلَوِّن هذا العذابَ بمشهدِ الذي يرتكسُ في العذاب ويعودُ إليه ولا يفارقه.

*** أبو لهب، وامرأته حمَّالة الحطب، وابنه:**

أفمَن رَغِب عن اللَّه كمن رَغِب إلى اللَّه؟! لا يستويانِ ولا يلتقيان..

هل يستوي من رســولُ اللَّه قائدُه دَوْمًا وآخــرُ هاديــه أبو لَهَب؟!

وأينْ مَن كانتِ الزهــراءُ أُسْوَتَها ممَّنْ تَقَفَّتْ خُطَا حَمَّالةِ الحَطَبِ؟!

وأبو لهب هذا الذي أفرد اللَّهُ ذِكرَه من كفارِ قريش، هو أحدُ أعمامِ رسول اللَّه ﷺ، واسمُه «عبدالعزى بن عبدالمطلب»، وكنيته «أبو عتبة»، وإنما سُمِّي أبا لهب؛ لإشراق وجهه، ولتلهُّب وَجنتيه، وكأنَّ كنيَته من جنسِ عمله ومآلِه إلى ذاتِ اللَّهب، فوافقت حالُه كنيتَه، فحَسُن ذِكرُه بها، وامرأتُه «أم جميل»، واسمها «أروى بنت حرب بن أميَّة»، وهي أختُ أبي سفيان.

ولقد كان أبو لهب كثيرَ الأذية لرسول اللَّه ﷺ والبغضِ له، والازدراءِ به، والتنقُّصِ له ولدينه.

وانظر إلى نموذجٍ من نماذجِ كيدِ أبي لهبٍ لدعوةِ الرسول ﷺ، التي

عاداها من اليوم الأول للدعوة.

● روىٰ الإمام أحمد، عن ربيعةَ بن عبَّادٍ من بني الدِّيَل ـ وكان جاهليًّا، فأسلم ـ قال: «رأيتُ النبي ﷺ في الجاهلية، في سُوقِ ذي المجاز وهو يقول: «**يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا اللَّه تفلحوا**»، والناس مجتمِعون عليه، ووراءَه رجلٌ وضيءُ الوجهِ أحولُ ذو غَديرَتَينِ، يقول: إنه صابئٌ كاذب، يتبعُه حيث ذهب، فسألتُ عنه، فقالوا: هذا عمُّه أبو لهب»[1].

● وروىٰ محمد بن إسحاق عن ربيعةَ بن عباد الدِّيَلي قال: «إني لَمَع أبي غلامٌ شاب، أنظرُ إلىٰ رسول اللَّه ﷺ يتبعُ القبائل، ووراءَه رجلٌ أحولُ وَضِيءٌ ذو جُمَّةٍ، يقفُ رسولُ اللَّه ﷺ علىٰ القبيلة فيقول: «**يا بني فلان، إني رسولُ اللَّه إليكم، آمرُكم أن تَعبُدوا اللَّهَ، لا تُشركوا به شيئًا، وأن تُصدِّقوني وتمنعوني، حتى أُنفذَ عن اللَّه ما بعثني به**»، وإذا فرغ من مقالته قال الآخَرُ مِنْ خلفه: يا بَنِي فلان، هذا يريدُ منكم أن تَسلُخوا اللاتَ والعزَّىٰ، وحُلفاءَكم من الجنِّ من بني مالك بن أقيس، إلىٰ ما جاء به من البدعةِ والضلالة، فلا تسمعوا له وتتبعوه.

فقلت لأبي: من هذا؟ قال: عمه أبو لهب»[2].

* قال تعالىٰ: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**﴾ [المسد: ١-٥].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٣٤١)، وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

(٢) رواه أحمد، والطبراني، وقال الشيخ شعيب: «إسناده ضعيف».

● رَوىٰ البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج إلىٰ البطحاء، فصعد الجبل، فنادىٰ: «يا صباحاه»، فاجتمعت إليه قريش، فقال: «أرأيتمُ إن حدَّثتُكم أن العدوَّ مُصبِّحُكم أو مُمسيكم، أكنتم تصدقوني؟» قالوا: نعم، قال: «فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتَنا؟ تبًّا لك، فأنزل اللَّه: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾»[1] .

● وفي رواية: «فقام ينفضُ يديه، وهو يقول: تبًّا لك سائرَ اليوم، ألهذا جمعتَنا؟ فأنزل اللَّه: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾»[2] .

● وعن سعيدِ بنِ جُبير، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: لَمَّا نزلت: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ علىٰ الصَّفا، فجعل يُنادِي: «يا بني عَدِيٍّ» ـ لبطون قريش ـ، حتىٰ اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يَخرجَ أرسل رسولاً لينظرَ ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريشٌ، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتُكم أنَّ خيلاً بالوادي تريدُ أَنْ تُغِيرَ عليكم، أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟» قالوا: نعم، ما جَرَّبنا عليك إلاَّ صِدْقًا. قال: «إني نذيرٌ لكم بين يديْ عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبًّا لك سائرَ اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ [اللهب: ١ ـ ٢]»[3] .

---

(١) رواه البخاري، تفسير سورة: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾.

(٢) البخاري كتاب الجنائز؛ باب ذكر شرار الموتىٰ؛ وتفسير سورتي «الشعراء وسبأ».

(٣) رواه البخاري (١٠/ ١١٨)، وأعاده في تفسير سورة «تبت» (١٠/ ٣٦٨، ٣٦٩)، وآخر كتاب الجنائز (٣/ ٥٤)، وأخرجه مسلم (٣/ ٨٣)، والترمذي (٤/ ٢٢٠)، وأحمد (١/ ٢٨١)، وابن جرير في «التاريخ» (٢/ ٢١٦)، وفي «التفسير» (١٩/ ١٢١)، =

من أول يوم ينفردُ هذا الكافرُ بالكيدِ للرسول ﷺ وتتبُّعِ خَطْوِه، والردِّ على مقالته، فأفرد اللَّهُ ذِكرَه، وشَهَره بكنيته دون بقيةِ صناديد الكفر من قريش.

ولما قال للرسول ﷺ: «تبًّا لك»، وقام ينفض يديه، فتنزل السورة تردُّ على هذه الحربِ المعلَنةِ من أبي لهب وامرأته، وتَولَّىٰ اللَّهُ سبحانه عن رسولِ اللَّه ﷺ أمرَ المعركة.

قال: «تبًّا لك»، فكان الجزاء: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، دعاءٌ بدعاء، ولفظٌ بلفظ.

نَفَض يديه، فجاء ذِكرُ اليدين: ﴿تَبَّتْ يَدَا﴾، واحدةً بواحدة، يداك أَوْكَتَا، وفُوك نَفَخ - أبا لهب -.

سائرَ اليوم، سائرَ الدهر، وأنت بعدُ في دار الدنيا ﴿وَتَبَّ﴾.

□ «ولم يُقيِّضِ اللَّهُ له ولا لامرأته أن يُؤمِنا، ولا لواحدٍ منهما، لا ظاهرًا ولا باطنًا، ولا سرًّا ولا مُعلَنًا؛ فكان هذا مِن أقوىٰ الأدلةِ الباهرةِ علىٰ النبوَّة الظاهرة»[1].

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، تبابٌ وهلاكٌ وبَوارٌ وقَطع، في آيةٍ

= (٣/ ٣٣٧)، والنسائي في «التفسير» كما في عمدة القارئ (١٦/ ٩٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٤٣١). وهذا الحديث مرسل؛ لأن ابن عباس كان حينئذ إمّا لم يولد أو كان طِفلاً، وبه جزم الإسماعيلي. انظر «عمدة القارئ» (١٩/ ١٠٢) ثم قال: أقول هو مرسل صحابي، ومرسل الصحابي لا ضير عليه ولا مطعن فيه. انظر «الصحيح المسند من أسباب النزول» للوادعي» (ص١٧٧).

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٣٧).

قصيرةٍ واحـدة، تَصدُرُ الدعوةُ وتتحقق، وتنتهي المعركةُ، ويُسدل السِّتار!.

ولما أجمع بنو هاشم بقيادةِ أبي طالبٍ علىٰ حماية النبي ﷺ ولو لم يكونوا علىٰ دِينه؛ لدافعِ العصبيةِ القَبَلية، خَرَج أبو لهبٍ علىٰ إخوته، وحالَفَ عليهم قريشًا، وكان معهم في الصحيفة التي كتبوها بمقاطعةِ بني هاشم وتجويعهم؛ كي يُسلِموا لهم محمداً ﷺ، وكان قد خَطَب بنتي الرسول ﷺ «رقية وأمَّ كلثوم»، لولديه قبل بعثة النبي ﷺ، فلما كانت البعثةُ أمرهما بتطليقهما؛ حتىٰ يُثقِلَ كاهلَ محمدٍ ﷺ بهما.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾.

◻ قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾، «يعني: ولدَه».. وروي عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين مثله.

لما دعا رسولُ اللَّه ﷺ قومَه إلىٰ الإيمان، قال أبو لهب: إنْ كان ما يقول ابن أخي حقًّا، فإني أفتدي نفسي يومَ القيامة من العذاب بمالي وولدي، قال اللَّه ـ عز وجل ـ لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

◻ قال القاسمي: «قال الشهاب: والذي صحَّحه أهـلُ الأثر أن أولاده ـ لعنه اللَّه ـ ثلاثة: مُعتِّب، وعُتبة، وهما أسلما، وعُتيبة ـ مصغَّرًا ـ وهذا هو الذي دعا عليه النبي ﷺ لما جاهر بإيذائه وعداوته، وردَّ ابنته وطلَّقها، وقال صلوات اللَّه عليه وسلامه: «اللَّهم سلِّط عليه كلبًا من كلابك»، وفيه يقول حسان رضي الله عنه:

مَنْ يرجِــعُ الْعَــامَ إِلَى أَهْلِهِ ... فَمَا أَكِيلُ السَّبْعِ بالرَّاجِعِ»[1]

---

(١) «محاسن التأويل» للقاسمي (١٧/ ٦٢٩٢).

□ قال ابن كثير: «روىٰ ابن عساكر في ترجمة «عُتيبة بن أبي لهب» من طريق محمد بن إسحاق عن هبَّار بن الأسود قال: كان أبو لهب وابنُه عُتيبة قد تجهَّزا إلىٰ الشام، فتجهزتُ معهما، فقال ابنُه عُتيبة: واللَّهِ لأنطلقُ إلىٰ محمدٍ ولأوذينَّه في ربِّه ـ سبحانه ـ فانطلق حتىٰ أتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: يا محمد، هو يكفرُ بالذي دنا فتدلَّىٰ، فكان قابَ قوسين أو أدنىٰ. فقال النبي ﷺ: «**اللَّهم، ابعث إليه كلبًا من كلابك**»، ثم انصرف عنه فرجع إلىٰ أبيه، فقال: يا بُني، ما قلتَ له؟ فذكر ما قال له، قال: فما قال لك؟ قال: قال: «**اللَّهم سلِّطْ عليه كلبًا من كلابك**». قال: يا بني، واللَّهِ ما آمَنُ عليك دعاءه»[1].

□ وفي رواية عروة بن الزبير: «أن عُتيبة بنَ أبي لهب، وكان تحته بنتُ رسول اللَّه ﷺ أراد الخروجَ إلىٰ الشام، فقال: لآتِينَّ محمداً فلأوذينَّه، فأتاه فقال: يا محمدُ، هو كافر بالنجم إذا هوىٰ، وبالذي دنا فتدلَّىٰ، ثم تَفَل في وجهِ رسول اللَّه ﷺ وردَّ عليه ابنتَه وطلَّقها، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**اللَّهم سلِّطْ عليه كلبًا من كلابك**»، وكان أبو طالب حاضراً، فوجم لها وقال: ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة، فرجع عُتيبةُ إلىٰ أبيه فأخبره»[2].

فسرنا حتي نزلنا الشَّراة[3]، وهي مأسدة[4]، فنزلنا إلىٰ صومعةِ

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٢١) سورة النجم.

(٢) «تفسير القرطبي» (٩/ ٦٢٥٣).

(٣) الشراة: صِقْع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول ﷺ، وفي اللسان: موضع تنسب إليه الأسد، يقال للشجعان: ما هم إلا أسود الشرىٰ، والشرىٰ: طريق في سلمىٰ كثير الأُسد.

(٤) الأرض كثيرة الأسود.

راهب، فقال: يا معشرَ العرب، ما أنزلكم هذه البلادَ، فإنها تسرحُ الأُسْدُ فيها كما تسرحُ الغنم، فقال لنا أبو لهب: إنكم قد عرفتم كِبَرَ سنِّي وحَقِّي، وإن هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة، واللَّهِ ما آمنُها عليه، فأجمِعوا متاعَكم إلى هذه الصومعة، وافرِشوا لابني عليها، ثم افرِشوا حولها، ففعلنا، فجاء الأسد فشمَّ وجوهَنا، فلما لم يَجِدْ ما يريدُ، تَقبَّضَ فوثب، فإذا هو فوق المتاع، فشمَّ وجهه، ثم هَزَمه هَزْمةً[1]، ففضخ[2] رأسه، فقال أبو لهب: قد عرفتُ أنه لا ينفلتُ عن دعوة محمد».

فانظر أخي يرحمك اللَّه، لما تَفَل في وجه رسول اللَّه ﷺ أتى الأسدُ، فشمَّ وجهَه، وفضخ رأسه، لم يأكلْه من يديه أو رجليه، وإنما وجهٌ بوجهٍ.

بَصْقٌ في وجهِ نبيٍّ، وفَضْخٌ في رأسِ شقيٍّ، ومعذرةٌ لرسول اللَّه ﷺ.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّـــيفَ يَنقُصُ قَـــدْرُه   إذا قيل: إنَّ السَّيفَ أمضى من العصا؟!

فابن أبي لهب لا يناسبه إلاَّ كلب[3].

□ قال حسان بن ثابت ﷺ في قصة الأسد مع أبي واسع عُتَيْبَة بن أبي لهب:

سائِلْ بني الأَشْعَرِ إنْ جئتَهُم   ما كان أنبـــاءُ أبي وَاسِـــعِ[4]

---

(١) أي: ضربه ضربة.

(٢) أي: شدخه.

(٣) قال القاسمي في «محاسن التأويل» (١٧/ ٦٢٩٢): ومنه يُعلَم أن الأسد يُطلقَ عليه كلب، ولما أُضيف إلى اللَّه؛ كأنه أعظم أفراده.

(٤) بني الأشعر: يعني الأشعريين، وقال بعض الناس: خرج عتبة إلى ناحية اليمن إلى سوق حباشة، ومن قال سائل بن الأصفر قال خرج عُتيبة إلى حوران.

لاَ وَسَّعَ اللَّهُ له قَبْرَهُ ... بَلْ ضَيَّقَ اللَّهُ على القَاطِعِ
رِحْمَ نَبِيٍّ جَدُّهُ جَدُّهُ ... يَدْعو إلى نُورِ هُدًى سَاطِعِ
أَسْبَلَ بالحِجْرِ لتَكْذيبه ... دُونَ قُرَيْشٍ نَهْزَةُ القَاذِعِ
فاسْتَوْجَبَ الدَّعْوَةَ منْهُ فَقَدْ ... بَيَّنَ للناظِرِ والسَّامِعِ
إن سَلَّطَ اللَّهُ به كَلْبَهُ ... يمشي الهُوينى مشيةَ الخادِعِ
فالتهمَ الرأسَ بِيَافُوخِهِ ... والحَلْقَ منه فَغْرَةَ الجَائِعِ
أَسْلَمْتُمُوه وهو يَدْعُوكُمُ ... بالنَّسَبِ الأَدْنَى وبالجَامِعِ
واللَّيْثُ يَعْلُوهُ بأنْيَابه ... مُنْعَفِرًا وَسْطَ الدَّمِ النَّاقِعِ
لا يَرْفَعُ الرَّحْمَنُ مَصْرُوعَكُم ... ولا يُوهِنُ قُوَّةَ الصَّارِعِ
مَنْ يَرجعُ العامَ إلى أهلِه ... فما أَكِيلُ السَّبْعِ بالرَّاجِعِ
قد كانَ فيه لَكُمْ عِبْرَةٌ ... للسَّيِّدِ المَتْبُوعِ والتَّابِعِ
من عادَ فاللَّيْثُ لَهُ عَائِدٌ ... أَعْظِمْ بِهِ من خَبَرٍ شَائِعِ[1]

* ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾:

▫ قال أبو رافع مولىٰ رسول اللَّه ﷺ: «رَمَاه اللَّه بالعَدَسة فَقَتلته، فلقد تركه ابناه بعدَ موته ثلاثًا، ما دفناه حتىٰ أنتَنَ، وكانت قريشٌ تتَّقي هذه العدسة كما تتقي الطاعون، حتىٰ قال لهم رجلٌ من قريش: ويحكما، ألاَ تستحيانِ! إن أباكما قد أنتَنَ في بيته لا تدفنانه؟ فقالا: إنا نخشىٰ عَدْوَةَ هذه القَرْحة، فقال: انطلِقا فأنا أعينُكما عليه، فواللَّهِ ما غَسلوه إلاَّ قَذْفًا بالماء

(١) «ديوان حسان بن ثابت» ـ تحقيق د. سيد حنفي (ص١٦٢ ـ ١٦٣) ـ دار المعارف.

عليه من بعيدٍ ما يَدْنُون منه، ثم احتملوه إلىٰ أعلىٰ مكة، فأسندوه إلىٰ جدارٍ، ثم رجموا عليه بالحجارة».

❑ عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها كانت لا تمرُّ علىٰ مكانِ أبي لهب هذا، إلاَّ تستَّرت بثوبها حتىٰ تجوز.

* ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾:

* **مَن للأحولِ غيرُ أمِّ قبيح، أمِّ جميل العوراء:**

❑ قال ابنُ العربي: «العوراءُ أم قبيح، وكانت عوراءَ، مَن لها غيرُ أبي النار، أبي لهب؟! حَقَّق اللَّه نَسَبه، لقد صَرَفهم اللَّهُ علىٰ أن يقولوا: «أبو النور، وأبو الضياء» ـ الذي هو المشترِك بين المحبوب والمكروه ـ، وأجرىٰ علىٰ ألسنتهم أن يُضيفوه إلىٰ لهب، الذي هو مخصوصٌ بالمكروه والمذموم ـ وهو النار ـ، ثم حَقَّق ذلك بأن يجعلها مَقَرَّه».

❑ قال ابنُ كثير عن أمِّ جميل: «كانت عَونًا لزوجها علىٰ كُفرِه وجُحودِه وعناده، فلهذا تكونُ يومَ القيامة عونًا عليه في عذابه في نار جهنم، ولهذا قال: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾، يعني: تحملُ الحطبَ فتُلقي علىٰ زوجِها، ليزدادَ علىٰ ما هو فيه، وهي مهيأةٌ لذلك، مستعدَّةٌ له»[1] .. والجزاء من جنس العمل.

﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾: عن مجاهد وعكرمة، والحسن، والقتادة، والثوري، والسُّدِّي: «كانت تمشي بالنميمة».

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٣٥).

◻ وعن ابن عباس، وعطية الجَدَلي، والضحاك، وابن زيد: «كانت تضعُ الشوكَ في طريق رسول اللَّه ﷺ». . واختاره ابن جرير.

◻ قال الإمام ابن جرير: «وأولىٰ القولين في ذلك بالصواب عندي هو قول من قال: كانت تحملُ الشوك، فتطرحُه في طريقِ رسول اللَّه ﷺ، لأن ذلك أظهرُ».

◻ قال الربيع: «فكان النبيُّ ﷺ يطؤُه كما يطأُ الحرير».

ومثلما حَمَلت الشوكَ والعِضاةَ تطرحُه في طريقِ رسول اللَّه ﷺ، فكذا تحملُ الحطبَ علىٰ زوجِها في النارِ جزاءً وفاقًا.

◻ قال قتادة وغيره: «كانت تُعيِّرُ رسولَ اللَّه ﷺ بالفقر، ثم كانت مع كثرةِ مالها تحملُ الحطبَ لشدةِ بُخلها، فُعيِّرت بالبُخل»[1].

◻ قال مُرَّة الهَمْداني: «كانت أم جميل تأتي كلَّ يوم بإبَّالةٍ[2]، من الحَسَكِ[3]، فتطرحُها في طريقِ المسلمين، فبينما هي حاملةٌ ذاتَ يوم حُزْمةً أعْيَت، فقَعَدت علىٰ حَجَرٍ لتستريح، فجَذَبها المَلَكُ من خلفها فأهلكها»[4].

خَنَقها اللَّهُ بحَبلها.

◻ قال سعيد بن جبير: «حمالةَ الخطايا والذنوب، من قولهم: «فلان يحتطبُ علىٰ ظهره»، دليلُه قوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]، ولا يظلمُ ربك أحدًا».

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٧٣٣٠).

(٢) الإبالة: الحزمة الكبير.

(٣) الحسك: نبات له ثمرة ذات شوك، تعلق بأصواف الغنم، وهو السعدان.

(٤) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٧٣٣٠).

* ﴿فِي جِيدِهَا[1] حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾:

□ قال سعيد بن المسيِّب: «كانت لها قِلادةٌ فاخرة، فقالت: لأُنفقَنَّها في عداوةِ محمدٍ، فأعقبَها اللَّهُ بها حبْلاً في جِيدِها من مَسدِ النار».

□ وعن الثوري: «هي قلادةٌ من نارٍ طولُها سبعون ذراعًا»[2].

أبو لهب: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ ستَصلاها، وفي عُنقها حَبلٌ من مَسَد، تناسُقٌ في اللفظ، وتناسقٌ في الصورة، فجهنم هي نارٌ ذاتُ لهب، يَصلاها أبو لهب، وامرأتُه تحملُ الحطب، وتُلقِيه في طريقِ محمدٍ لإيذائه والحطبُ مما يوقَدُ به اللّهب، وهي تَحزِمُ الحطبَ بحبل، فعذابها في النار ذاتِ اللَّهب، أن تُغَلَّ بحبلٍ من مَسد، ليتم الجزاءُ من جنس العمل»[3].

وانظر يا أخي، مثلما أرادا أن يُنغِّصَا عيشَ رسولِ اللَّه ﷺ، بتطليق ابنتَيه، وتتبُّعِه في المجالس بتكذيبه، مثلما أثارا حَربًا شعواءَ علىٰ النبيِّ ﷺ، وعلىٰ الدَّعوة، لا هوادةَ فيها، ولا هُدنة، انظر إلىٰ وقعِ السورة في نفسِ أمِّ جميل، التي ذُعرت لها، وجُنَّ جنونُها، وحَسِبت أن رسول اللَّه ﷺ قد هجاها بشِعرٍ، وبخاصةٍ حين انتشرت هذه السورة، وما تحمله من تهديدٍ ومَذمَّة، وتصويرٍ زَرِيٍّ لأم جميلٍ خاصةً، وتصويرٍ يُثير السخرية، من امرأةٍ مُعجَبةٍ بنفسها، مُدِلَّةٍ بحَسَبها ونَسَبها، ثم ترتسِمُ لها هذه الصورة ﴿نَارًا

---

(١) الجيد: العنق.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٣٦).

(٣) «الظلال» (٦/ ٤٠٠٠).

ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ في هذا الأسلوب القويِّ الذي يَشيعُ عند العرب.

● عن أسماء بنت أبي بكر قالت: «لما نزلت: **﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾** أقبلت العوراءُ أمُّ جَميلٍ بنتُ حرب، ولها وَلولةٌ وفي يدها فِهر[1]، وهي تقول:

مُـذَمَّـمًا أَبَيـــنَا   وَدِينَـــهُ قَلَيـنَـــا

وَأَمْـــرَهُ عَصَـينَا[2]

ورسولُ اللَّه ﷺ جالس في المسجد، ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر، قال: يا رسول اللَّه، قد أقبلَتْ، وأنا أخافُ عليك أن تراك، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إنها لن تراني**»، وقرأ قُرآنًا اعتصَم به، كما قال تعالىٰ: **﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾** [الإسراء: ٤٥]، فأقبَلَت حتىٰ وقفَتْ علىٰ أبي بكر، ولم تَـرَ رسولَ اللَّه ﷺ، فقالت: يا أبا بكر، إني أُخبرتُ أن صاحبَك هجاني؟، قال: لا، وربِّ هذا البيت ما هجاكِ، فولَّت، وهي تقول: قد عَلِمَتْ قريشٌ إني ابنةُ سيِّدها».

قال: وقال الوليدُ في حديثه، أو غيره: «فعَثُرت أمُّ جميل مِرْطَها وهي تطوف بالبيت، فقالت: تَعِس مُذَمَّم، فقالت أمُّ حكيم بنتُ عبدالمطلب:

(١) أي بمقدار ملء الكف من الحجارة.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٧٣، ٤١٧)، والبخاري في «المناقب في أسماء رسول اللَّه ﷺ» (٧/ ٣٦٩) من «فتح الباري» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ألا تعجبون كيف يصرف اللَّه عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مُذَمَّمًا ويلعنون مُذَمَّمًا وأنا محمد**».

إني لَحصانٌ، فما أكلَّم، وثَقَافٌ[١] فما أُعلَّم، وكلُّنا من بني العمِّ، وقريشٌ بعد أعلم»[٢] .

□ وروىٰ الحافظُ عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ وجاءت امرأةُ أبي لهب، ورسولُ اللَّه ﷺ جالس، ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر: لو تنحَّيتَ لا تؤذيكَ بشيء، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إنه سيُحال بيني وبينها**»، فأقبلَتْ حتىٰ وقفتْ علىٰ أبي بكر، فقالت: يا أبا بكر، هجانا صاحبُك، فقال أبو بكر: لا وربِّ هذه البِنْية، ما نَطق بالشِّعر ولا يتفوَّهُ به. فقالت: إنك لَمُصدَّق. فلمَّا ولَّت قال أبو بكر رضي الله عنه: ما رأتك؟ قال: «**لا، ما زال مَلَكٌ يسترُني حتى ولَّت**»[٣] .

□ «فهكذا بَلَغ منها الغيظُ والحَنَقُ من سَيرورةِ هذا القول الذي حَسِبَتْه شِعراً، وكان الهجاءُ لا يكونُ إلاَّ شعراً مما نفاه أبو بكر، وهو صادقٌ، ولكنَّ الصورةَ المُزرِيةَ المثيرةَ للسخرية، التي شاعت في آياتها قد سُجِّلت في الكتاب الخالد، وسجَّلَتْها صفحاتُ الوجود أيضًا، تنطقُ بغضبِ اللَّهِ وحَرْبه علىٰ أبي لهب وامرأته، جزاءَ الكيد لدعوةِ اللَّه ورسولِه، والتبابُ والهلاكُ والسخريةُ والزِّراية جزاءُ الكائدين لدعوة اللَّه في الدنيا، والنارُ في الآخرة جزاءً وفاقًا، والذلُّ الذي يُشير إليه الحَبلُ، في الدنيا والآخرة جميعًا»[٤] .

(١) أي: ذات فطنة ومعرفة.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٣٦-٥٣٧).

(٣) **حسن الإسناد**: رواه أبو يعلىٰ والبزار بنحوه، وقال: إنه حسن الإسناد، وفيه عطاء بن السائب كان قد تغيّر كذا في «المجمع» (٧/ ٤٤)، وله شاهد عن أسماء بنت أبي بكر بنحوه رواه أبو يعلىٰ.

(٤) «الظلال» (٦/ ٤٠٠١).

* **أُبَيُّ بن خَلَفٍ قَتيلُ رسول اللَّه ﷺ:**

● عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**اشتدَّ غَضَبُ اللَّه على قومٍ فعلوا بنبيِّه - يشير إلىٰ رَباعِيَتِهِ -، اشتدَّ غضبُ اللَّهِ على رجلٍ يقتلُه رسـولُ اللَّه ﷺ في سبيل اللَّه**»[1].

◻ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «اشتدَّ غضبُ اللَّه علىٰ مَن قَتَله النبيُّ في سبيل اللَّه، اشتدَّ غضبُ اللَّه علىٰ قومٍ دمَّوْا وجهَ نبيِّ اللَّه ﷺ»[2].

◻ قال ابنُ إسحاق: كان أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ يَلقَىٰ رسولَ اللَّه ﷺ بمكة، فيقول: يا محمدُ، إن عندي العَوذَ، فرسًا أعلفُه في كلِّ يومٍ فَرْقًا[3] من ذُرةٍ، أقتلُك عليه، فيقول رسول اللَّه ﷺ: «**بل أنا أقتلُك إن شاء اللَّه**»[4].

◻ قال ابن كثير: «عن عروةَ بنِ الزبير قال: كان أُبيُّ بنُ خَلَفَ أخو بني جُمَحٍ، قد حَلَفَ - وهو بمكة - لَيقتُلَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ، فلما بَلَغَتْ رسولَ اللَّه ﷺ حَلْفَتُه قال: «**بل أنا أقتلُه إن شاء اللَّه**»، فلما كان يومُ أحد أقبل أُبَيٌّ في الحديد مُقَنَّعًا، وهو يقول: لا نَجوتُ إن نجا محمدٌ، فحَمَلَ علىٰ رسول اللَّه ﷺ يريدُ قَتلَه، فاستقبله مُصعبُ بنُ عُمير أخو بني عبدالدار يَقِي رسولَ اللَّه ﷺ بنفسه، فقُتِل مصعبُ بنُ عمير، وأبصر رسول اللَّه ﷺ تَرقوةَ أُبيِّ بن خَلَفٍ من فُرجةٍ بين سابغةِ الدِّرع والبَيضة، فطَعَنه فيها بالحَرْبة، فوقع إلىٰ الأرض عن فرسه، ولم يخرجْ من طَعنته دمٌ، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو

---

(١) رواه البخاري (٤٠٧٣)، ومسلم (١٧٩٣).

(٢) رواه البخاري (٤٠٧٤).

(٣) بفتح الراء وإسْكانها: مكيال يسع تسعة عشر مَنًّا؛ وقيل: اثْني عشر مَنًّا.

(٤) «سلسلة معارك الإسلام الفاصلة - غزوة أحد» لمحمد أحمد بشاميل (ص١٦٢).

يَخورُ خُوارَ الثَّوْر، فقالوا له: ما أجزَعَك، إنما هو خدْش؟ فذكر لهم قولَ رسولِ اللَّه ﷺ: «أنا أقتل أُبيًّا»، ثم قال: والذي نفسي بيده، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون.. فمات إلىٰ النار، ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾»[1].

● وقد رواه موسىٰ بنُ عقبةَ في «مغازيه» عن الزهريِّ عن سعيد بن المسيَّب نحوه، وقال ابن إسحاق: «لما أُسند رسولُ اللَّه ﷺ في الشِّعب أدركه أُبيُّ بن خَلَف، وهو يقول: لا نجوتُ إن نجوتَ، فقال القومُ: يا رسولَ اللَّه، يَعطِفُ عليه رجلٌ منَّا؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «دَعُوه»، فلما دنا منه، تناول رسولُ اللَّه ﷺ الحربةَ من الحارثِ بنِ الصِّمَّة، فقال بعضُ القوم ـ كما ذُكر لي ـ، فلما أخَذَها رسولُ اللَّه ﷺ انتَفَض انتفاضةً تطايرنا عنه تطايرُ الشُّعْر[2] عن ظَهر البعير إذا انتفضه، ثم استقبله رسولُ اللَّه ﷺ، فطَعَنه في عُنقه طَعنةً تدأدأ منها[3] مراراً»[4].

◻ «لما رجع إلىٰ قومه، وقد خَدَشه الرسولُ ﷺ بالحَربة خَدْشًا غيرَ كبير، قال: قتلني واللَّهِ محمد، قالوا له: ذهب واللَّهِ فؤادك، واللَّهِ ما بك من بأسٍ قال: إنه قد كان قال بمكة: «أنا أقتُلك»، فواللَّهِ، لو بَصَق عليَّ لَقَتلني.

فكان هذا الشقيُّ هو الوحيدَ الذي قتله رسولُ اللَّه ﷺ بيده

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٥/ ٤٠٣)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٣/ ٢٥٨، ٢٥٩).

(٢) الشُّعْر: بضم الشين وسكون العين: جَمْع شعراء، وهي ذِبَّانٌ حُمْر. انظر «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٤٨٠).

(٣) قال ابن هشام: تدأدأ: تقلّب عن فرسه فجعل يتدحرج.

(٤) «البداية والنهاية» (٥/ ٤٠٣ـ٤٠٤).

الكريمة»(١). فكان جزاؤُه من جنسِ قوله للرسول ﷺ بمكة.

□ قال حسان:

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلاَلَةَ عَنْ أَبِيه أُبيٌّ يَوْمَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ
أَتَيْتَ إِلَيْهِ تَحْمِلُ رِمَّ عَظْمٍ وتُوعِدُهُ وَأَنْتَ بِهِ جَهُولُ

□ وقال أيضًا:

ألاَ مَنْ مُبْلِغٍ عَنِّي أُبيًّا فَقَدْ أُلْقِيتَ فِي سُحْقِ السَّعِيرِ
تَمَنَّى بِالضَّلاَلَةِ مِنْ بَعِيدٍ وَتُقْسِمُ إِنْ قَدَرْتَ مَعَ النُّذُورِ
تمنِّيكَ الأَمَانِيَ مِنْ بَعِيدٍ وَقَوْلُ الْكُفْرِ يَرْجِعُ فِي غُرُورِ
فَقَد لاَقَتْكَ طَعْنَةُ ذِي حِفَاظٍ(٢) كَرِيمِ الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِي فُجُورِ
لَهُ فَضْلٌ عَلَى الأَحْيَاءِ طُرًّا إِذَا نَابَتْ مُلِمَّاتُ الأُمُورِ

□ ولله درُّ أحمد محرم إذْ يقول عن أُبيٍّ ومَقتله:

دَلَفُوا إليه، وظنَّ أكذبُهم مُنًى أنْ قدْ سَقَتْهُ يداه كأسَ حِمَامِه
أَكَذاك ينخَدِعُ الغَبِيُّ وهكذا يتخبَّطُ المَفتونُ في أوهامِه؟
مهلاً أُبَيُّ لقد رَكِبْتَ عَظيمةً وأردتَ صَرْحًا لستَ من هُدَّامِه
صَرحٌ بناهُ اللَّهُ أوَّلَ ما بَنَى وأطالَ من عِرْنِينِه وسَنامِه
لا يَبلغُ البَاني ذُراهُ، ولا يُرَى في الداعمين بناؤه كدِعامِه
أقدِمْ فخُذْها طعنةً من باسلٍ يغتالُ عَزْمَ الليثِ في إقدامِه

(١) «سلسلة معارك الإسلام - أُحُد» (ص١٦٣).

(٢) الحفاظ: الغضب في الحرب.

تلك المنيَّـــةُ يا أُبَيُّ سُـقِيتَها فانظر إلى السَّاقي وروعة جامـه[1]
خَدْشٌ كَوَقْعِ الظُّفْرِ، أَوْ هو دونَـه لِمَ تشتكي وتَضِــجُّ من آلامــه؟
أَأُبَيُّ أين العُــودُ والعَلَفُ الذي أَعْدَدْتَــه، وجعلتَـهُ لطعامـــه؟
اذهبْ لك الويلاتُ من مُتَمَــرِّدٍ عادى الإلهَ ولـجَّ في آثـامـــه[2]

* * *

* **عبدالله بن قَمِئَة ـ لعنه الله ـ رامِي وَجْنَتَيْ رسولِ الله ﷺ . أَقمأهُ الله ولعنه:**

◻ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «اشـتدَّ غضبُ الله على مَن دَمَّى وجـه رسول الله ﷺ»[3] .

◻ قال ابنُ حجر: «ومجموعُ ما ذُكر في الأخبار أنه شُجَّ وجهُه ﷺ، وكُسرت رَبَاعِيتُه، وجُرحت وَجْنتُه، وشَفَتُه السُّفلى من باطنِها، ووَهَى مَنكِبه من ضربةِ ابنِ قمئة، وجَحِشت ركبته»[4] .

◻ وعند ابن هشام[5] حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أن عبدالله بن قَمِئة جَرَحه ـ أي الرسولَ ﷺ ـ في وَجَنتِه، فدخلت حَلْقتانِ من حِلَقِ المِغْفَرِ[6]

(١) جامه: كأسه.

(٢) «ديوان مجد الإسلام»، لأحمد محرم (ص١٥٢ ـ ١٥٣) ـ مكتبة الفلاح.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) «فتح الباري» (٧/ ٤٣١).

(٥) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٨٠).

(٦) المغفر: شبيه بحلَق الدرع، يجعل في الرأس يُتَّقى به في الحرب.

في وَجنته ﷺ».

☐ قال الواقدي[١] : «والثابتُ عندنا أن الذي رَمَىٰ في وَجْنَتَي رسول اللَّه ﷺ ابنُ قمئة، والذي رمىٰ في شَفته وأصاب رَباعِيَته عتبةُ بنُ أبي وقاص»[٢].

☐ وروىٰ ابنُ جرير في «تاريخه»[٣] عن السُّدِّيِّ قال: «أتىٰ ابنُ قمئة الحارثيُّ، فرمىٰ رسولَ اللَّه ﷺ بحَجَرٍ، فكَسَر أنفَه ورَبَاعِيَته، وشجَّه في وجهه فأثقله».

* **فَمَاذَا كَانَ جزَاءُ هَذَا الشَّقي؟!:**

● قال عبدُالرحمن بنُ زيدِ بن جابر: «إن الذي رَمىٰ رسولَ اللَّه ﷺ بأُحد، فجَرَحه في وجهه، قال: خُذْها مني وأنا ابنُ قمئة، فقال: «**أقمأك اللَّه**»، فانصرف إلىٰ أهله، فخرج إلىٰ غَنَمه، فوافاها علىٰ ذُروةِ جبل، فدخل فيها، فشدَّ عليه تَيسُها، فَنَطحه نطحةً أرداه من شاهقِ الجبل فتقطع».

● وفي الطبراني، من حديث أبي أمامة قال: «رمىٰ عبدُاللَّه بنُ قمئةَ رسولَ اللَّه ﷺ يوم أحد، فشَجَّ وجهَه، وكَسَر رَباعيَته، فقال: خُذْها وأنا ابنُ قمئة، فقال رسولُ اللَّه ﷺ، وهو يمسحُ الدمَ عن وجهه: «**ما لك، أقمأك اللَّه**». فسلَّط اللَّه عليه تَيْسَ جبلٍ، فلم يزل ينطحُه حتىٰ قَطَّعه قِطعةً قطعةً».

فانظر ـ رحمك اللَّه ـ، لم يُرسِل اللَّه ـ عز وجل ـ إلىٰ ابن قمئة مَلَكًا؛

---

(١) «مغازي الواقدي» (١/ ٢٤٤).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٤٣١).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ٥١٩ـ ٥٢١)، حوادث السنة الثالثة.

لينتقمَ لنبيِّه ﷺ، وإنما سَلَّط عليه تيسًا قطَّعه ، وألقاه من فوقِ الجبل، لهوانه علىٰ اللَّه ! ! .

يا لَذُلِّ قَزْمٍ تَطاول علىٰ النبيِّ ﷺ، وشَجَّ وجهَه، فأخزاه اللَّه، وقَطَّعه تَيسٌ، وتردَّىٰ من فوق الجبل إلىٰ الهاوية، لِيُخزَىٰ في الدنيا والآخرة .

*** عُتبةُ بنُ أبي وقــاص ـ لعنــه اللَّه ـ، رامي شَـفَةِ النبي ﷺ وكاسرُ رَباعيته :**

◻ قال ابنُ إسحاق : «انكشف المسلمون ـ يومَ أُحُد ـ، وأصاب منهم العدوُّ، وكان يومَ بلاءٍ وتمحيص، أكرَمَ اللَّهُ فيه مَن أكرَمَ بالشهادة، حتىٰ خَلَص العدوُّ إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، فدُثَّ[1] بالحجارة حتىٰ وقع لِشقِّه، فأُصيبت رَباعِيَتُه، وشُجَّ في وجهه، وكُلِمَت شَفَتُه، وكان الذي أصابه عُتبةُ ابن أبي وقاص»[2] .

● عن أنسِ بنِ مالكٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كُسِرت رَباعِيَتُه يومَ أُحُد، وشُجَّ في رأسه، فجعل يَسْلُتُ الدمَ عنه ويقول : «**كيف يُفلِحُ قومٌ شجُّوا نبيَّهم وكَسَروا رَباعيتَه وهو يدعوهم إلى اللَّه؟!**»، فأنزل اللَّه : ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ [آل عمران : ١٢٨][3] .

◻ وعند ابن هشام[4] من حديث أبي سعيد، أن عتبة بن أبي وقاصٍ رَمَىٰ

---

(١) دُثَّ : رُمِي حتىٰ التوىٰ بعض جسده .

(٢) «سيرة ابن هشام» (١/ ٧٩، ٨٠) .

(٣) رواه مسلم، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٩٩، ١٧٩، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٥٣، ٢٨٨)، والترمذي (٤/ ٨٣) وقال : هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن سعد (٢/ ٣١)، وابن جرير (٤/ ٨٦، ٨٧) .

(٤) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٨٠) .

رسولَ اللَّه ﷺ فكسَر رَباعيتَه اليُمنىٰ السُّفْلىٰ، وجرَح شَفَتَه السُّفْلىٰ، وأن عبداللَّه ابن شهابٍ الزُّهريَّ شجَّه في جبهته، وأنَّ عبداللَّه بن قمئة جَرَح وَجْنَتَه.

□ وتقدم قولُ الواقدي: «إن الذي رمىٰ شَفَةَ رسول اللَّه ﷺ وأصاب رباعِيَتَه هو عُتبةُ بنُ أبي وقاص».

□ وروىٰ ابن إسحاق[1] بسنده عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ما حَرَصْتُ علىٰ قتْل أحدٍ قطُّ ما حَرَصْتُ علىٰ قتْل عُتبةَ بن أبي وقاص، وإنْ كان ما عَلِمْتُ لَسَيِّءَ الخُلُق، مُبَغَّضًا في قومِه، ولقد كفاني فيه قولُ رسول اللَّه ﷺ: **«اشتدَّ غضبُ اللَّه على مَن دَمَّى وجهَ رسوله»**.

□ وروىٰ عبدالرزاق[2] بسنده عن مِقسَمٍ أن رسول اللَّه ﷺ دعَا علىٰ عُتبةَ بنِ أبي وقاص يومَ أُحُد حين كَسَر رَباعِيَته ودَمَّىٰ وجهَه، فقال: **«اللَّهمَّ لا تُحِلْ عليه الحولَ حتى يموتَ كافرًا»**. فما حال عليه الحولُ حتىٰ مات كافراً إلىٰ النار[3].

*** عدوُّ اللَّه ورسولِه عُقْبة بن أبي مُعَيْط ـ لعنه اللَّه ـ:**

□ قال السيوطي في «الدر المنثور»: «أخرج ابن مردويه، وأبو نعيم في «الدلائل»، بسند صحيح، من طريق سعيد بنِ جبير، عن ابن عباس أن أبا مُعَيط[4] كان يَجلِسُ مع النبي ﷺ بمكةَ لا يُؤذيه[5]، وكان رجلاً حليمًا،

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٨٦).

(٢) «تفسير عبدالرزاق» (١/ ١٣)، و«المصنف» لعبدالرزاق (٥/ ٢٩٠، ٢٩١)، وأخرجه البهقي في «دئلائل النبوة» (٣/ ٢٦٥).

(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٣٩٨ـ ٣٩٩).

(٤) هو عقبة بن أبي معيط.

(٥) هذا في بداية أمره.

وكان بقيَّةُ قريشٍ إذا جَلَسوا آذَوْه، وكان لأبي مُعيطٍ خليلٌ غائبٌ عنه بالشام، فقالت قريشٌ: صَبَأَ أبو مُعَيط. وقدِم خليلُه من الشام ليلاً، فقال لامرأتِه: ما فَعَل محمدٌ مما كان عليه؟ فقالت: أشدُّ مما كان أمرًا. فقال: ما فَعَل خليلي أبو مُعَيط؟ فقالت: صبأ. فبات بليلةِ سَوءٍ، فلما أصبَح أتاه أبو مُعَيط فحيَّاه، فلم يرُدَّ عليه التحيةَ، فقال: ما لكَ لا تَرُدُّ عليَّ تحيتي؟ فقال: كيف أَرُدُّ عليك تحيتَك وقد صَبَوتَ؟ قال: أَوَ قَدْ فَعَلَتْها قريش؟ قال: نعم. قال: فما يُبرئُ صُدورَهم إنْ أنا فعلتُ؟ قال: تأتيه في مَجلِسه فتبزُقُ في وجهه، وتشتُمُه بأخبثِ ما تعلمُ من الشَّتْم. ففعل، فلم يَزد النبيُّ ﷺ على أن مَسَح وجهه من البُزاق، ثم التفت إليه فقال: «**إنْ وَجَدْتُك خارجًا من جبال مكة أضرب عُنُقَك صبْرًا**». فلمَّا كان يومُ بدرٍ وخَرَج أصحابُه، أبىٰ أن يخرجَ، فقال له أصحابه: اخرجْ معنا. قال: قد وَعَدَني هذا الرجل إن وَجَدَني خارجًا من جبال مكةَ أن يضربَ عُنُقي صبرًا[1]. فقالوا: لك جَمَلٌ أحمرُ لا يُدرَك، فلو كانتِ الهزيمةُ طِرْتَ عليه، فخرج معهم، فلما هَزَم اللَّهُ المشركين، وَحَلَ[2] به جَمَلُه في جَدَدٍ[3] من الأرض، فأخذه رسولُ اللَّه ﷺ أسيرًا في سبعينَ مِن قُرَيْش، وقدِم إليه أبو مُعَيط، فقال: أتقتلُني مِن بين هؤلاء؟ قال: «**نعم، بما بزَقْتَ في وَجْهي**»، فأنزل اللَّه في أبي مُعَيْط: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ**﴾، إلىٰ قوله: ﴿**وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ**

---

(١) كُلُّ مَن قُتِل في غير معركة ولا حرب ولا خطأ، فإنه مقتول صبراً. «النهاية» (٣/ ٨).

(٢) الوحل: الطين الرقيق، ووحل الرجل: أي وقع في الوحل.

(٣) الجَدد: ما استوىٰ من الأرض. «النهاية» (٥/ ١٦٢).

خَذُولاً ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]»[١] .

◻ انظر إلىٰ هذا الشقيِّ الذي آذىٰ رسولَ اللَّه ﷺ وانفردَ بما لم يفعْله أحدٌ، ووضع رِجلَه علىٰ عُنق أطهرِ الخلقِ رسول اللَّه ﷺ، فقُطعت عنقُه جزاءً وفاقًا:

● عن عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: «بينا النبي ﷺ ساجدٌ وحولَه ناسٌ من قريشٍ جاء عقبةُ بنُ أبي مُعَيْط بِسَلَىٰ جزورٍ، فقَذَفه علىٰ ظَهرِ النبي ﷺ، فلم يَرَفعْ رأسَه، فجاءت فاطمةُ عليها السلام، فأخذَتْه عن ظهره، ودَعَتْ علىٰ من صَنَع، فقال النبي ﷺ: «**اللَّهمَّ عليك الملأَ مِن قريش: أبا جهل بن هشام، وعُتبةَ بنِ ربيعة، وشَيبةَ بن ربيعة، وأميَّةَ بنِ خَلَف** - أوْ أبيَّ بن خلف - » - شعبةُ الشاكُّ -، فرأيتُهم قُتِلوا يوم بدر، فأُلقوا في بئرٍ، غيرَ أميَّةَ بنِ خَلَف أو أبيٍّ، تَقطَّعت أوصالُه فلم يُلقَ في البئر»[٢] .

● وعن عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: «بينما رسولُ اللَّه ﷺ قائمٌ يصلِّي عند الكعبة، وجَمْعٌ من قريشٍ في مجالسهم إذْ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلىٰ هذا المرائي؟ أيُّكُم يقومُ إلىٰ جَزور آلِ فلان، فيَعْمِدَ إلىٰ فَرْثها ودَمِها وسلاها، فيجيءَ به، ثم يُمهِلَه حتىٰ إذا سَجد وضعه بين كتفيْه؟! فانبعث أشقاهم[٣] ، فلما سجد رسولُ اللَّه ﷺ وَضَعه بين كتفيه، وثَبَت النبيُّ ﷺ ساجدًا، فضَحِكوا حتىٰ مال بعضُهم إلىٰ بعضٍ من الضحك.

---

(١) «الدر المنثور» للسيوطي (١١/ ١٦٣ - ١٦٤) - دار هجر.

(٢) رواه البخاري - كتاب مناقب الأنصار - باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابُه من المشركين بمكة حديث (٣٨٥٤).

(٣) هو عقبة لَعنه اللَّه.

فانطلق منطلقٌ إلىٰ فاطمة عليها السلام - وهي جُوَيْرية - فأقبلت تسعىٰ، وثَبَت النبي ﷺ حتىٰ ألقتـه عنه، وأقبلَتْ عليهم تَسُبُّهم. فلما قَضَىٰ رسولُ اللَّه ﷺ الصلاة قال: «**اللَّهم عليك بقريش، اللَّهم عليك بقريش، اللَّهم عليك بقريش**». ثم سمَّىٰ: «**اللَّهم عليك بعمرِو بن هشام وعتبةَ بنِ ربيعة وشيبةَ ابنِ ربيعة والوليد بنِ عتبة وأمية بنِ خَلَف وعَقبةَ بنِ أبي مُعيط وعُمارةَ بنِ الوليد**»، قال عبداللَّه بن مسعود ﷺ: فواللَّهِ لقد رأيتُهم صَرعَىٰ يومَ بدر، ثم سُحبوا إلىٰ القليب[1] - قليب بدرٍ - ثم قال رسول اللَّه ﷺ: «**وأُتبع أصحابُ القليب لعنة**»[2].

وقد بيَّنَتِ الرواياتُ الصحيحةُ الأخرىٰ أن الذي رَمىٰ الفَرْثَ عليه هو عقبةُ بنُ أبي مُعَيط، وأن الذي حَرَّضه هو أبو جهل[3].

● وعن عروةَ بن الزبير قال: «سألتُ ابنَ عمرِو بنِ العاص[4]: «أخبرْني بأشدِّ شيءٍ صَنَعه المشركون بالنبي ﷺ. قال: بينا النبيُّ ﷺ يُصلِّي في حِجْر الكَعبة، إذْ أقبل عُقبةُ بنُ أبي مُعيطٍ، فوَضَع ثوبه في عُنقِه، فخنقَه خنْقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتىٰ أخذ بِمَنكِبِه ودَفَعه عن النبي ﷺ، قال: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾ الآية [غافر: ٢٨]»[5].

---

(١) القليب: البئر المفتوحة.

(٢) رواه البخاري «فتح الباري» (١/ ٥٩٤)، ومسلم في «صحيحه» (٣/ ١٤١٨ - ١٤٢٠).

(٣) صحيح البخاري «فتح الباري» (٦/ ٢٨٣، ٧/ ١٦٥)، و«صحيح مسلم» (٣/ ١٤٢٠).

(٤) أي: عبداللَّه بن عمرو.

(٥) أخرجه البخاري (٣٨٥٦)، وأحمد، والبزار، والبخاري في «خلق أفعال العباد»، وأبو يعلىٰ وابن حبان.

● ولفظُ ابن حِبَّان: عن محمد بن عمرو عن أبي سَلمة: حَدَّثني عمرُو ابنُ العاص: «ما رأيتُ قريشًا أرادوا قتلَ رسول اللَّه ﷺ إلاَّ يومًا أغرَوْا به - وَهم في ظِلِّ الكعبة جلوسٌ، وهو يُصلِّي عند المقام -، فقام إليه عقبةُ، فجعل رِداءَه في عُنقه، ثم جَذَبه حتىٰ وَجَب[1] لركبتَيْهِ، وتصايَحَ الناسُ، وظنُّوا أنه مقتول، وأقبل أبو بكرٍ يشتدُّ حتىٰ أخذ بضَبعِ[2] رسولِ اللَّه ﷺ منَ ورائه وهو يقول: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾؟ ثم انصرفوا عنه، فلما قضىٰ صلاته مرَّ بهم فقال: «**والذي نفسي بيده ما أُرسِلتُ إليكم إلاَّ بالذَّبح**»، فقال له أبو جهل: يا محمدُ، ما كنتَ جهولاً، فقال: «**أنتَ منهم**»[3].

☐ قال ابنُ إسحاق[4] في أسرىٰ بدر، وعن عقبةَ بن أبي معيط، وكيف قُتل صبراً: «قال عقبةُ - حين أَمر رسول اللَّه ﷺ بقتله -: فمَن للصِّبيةِ يا محمد؟ قال: «**النار**»، وكان الذي قَتَله عاصمُ بنُ ثابت بن أبي الأقلح»، وكذا قال موسىٰ بنُ عقبة في «مغازيه»[5].

☐ ولما أَقبل إليه عاصمُ بنُ ثابت، قال: «يا معشرَ قريش، علامَ أُقتل مِنْ بين مَنْ هنا؟ قالوا: علىٰ عداوتِك للَّهِ ورسوله».

---

(١) وَجَب: سقط.

(٢) الضَّبع: وسط العَضُد.. ما بين المِرفق والكفِّ.

(٣) حسن: رواه ابن حبان في «صحيحه» (الإحسان ٨/ ١٨٨) (٦٥٣٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٣٣١) حديث رقم (٣٦٥٦١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٩): «رواه أبو يعلىٰ والطبراني، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وحديثه حسن، وبقية رجال الطبراني رجال الصحيح». ورواه النسائي في «تفسيره» (٤٧٧).

(٤) «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٤٤)، و«البداية والنهاية» (٥/ ١٨٨).

(٥) «دلائل النبوة» للبيهقي (٣/ ١١٧)، و«البداية والنهاية» (٥/ ١٨٨).

● وقال حَمَّادُ بنُ سَلمة[١] ، عن عطاءِ بنِ السائب، عن الشعبيِّ قال: «لما أَمَرَ النبيُّ ﷺ بقتل عُقبةَ قال: أتقتلُني يا محمد، من بين قريشٍ؟ قال: «نعم، أتدرون ما صَنَع هذا بي، جاء وأنا ساجدٌ خَلْفَ المقام، فوضع رِجلَه على عُنقي وغَمَزَها، فما رفعها حتى ظننتُ أن عينيَّ ستندرانِ، وجاء مرةً أخرى بسَلا شاةٍ، فألقاه على رأسي وأنا ساجد، فجاءت فاطمةُ فغسلته عن رأسي».

□ قال ابنُ هشام[٢] : «ويُقالُ: بل قَتل عقبةَ عليُّ بنُ أبي طالب، فيما ذكره الزهريُّ وغيرُه من أهل العلم»[٣] .

وكان قَتلُ هذا الشقيِّ اللعين بعِرْقِ الظُّبية[٤] .

وذهب عقبةُ إلىٰ مَزبلةِ التاريخ، وأُطيح بعُنقه جزاءَ كفرِه وعنادِه وحَسَدِه للإسلام ورسوله ﷺ.

* النَّضْر بن الحارث ـ لعنه الله ـ:

□ قال ابنُ إسحاق بعد موقعة بدر: «حتىٰ إذا كان رسولُ اللَّه ﷺ بالصَّفْراء قُتِل النَّضْرُ بنُ الحارث، قتله عليُّ بنُ أبي طالب، كما أخبرني بعضُ أهلِ العلم من أهلِ مكة، ثم خَرَج حتىٰ إذا كان بعِرْقِ الظُّبية قُتل عقبة ابن أبي معيط»[٥] .

---

(١) «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ١٤٨)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي جـزء المغـازي (ص٦٥) و«البداية والنهاية» (٥/ ١٨٨).

(٢) «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٤٤).

(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ١٨٩).

(٤) موضع بين مكة والمدينة.

(٥) «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٤٤).

❑ قال الحافظ ابن كثير: «قلت: كان هذان الرجلان[١] من شر عباد اللَّه، وأكثرهم كفرًا وعنادًا، وبغْيًا وحسدًا، وهجاءً للإسلام، وأهله لعنهما اللَّه، وقد فعل»[٢].

* عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ـ لعنهم اللَّه ـ:

❑ عن أبي ذرٍّ ﵁ قال: «نَزَلت ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]، في ستةٍ من قريش: عليٍّ وحمزةَ وعُبيدةَ بن الحارث، وشَيبةَ بنِ ربيعة وعتبة بنِ ربيعة والوليد بن عتبة»[٣].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

❑ قال مجاهد: «عتبةُ بنُ ربيعة من مكة، وابن عَبد ياليلَ الثقفي من

---

(١) هما عقبة والنضر.

(٢) «البداية والنهاية» (٥/ ١٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٢٩٨)، وفي «التفسير» (١٠/ ٥٩)، ومسلم (١٨/ ١٦٦)، وابن ماجه رقم (٢٨٣٥)، والطيالسي (٢/ ٢١)، وابن سعد (٢/ ١٠)، وابن جرير (١٧/ ١٣١). وليس في الحديث اضطراب انظر مقدمة «الفتح» (٢/ ١٣٢)، و«فتح الباري» (١٠/ ٥٩، ٦٠) وهذا الحديث مما انتقده الدارقطني على البخاري وذهب إلىٰ اضطراب الحديث؛ لأن أبا مجلز تارة يُحدِّث به عن أبي ذر، وتارة يحدِّث به من قوله. قال النووي (١٨/ ١٦٦): «لا يلزم من هذا ضعف الحديث واضطرابه؛ لأن قَيسًا سمعه من أبي ذر كما رواه مسلم هنا فرواه عنه وسمع من عليٍّ بعضه وأضاف إليه قيس ما سمعه من أبي ذر، وأفتىٰ به أبو مجلز تارة، ولم يقل: إنه من كلام نفسه ورأيه، وقد عملت الصحابة رضوان اللَّه عليهم ومَن بعدهم بمثل هذا فيفتي الإنسان منهم بمعنىٰ الحديث عند الحاجة إلىٰ الفتوىٰ دون الرواية ولا يرفعه، فإذا كان وقت آخر وقصد الرواية رفعه، وذكر لفظه، وليس في هذا اضطراب. واللَّه أعلم اهـ.

الطائف»[١] .

☐ وروىٰ الإمام عبدُ بن حُميد في «مسنده» عن جابر بن عبداللَّه قال: «اجتمعت قريشٌ يومًا، فقالوا: انظروا أعلمَكم بالسِّحر والكهانة والشِّعر، فليأتِ هذا الرجلَ الذي فرَّق جماعتَنا، وشتَّت أمرَنا، وعاب دينَنا، فليُكَلِّمْه، ولْينظرْ ماذا يردُّ عليه؟ فقالوا: ما نعلمُ أحدًا غيرَ عتبةَ بنِ ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبةُ فقال: يا محمدُ، أنت خيرٌ أم عبداللَّه؟ فسكت رسولُ اللَّه ﷺ. قال: فإنْ كنتَ تزعمُ أنَّ هؤلاء خيرٌ منك، فقد عَبَدوا الآلهةَ التي عِبتَ، وإنْ كنتَ تزعمُ أنك خيرٌ منهم فتكلَّم حتىٰ يُسمعَ قولك، إنا واللَّهِ ما رأينا سَخلةً قطُّ أشأمَ علىٰ قومه منك، فرَّقت جماعتَنا، وشتَّت أمرَنا، وعبتَ دينَنا، وفضحتَنا في العرب، حتىٰ لقد طار فيهم أن في قريش ساحرًا، وأن في قريش كاهِنًا، واللَّهِ ما ننتظرُ إلاَّ مِثلَ صيحةِ الحُبلىٰ أن يقومَ بعضُنا إلىٰ بعضٍ بالسيوف حتىٰ نتفانَىٰ. . أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجةُ جَمَعْنا لك حتىٰ تكونَ أغنىٰ قريشٍ رجلاً، وإن كان إنما بك الباهُ[٢] فاختر أيَّ نساءِ قريشٍ شئتَ فَلْنُزَوِّجَك عَشْرًا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «فرغتَ؟». قال: نعم! فقال رسول اللَّه ﷺ: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم ﴿**حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ إلىٰ أن بلغ: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾ [فصلت: ١ ـ ١٣]. فقال عُتبة: حسبُك، ما عندك غيرُ هذا؟ قال: «لا». فرجع إلىٰ قريشٍ، فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركتُ شيئًا أرىٰ أنكم

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٥٨١)، و«تفسير مجاهد» (٥٩٣).

(٢) الباه: الرغبة في الزواج.

تكلِّمونه إلاَّ كلَّمتُه. قالوا: فهلْ أجابك؟ فقال: نعم!. ثم قال: لا والذي نَصَبَهَا بِنْيةً ما فهمتُ شيئًا ممَّا قال غير أنه أنذركم صاعقةً مثل صاعقة عادٍ وثمود. قالوا: ويلك! يكلِّمك الرجلُ بالعربية لا تدري ما قال؟ قال: لا واللَّهِ ما فهمتُ شيئًا مما قال غير ذِكر الصاعقة».

□ وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم، وزاد: «وإن كنت إنما بك الرياسةُ عَقَدْنا ألويتَنا لك، فكنت رأسًا ما بقيت».

□ وعنده أنه لما قال: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾ أمسَك عقبةُ على فِيه وناشده الرحم أَنْ يكفَّ عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم، فقال أبو جهل: «واللَّهِ يا معشرَ قريش ما نرى عتبةَ إلاَّ صبأ إلى محمدٍ وأعجبه طعامُه، وما ذاك إلاَّ من حاجةٍ أصابَتْه، انطلِقوا بنا فأتُوه.. فقال أبو جهل: واللَّهِ يا عتبة ما جِئنا إلاَّ أنك صَبَوْت إلى محمدٍ وأعجبك أمرُه، فإنْ كان بك حاجةٌ جَمَعنا لك مِن أموالنا ما يُغنيك عن طعامِ محمد؛ فغَضِبَ وأقسم باللَّهِ لا يُكلِّمُ محمدًا أبدًا. وقال: لقد علِمتم أني من أكثرِ قريشٍ مالاً، ولكني أتيته ـ وقصَّ عليهم القصة ـ، فأجابني بشيءٍ واللَّهِ ما هو بسِحرٍ ولا بشِعرٍ ولا كِهانة، قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ**﴾ حتى بلغ: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾ [فصلت: ١ ـ ١٣]. فأمسكتُ بفِيه، وناشدتُه الرحم أن يَكُفَّ، وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يَكذِب، فخِفتُ أن ينزل بكم العذاب».

(١) سخلة: الولد المُحَبَّبُ إلى والِدَيْه.

☐ وكان عتبةُ وولدُه الوليد، وشيبةُ أخوه ألدَّ أعداءِ النبي ﷺ، وقد دعا عليهم النبيُّ ﷺ بأسمائهم لما آذَوْه، فكان لهم خِزيُ الدنيا والآخرة، وكان ثَلاثتُهم أولَ مَن قُتِل مبارزةً في غزوة «بدر»، وسُحبوا إلىٰ قليب بدرٍ وأُمُّهمُ الهاوية.

☐ وفي أولِ الموقعة أراد عُتبةُ بنُ ربيعة أن يُظهرَ شجاعتَه، فبَرَز بين أخيه شَيبةَ وابنِه الوليد، فلمَّا توسَّطوا بينَ الطرفيْن، دَعَوْا إلىٰ البِراز، فخرج إليهم فتيةٌ من الأنصار ثلاثة، وهم عَوْف ومُعَوِّذ ابنا الحارث ـ وأمهما عفراء ـ، والثالث عبداللَّه بن رواحة، فقالوا: مَن أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار. فقالوا: ما لنا بكم من حاجة. وفي رواية: فقالوا: أَكْفَاءٌ كرام، ولكن أخرِجوا إلينا بني عَمِّنا، ونادىٰ مناديهم: يا محمد، أخرجْ إلينا أكْفاءنا من قومنا. فقال النبي ﷺ: **«قم يا عُبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، وقم يا عليٌّ»**. فبارز عُبيدةُ ـ وكان أسنَّ القوم ـ عتبةَ، وبارز حمزةُ شيبةَ، وبارز عليٌّ الوليدَ ابن عتبة. فأما حمزة فلم يُمهل شيبة أنْ قَتَله، وأمَّا علي، فلم يُمهِل الوليد أن قتله، واختلف عُبيدة وعُتبة بينهما ضَرْبتيْن، وكَرَّ حمزةُ وعليٌّ بأَسيافهما علىٰ عتبة، فذفَّفا[2] عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلىٰ أصحابه رضي الله عنهم[3].

فكُبَّ أبو جهل صريعًا لوجهــــه ... وعتـــبـــــةُ قد غادرْته وهو عاثـــرُ
وشيبة والتيْميَّ غادرت في الوَغى ... وما منهما إلا بذي العـرش كافــرُ
فأمسَوا وقودَ النـــار في مستـقرِّها ... وكلٌّ كفـورٍ في جهنـــمَ صائـــرُ

---

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٦٠ ـ ٦١).

(٢) ذَفَّف علىٰ الجريح: أجهز عليه.

(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٩٥، ٩٦).

◻ ولله درُّ حسَّان وهو يقول:

قتلْنا أبا جهل وعتبــــةَ قبلــه ... وشـــيبةُ يكبو لليدْين وللنَّحْرِ

◻ وقال حسّان أيضًا:

قتَلْنا ابنيْ ربيعــةَ يوم ســـارَا ... إلينــا في مضاعَــفةِ الحديـــدِ

◻ ولله در القائل:

ستبلغُ عنَّا أهل مكة وقعــــةٌ ... يَهُبُّ لها من كان عن ذاك نائـيـا

بعتبــةَ إذْ ولَّى وشـــيبة بَعدَه ... وما كان فيها بِكرٌ[1] عتبة راضـيـا

لقيناهم كالأُسْد تخطـرُ بالقنـا ... نُقاتل في الرحمن مَن كان عاصـيا

فما بَرِحتْ أقدامُنــا من مَقَامِـنا ... ثَلاثتنا حتى أُزِيـــروا[2] المنائيـــا

* **أُمَيَّة بن خلف لعنه الله:**

نَقَل السُّهيلي في «الروض الأُنُف» أن عدوَّ الله أُميةَ بنَ خَلَف بَصَق في وجهِ النبي ﷺ[3]، وكان هذا اللعينُ الذي سَبَقت له الشِّقوةُ من ربِّه أحدَ النَّفر الذين دعا عليهم النبي ﷺ لما وضعوا فَرْثَ الجزورِ ودَمَها وسَلاها بين كتفَيِ النبيِّ ﷺ وهو ساجد، وضحِكوا حتىٰ مال بعضُهم علىٰ بعضٍ من الضَحِك.

● عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حَدَّث عن سعدِ بنِ معاذٍ أنه كان صَدِيقًا لأُميَّةَ بنِ خَلَفٍ، وكان أُمَيَّةُ إذا مَرَّ بالمدينة نزل علىٰ سعدِ بنِ معاذٍ،

---

(١) هو الوليد بن عتبة.

(٢) أي: جعلوهم يزورون المنايا، أيْ يذوقونها.

(٣) «الروض الأنف» (٢/ ٤٨).

وكان سعدٌ إذا مَرَّ بمكة نزل على أُميَّة، فلما قَدم رسولُ اللَّه ﷺ المدينة، انطلق سعدُ بنُ معاذٍ معتمِرًا، فنزل على أُمَيَّة بمكةَ، فقال لأُميَّة: انظرْ لي ساعةَ خَلْوةٍ؛ لعَلِّي أطوفُ بالبيت، فخرج به قريبًا من نصفِ النهار، فلَقِيَهما أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان، مَن هذا معك؟ قال: هذا سعدٌ. قال له أبو جهل: ألاَ أَراك تطوفُ بمكةَ آمنًا، وقد آويتم الصُّباةَ[1]، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتُعينُونهم! أمَا واللَّهِ، لولا أنك مع أبي صفوانَ ما رَجَعتَ إلىٰ أهلك سالمًا. فقال له سعدٌ ـ ورفع صوتَه عليه ـ: أمَا واللَّه، لئن مَنَعْتني هذا، لأمنعنَّك ما هو أشَدُّ عليك منه؛ طريقَك علىٰ المدينة. فقال له أُمَيَّةُ: لا ترفعْ صوتَكَ يا سعدُ ـ علىٰ أبي الحكم، فإنه سيِّدُ أهلِ الوادي، قال سعدٌ: دَعْنا عنك يا أمية، فواللَّهِ لقد سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «**إنهم قاتلوك**». قال: بمكة؟ قال: لا أدري. ففزِع لذلك أُمَيَّةُ فزعًا شديدًا، فلما رجع إلىٰ أهله قال: يا أُمَّ صفوان، أَلَمْ تَرَيْ ما قال سعدٌ؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زَعَم أن محمدًا أخبَرَهم أَنَّهم قاتِليَّ، فقالتُ له: بمكة؟ قال: لا أدري. فقال أُمَيَّةُ: واللَّه لا أخرجُ من مكة، فلما كان يومُ بدرٍ، استَنْفَرَ أبو جهل الناس، فقال: أدْرِكوا عِيرَكم. فكَرِه أميةُ أن يخرجَ، فأتاه أبو جهلٍ، فقال: يا أبا صفوان، إنك متىٰ يراك الناسُ قد تخلَّفتَ وأنت سيِّدُ أهلِ الوادي، تخلَّفوا معك. فلم يَزَل به أبو جهل حتىٰ قال: أَمَّا إذْ غَلَبتَني، فواللَّهِ لأشترينَّ أجْوَدَ بعيرٍ بمكة، ثم قال أميةُ: يا أمَّ صفوان، جَهِّزيني. فقالت له: يا أبا صفوان، وقد نَسِيتَ ما قال لك أخوك اليثربيُّ؟ قال: لا، وما أُريدُ أن أجوزَ معهم إلاَّ

(١) الصُّبَاة: بضم المهملة وتخفيف الموحدة، جمع صابئ، وهو الذي ينتقل من دين إلىٰ دين.

قريبًا، فلمَّا خرج أميةُ، أخذ لا ينزلُ منزلاً إلاَّ عَقَل بعيرَهُ، فلم يزل كذلك حتىٰ قَتَله اللَّهُ ببدر»[1] .

❑ وعند أحمد: «قالت له امرأته: واللَّهِ إن محمداً لا يكذِب».

● وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «كاتَبْتُ أُميَّةَ بنَ خلفٍ كتابًا بأن يَحْفَظَني في صاغيتي[2] بمكة، وأحفَظَه في صاغِيَتِه بالمدينة، فلمَّا ذكرتُ «الرحمن» قال: لا أعرفُ «الرحمن»، كاتِبْني باسمك الذي كان في الجاهلية. فكاتبته «عبدَ عمرٍو»، فلمَّا كان يومُ بدرٍ، خرجتُ إلىٰ جبلٍ لأُحرِزَه حين نام الناس، فأبصرَه بلالٌ، فخرج حتىٰ وقف علىٰ مجلسٍ من الأنصار فقال: أُمَيَّةُ بن خلف؟! لا نجوتُ إنْ نجا أمية، فخرج معه فريقٌ من الأنصار في آثارنا، فلمَّا خَشِيتُ أن يلْحَقُونا، خَلَّفتُ لهم ابنَه لأشغَلَهم، فقتلوه، ثم أَتَوْا حتىٰ تَبِعُونا، وكان رجلاً ثقيلاً، فلمَّا أدركونا قلتُ له: ابْرُك. فبَرَك، فألقيتُ عليه نَفْسي لأَمنَعَه، فتخلَّلوه بالسيوف من تحتي حتىٰ قتلوه، وأصاب أحدُهم رِجلي بسيفه. فكان عبدالرحمن بن عوف يُرِينا ذلك الأثَرَ في ظَهرِ قدمه»[3] .

*** العاصُ بن وائل ـ لعنه اللَّه ـ:**

وهذا رأسٌ من رؤوس الكفر، المستهزئين برسول اللَّه ﷺ والقرآن:

❑ عن خَبَّابٍ رضي الله عنه قال: «كنتُ قَيْنًا في الجاهلية، وكان لي علىٰ

---

(١) رواه البخاري (٣٩٥٠)، ورواه أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٠).

(٢) الصاغية: خاصة الرجل، مأخوذٌ مِن صَغىٰ إليه إذا مال. قال الأصمعي: صاغية الرَّجُل: كل من يميل إليه، ويُطلق علىٰ الأهل والمال.

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٠١).

العاصِ بنِ وائل دَيْنٌ، فأتيتُه أتقاضاه، فقال: لا أُعطيك حتىٰ تكفرَ بمحمد، فقلت: لا أكفرُ حتىٰ يُميتَك اللَّهُ، ثم تُبعث. قال: دَعني حتىٰ أموتَ وأُبعثَ، فسأُوتىٰ مالاً وولدًا فأقضيَك، فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٧ - ٧٨]»[١].

◻ وعن سعبد بن جُبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن العاص بن وائل أخذ عَظْمًا من البطحاء ففتَّه بيدِه، ثم قال لرسول اللَّه ﷺ: أَيُحيي اللَّهُ هذا بعد ما رُمَّ؟!، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**نعم يُميتُك اللَّهُ، ثم يُحييك، ثم يُدخِلُك جهنَم**». قال: ونزلت الآيات من آخر «يس». . »[٢].

مرج هذا اللعينُ العاص علىٰ حمار له يريدُ الطائف، فربض به علىٰ شِبرقة، فدخلت في أخمصِ رِجله شوكةٌ فقتلته.

*** عمارة بن الوليد بن المغيرة:**

◻ قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: «عمارةُ بنُ الوليد بن المغيرة هو أحدُ السَّبَعةِ الذين دعا عليهم رسولُ اللَّه ﷺ حين تضاحكوا يوم وَضْع سَلا الجزورِ علىٰ ظَهره ﷺ وهو ساجد عند الكعبة، والمقصودُ أنهما

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢١، ٣٥٩، ١٠/ ٤٤، ٤٥، ٤٦)، ومسلم (١٧/ ١٣٨)، والترمذي (٤/ ١٤٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٥/ ١١١)، والطيالسي (٢/ ٢١)، وابن سعد (٣/ ١١٦)، وابن جرير (١٦/ ١٢١).

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٢٩) وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وذكره مقبل الوادعي في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص١٢٩).

حين خرجا[١] من مكةَ كانت زوجةُ عمرٍو معه، وعمارةُ كان شابًّا حَسَنًا، فاصطحبا في السَّفينة، وكان عمارةُ طَمعَ في امرأةِ عمرِو بنِ العاص، فألقىٰ عَمْرًا في البحر ليُهلِكَه، فسَبَح حتىٰ رَجَع إليها. فقال له عمارةُ: لو أعلمُ أنك تُحسِنُ السباحةَ لَمَا ألقيتُك، فحَقَد عمرٌو عليه، فلمَّا لم يُقضَ لهما حاجةٌ في المهاجرين من النجاشي، وكان عمارةُ قد توصَّل إلىٰ بعضِ أهلِ النجاشي فوَشَىٰ به عمرو، فأمر به النجاشيُّ، فسُحر حتىٰ ذهب عقلُه وساح في البرِّيَّة مع الوحوش.

وقد ذكر الأُمويُّ قصةً مطوَّلةً جدًّا، وأنه عاش إلىٰ زمنِ إمارةِ عمرَ بنِ الخطاب، وأنه تقصَّده بعضُ الصحابة وأمسكه، فجعل يقول: أرسِلْني وإلاَّ مت. فلمَّا لم يُرسِلْه مات من ساعته؛ فاللَّه أعلم»[٢].

❏ وقبلها ذَكَر ابنُ كثير أن عمرًا قال للنجاشي: «إنك إذا خرجتَ خَلَفَك عمارةُ في أهلك، فدعا النجاشيُّ بعمارة، فنَفَخ في إحليلِه فطار مع الوحش»[٣].

* **الأخنسُ بنُ شَرِيق:**

مَرَّ بنا قصتُّه هو وأبي جهلٍ وأبي سفيانَ واستماعهم لقراءةِ النبي ﷺ ليلاً ثلاثة أيامٍ، وعِلمُه بصِدقِ النبيِّ ﷺ، ثم بعد هذا إصرارُه علىٰ الكفر

(١) أي: عمارة وعمرو بن العاص إلىٰ الحبشة لردّ الصحابة الذين هاجروا إلىٰ الحبشة إلىٰ مكة ليفتنوهم عن دينهم.

(٢) «البداية والنهاية» (٥/ ٧٤).

(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٦٨)، وذكرها أبو نعيم في «الدلائل»، والحافظ البيهقي في «الدلائل».

حتىٰ أنزل الله فيه قرآنًا يتلىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٠-١٦].

❑ قال ابنُ جرير الطبري: «﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾: ولا تُطع يا محمدُ كلَّ ذِي إكثارٍ للحَلِفِ بالباطل، ﴿مَّهِينٍ﴾، وهو الضعيف.

❑ قال ابن عباس رضي الله عنهما: والمهين: الكذَّاب.

إذا وُصِف بالمهانة، فإنه إنما وُصِف بها لمهانةِ نفسهِ عليه، وكذلك صِفةُ الكذوب، إنما يكذبُ لمهانةِ نفسه.

﴿هَمَّازٍ﴾: مغتابٍ للناس يأكلُ لحومهم.

﴿مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾: مشَّاءٍ بحديثِ الناسِ بعضِهم في بعضٍ، ينقلُ حديثَ بعضِهم إلىٰ بعضٍ، كما قال قتادة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يَمشي بالكذب.

﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: بَخيلٍ بالمال، ضَنينٍ به عن الحقوق.

﴿مُعْتَدٍ﴾: مُعْتدٍ علىٰ الناس، ﴿أَثِيمٍ﴾ أثيم بربِّه. كما قال قتادة.

﴿عُتُلٍّ﴾: العُتُلُّ: الجافي الشديد في كفره.

❑ قال ابن عباس: «العاتل: الشديدُ المنافق».

❑ وقال مجاهد: «شديد الأَشَر»[1].

---

(١) الأشر: المرح والبطر.

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾.

◻ قال الحسن وقتادة: «هو الفاحشُ اللئيم الضريبة».

◻ وقال عكرمة: «الكافر اللئيم».

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: معنىٰ «بَعْدَ»: مع.

﴿زَنِيمٍ﴾: والزنيم في كلام العرب: المُلْصَق بالقوم وليس منهم..

زنيم ليس يُعرف من أبوهُ بَغيُّ الأمِّ ذو حَسَبٍ لئيم

◻ قال ابن عباس: «الزنيم: الدَّعِيُّ»، وهو قول عكرمة.

◻ يُقال: «هو الأخنسُ بن شَريق الثقفي حليف بني زُهرة».

◻ وقال سعيد بن المسيَّب: «المُلْصَق بالقوم ليس منهم».

◻ وقال سعيدُ بن جبير: «الزنيم: الذي يُعرَف بالشَّرِّ، كما تُعرَف الشاةُ بزَنَمَتِها، المُلْصَق».

◻ وقال ابن عباس: «المُريب الذي يُعرَفُ بالشر».

◻ وقال أيضًا: «كانت له زَنَمةٌ في عُنُقِه يُعرَف بها».

◻ وقال شهرُ بن حَوشب: «هو الجِلْفُ الجافي، الأكولُ الشَّرُوب من الحرام».

◻ وقال عكرمة: «الذي يُعرَف باللؤم، كما تُعرَف الشاة بزَنَمَتِها».

وهذه خاتمةُ الصفات الذَّميمة الكريهة المتجمِّعة في عدوٍّ من أعداء الإسلام شديد الكيد لرسول الله ﷺ، كثيرِ الصَّدِّ عن سبيل الله، والوقوفِ في وجه الدعوة.

وما يُعادِي الإسلامَ، ويُصِرُّ على عدواته إلاَّ أُناسٌ من هذا الطراز اللئيم الذميم. وإطلاقُ هذه الصفاتِ تَدَعُ هذا الكافرَ مهينًا في قومِه وهو المختالُ الفخور.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ قرأ ابنُ عامر ويعقوب وأبو بكر وأبو جعفر المَدَني وحمزةُ: ﴿أَأَنْ كَانَ ذَا مَالٍ﴾ بالاستفهام بهمزتين.. وفيها تقريعٌ لهذا الحَلاَّف المَهين.. أَلَئِنْ كان هذا الحلاَّفُ المهينُ ذا مالٍ وبنين ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾؟!.

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص والكِسائي وخَلَف بهمزة واحدة ـ على وجه الخَبَر بغير استفهام ـ، ومعناه: ولا تُطع كلَّ حلاَّفٍ مَهين، أن كان ذا مالٍ وبنين، كأنه نهاه أن يُطيعَه مِن أجل أنه ذو مال وبنين.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾: إذا تُقرأ عليه آياتُ كتابنا قال: هذا مِمَّا كَتَبَه الأوَّلون، استهزاءً به، وإنكاراً منه أن يكون ذلك من عند اللَّه.

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾:

❑ قال بعضُهم: «سنَخْطِمُه بالسيف، فنجعلُ ذلك علامةً باقيةً وسِمةً ثابتةً فيه ما عاش».

❑ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «قاتَل يوم بدر، فخُطِم بالسيف في القتال».

❑ وقال آخرون: «سنُشينه شيْنًا باقيًا».

❑ قال قتادة: «شينٌ لا يُفارقه آخرَ ما عليه».

❑ وقال أيضًا: «سنُسِيم على أنفه».

◻ قال ابن جرير: «وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك عندي: قولُ مَن قال: معنى ذلك: سَنُبَيِّنُ أمرَه بيانًا واضحًا، فلا يخفَى عليهم، كما لا تخفى السِّمَةُ على الخرطوم، وقد يَحْتَمِل أيضًا أن يكون خُطِم بالسيف، فجُمع له مع بيانِ عيوبه للناس الخَطْمُ بالسيف»(١).

◻ وقال الفَرَّاء: «سَنَسِمُه سمةَ أهلِ النار. أي: سَنُسَوِّدُ وجهَه»(٢).

◻ «يجيءُ التهديدُ من الجبَّار القهَّار، يلمسُ في نفسه موضعَ الاختيال والفخرِ بالمال والبنين؛ كما لمس وَصْفُه من قبل موضعَ الاختيال بمكانته ونَسَبِه، وَيسمعُ وَعْدَ اللَّه القاطعَ ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾.

والتهيدُ بوَسْمِهِ على الخرطوم يَحوِي نوعيْن من الإذلال والتحقير.

الأوَّلُ: الوسم، كما يوسَمُ العبد.

والثاني: جَعْلُ أنفِه خُرطومًا، كخرطوم الخنزير.

إنها القاصمةُ التي يستأهلُها عدوُّ الإسلام، وعدوُّ الرسول الكريم صاحبِ الخُلقِ العظيم».

◻ قال الفخر الرازي: «﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ إن في الآية احتمالاً آخَرَ عندي، وهو أن ذلك الكافرَ إنما بالغ في عداوة الرسول، وفي الطعن في الدين الحقِّ بسبب الأنَفَةِ والحَمِيَّة، فلما كان مَنشأُ هذا الإنكارِ هو الأنَفَةُ والحَمِيَّةُ، كان مَنْشَأُ عذابِ الآخرة هو هذه الأَنَفَةُ والحميَّة، فعبَّر عن هذا الاختصاص بقوله: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾»(٣).

---

(١) انظر «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٥٧ ـ ١٧١) مختصراً.

(٢) «معاني القرآن» للفرّاء (٣/ ١٧٤).

(٣) «مفاتيح الغيب» للفخر الرازي (١٥/ ٦٥٤).

☐ قال البِقاعي: «لما كان هذا المذكورُ قد أغرَقَ في الشر، فتوقَّع السامعُ جزاءَه، قال مُعلِمًا أنه يجعلُ له من الخِزْيَ والفضائح، ما يَصيرُ به شُهرةً بين الخلائق في الدنيا والآخرة: ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾، أي: نجعلُ ما يَلحقُ به من العار في الدارين، كالوَسْمِ الذي لا يَنمحي أثرُه؛ تقول العرب: «وَسَمَه مَيْسَمَ سُوء»، ولما كان الوَسْمُ مُنكِئًا، وكان جَعْلُه في مُوجِعٍ لا يُستر أنكأً، وكان الوجُه أشرفَ ما في الإنسان، وكان أظهرَ ما فيه، وأكرمَهُ الأنف، ولذلك جعلوه مكانَ العزِّ والحميَّة، واشتقُّوا منه الأَنَفَة.

﴿عَلَى الْخُرْطُومِ﴾، أي: الأنف الطويلِ جميعِه، وما قاربه من الحَنَكين، وَسْمًا مستعليًا عليه بوضوحٍ جدًّا؛ ليكونَ هَتْكُه بين الناس، وفضيحةً لقومه، وذلاً وعارًا، وكذا كان لَعَمْري له بهذا الذِّكر الشنيع، والذنبِ القبيح من الكفر، وما معه، وسيكونُ له يومَ الجمع الأعظم ما هو أشنعُ من هذا، علىٰ أنه حَقَّق في الدنيا هذا الخَطْمَ حِسًّا، بأنه ضُرب يومَ بدر ضربةً خَطمت أنفه»[1].

وهكذا جَمَع اللَّهُ له ذُلَّ الدنيا ومهانتَها وذُلَّ الآخرة.. ولَعذابُ الآخرةِ أشدُّ وأبقىٰ.

*** الأسودُ بن المطلب بن أسد أبو زَمْعة، والأسودُ بن عبد يغوث، والحارثُ ابن الطُّلاطِلَة ـ لعنهم اللَّه ـ:**

* قال تعالىٰ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٤ ـ ٩٥].

(١) «نظم الدرر» للبقاعي (٢٠/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦).

□ قال القرطبي: «اصدَعْ بما تُؤمر ولا تَخَفْ غيرَ اللَّه؛ فإن اللَّهَ كافيك مَن آذاك كما كفاك المستهزئين؛ وكانوا خمسةً من رؤساءِ أهل مكة، وهم الوليدُ بنُ المغيرة - وهو رأسهم -، والعاصُ بن وائل، والأسودُ بن المطلب بن أسد - أبو زمعة -، والأسودُ بن عبد يغوث، والحارثُ بن الطُّلاطِلة، أهلَكَهم اللَّهُ جميعًا قبلَ يوم بدرٍ في يومٍ واحد، لاستهزائهم برسولِ اللَّه ﷺ وسببُ هلاكهم - فيما ذَكَر ابن إسحاق -: أن جبريلَ أتىٰ رسولَ اللَّه ﷺ وهم يَطوفون بالبيت، فقام وقام رسول اللَّه ﷺ، فمرَّ به الأسودُ بن المطلب فرمىٰ في وجهِهِ بورقةٍ خضراء، فعَمِيَ ووجعت عينه، فجعل يضربُ برأسه الجدار.

ومَرَّ به الأسودُ بن عبد يَغُوث فأشار إلىٰ بطنه فاستقىٰ بطنه فمات حَبَنًا[1].

ومرَّ به الحارثُ بن الطُّلاطِلة، فأشار إلىٰ رأسه فامتَخَط[2] قيحًا فقتله.

وقد ذُكِر في سبب موتهم اختلافٌ قريبٌ من هذا.

وقيل: إنهم المرادُ بقوله تعالىٰ: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦]، شَبَّه ما أصابَهم في موتهم بالسَّقفِ الواقعِ عليهم»[3].

*** القُرَطاءُ البَكْرِيُّون:**

بعث رسول اللَّه ﷺ إلىٰ القُرَطاءِ البكريِّين، بناحيةِ «ضرية» في نجد شرقيَّ المدينة، بكتابٍ يدعوهم فيه إلىٰ الإسلام، فاستهزؤوا به وبكتابه،

(١) «يُقال: حَبِن - بالكسر - حَبَنًا وحُبِن للمفعول، عظم بطنه بالماء الأصفر، فهو أحبن، والمرأة حبناء» قاله في الصحاح.

(٢) المخط: السيلان والخروج.

(٣) «تفسير القرطبي» (٥/ ٣٦٧٨ - ٣٦٧٩) - دار الشعب.

فأخذوا الصَّحيفةَ التي تحملُ دعوتَهم إلىٰ التوحيد، فغَسَلوها من الحِبر، ثم رَقَّعوا بها استْ دلوٍ لَهُم، وأَبَوا أن يجيبوا الرسول ﷺ إلىٰ ما دعاهم إليه، فأنكرت امرأةٌ عاقلةٌ منهم ما فعلوا بكتاب الرسول ﷺ - وهي أمُّ حبيبٍ بنتُ عامرِ بنِ خالدِ بنِ عمرٍو ابنةُ ابنِ أخي سيِّد القوم حارثةَ بنِ عمرو -، واستهجنت ما صنعوا، فقالت - وقولُها يدلُّ علىٰ أنها مسلمة -:

إِذَا مَا أَتَتْهُمْ آيَــةٌ مِنْ مُحَمَّد مَحَوْهَا بِمَاءِ الْبِئْرِ فَهْيَ عَصِيرُ

فَانظُرْ كَيفَ كَانَ جَزَاؤُهُمْ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِم.

يذكرُ أصحابُ السِّيَر أن القُرَطاء لما فعلوا بكتابِ رسول اللَّه ﷺ ما فعلوا؛ صاروا دائمًا أهلَ رِعْدةٍ وعَجَلةٍ وكلامٍ مختلطٍ وأهلَ سَفَهٍ، وكان الذي جاءهم بالكتاب رجلٌ من عُرَينة، يقال له: عبداللَّه بن عَوْسَجة.

❑ قال الواقدي: «رأيتُ بعضَهم عييًا لا يُبِينُ الكلامَ»[1].

جَرَّد رسولُ اللَّه ﷺ حملةً عسكريةً بقيادة الضحاك بن سفيان الكِلابي، في شهر ربيع الأول، سنةَ تسعٍ هجرية، فهزمهم في مكانٍ بنجد، يقال له: «زَجُّ لاوة».

* **مَن خَادَعَ النبي ﷺ:**

❑ عن أنسٍ ﷺ قال: «كان رجلٌ نصرانيٌّ، فأسلم وقرأ البقرةَ وآل عمران، فكان يكتبُ للنبي ﷺ، فعاد نصرانيًّا، فكان يقول: ما يَدرِي محمدٌ إلاَّ ما كتبتُ له، فأماتهُ اللَّه، فدفنوه، فأصبح ولقد لَفَظَتْه الأرضُ، فقالوا: هذا فِعْلُ محمدٍ وأصحابِه، لَمَّا هرب منهم نَبَشوا عن صاحبنا

(١) «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٥٤، ٣/ ٩٨٢)، و«غزوة تبوك» لبشاميل (ص١٦، ١٧).

فألقَوه. . فحَفَروا له فأعمَقوا، فأصبح وقد لَفَظَتْه الأرضُ، فقالوا: هذا فعلُ محمدٍ وأصحابه، نَبَشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألْقَوْه خارجَ القبر. . فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس فألقَوه»[1] . .

ماذا لَقِيتَ ببطـن القبـر نبِّينا؟	إن الحياةَ بظـهـر الأرض تُلهِـينَا
تلقاك في عَمَهِ الأجـداث ماثلـةً	أعمالُك السُّودُ قد صارت ثعابينَا
سَجِّلْ بكفِّك في القرطاسِ ما كتبتْ	كِلْتا يديْـك به أمسـيتَ مرهـونَا

لَفَظَتْه الأرضُ لِنَتْنِهِ وخُبْثِه وخِداعه وكُفْره، وليبقىٰ آيةً لمن بعدَه.

* **عامر بن الطفيل مُعاند رسول الله ﷺ:**

□ عن أنسٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ بَعَث خالَه - أخٌ لأم سليم - في سبعين راكبًا، وكان رئيسُ المشركين عامرُ بن الطفيل خَيَّر بين ثلاث خصال فقال: «يكون لك أهلُ السَّهل ولي أهلُ المَدَر، أو أكونُ خليفتَك، أو أغزوك بأهلِ غَطَفان بألفٍ وألفٍ».

فطُعِن عامرٌ في بيتِ أمِّ فلان: غُدَّةٌ كغُدَّةِ البَكْرِ في بيتِ امرأةٍ من آل بني فلان فقال: ائتوني بفَرَسِي. . فمات علىٰ ظَهرِ فرسه. . فانطلق حرامٌ - أخو أم سليم، وهو رجلٌ أعرج - ورجلٌ من بني فلان قال: كونَا قريبًا حتىٰ آتيَهم، فإن آمَنُوني كنتم، وإن قتلوني أتيتم صاحبكم، فقال: أتؤمِّنوني أُبلِّغ رسالةَ رسولِ الله ﷺ؟ فجعل يُحدِّثهم، وأومؤوا إلىٰ رجلٍ، فأتاه من خَلْفه فطَعَنه - قال همام أحسبُه حتىٰ أنفذَه بالرمح - قال: الله أكبر، فزتُ وربِّ

(١) رواه البخاري (٦/ ٦٢٤)، ومسلم.

الكعبة، فلَحِقَ الرجلُ، فقُتلوا كلُّهم غيرُ الأعرج كان في رأسِ جبلٍ، فأنزل اللَّه علينا، ثم كان من المنسوخ: «إنا قد لَقِينا ربَّنا فرَضي عنَّا وأرضانا»، فدعا عليهم النبي ﷺ ثلاثين صباحًا على رِعْلٍ وذَكْوانَ وبني لحيان وعُصَيَّة الذين عَصَوُا اللَّهَ ورسولَه ﷺ[1] .

* **مَن عاندَ رسول اللَّه ﷺ وسَخِر باللَّه:**

● عن أنسٍ رضي الله عنه قال: «بَعَث رسولُ اللَّه ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجلٍ من عظماء الجاهلية يدعوه إلى اللَّه تبارك وتعالى، فقال: أيشٌ ربُّك الذي تدعوني إليه: مِن حديد هو؟ من نُحاسٍ هو؟ مِن فضةٍ هو؟ من ذهبٍ هو؟ فأتى النبي ﷺ فأخبَرَه، فأعاد النبيُّ ﷺ الثانية، فقال مثل ذلك، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأرسله الثالثة، فقال مثلَ ذلك، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأرسل اللَّهُ تبارك وتعالى عليه صاعقةً فأحرقته، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه تبارك وتعالى قد أرسل على صاحبك صاعقةً فأحرقته**»، فنزلت هذه الآية ﴿**وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**﴾ [الرعد: ١٣]»[2] .

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٣٨٥).

(٢) **صحيح**: رواه البزار وقال: ديلم بصري صالح. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٢): «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان وهو ثقة». والحديث أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» (١/ ٢٠٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٨٣)، وفي «الأسماء والصفات» (ص٢٧٨)، وذكره الشيخ مقبل الوادعي في «الصحيح المسند من دلائل النبوة» (ص١٩٨ - ١٩٩).

* رأسُ المنافقين عبدُاللَّه بن أُبَيِّ بنِ سَلُول ـ لعنه اللَّه ـ:

قال البخاري في باب قوله تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

● عن جابر بن عبداللَّه رضي الله عنهما قال: كنَّا في غزاة، فكَسَعَ[1] رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاريُّ: يا للأنصار، وقال المُهاجري: يا لَلمهاجرين. فسَمَّعَها اللَّهُ رسولَه ﷺ قال: «ما هذا؟»، فقالوا: كَسَع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فقال ﷺ: «دعوها فإنها مُنْتِنَةٌ».

قال جابر: وكانت الأنصارُ حين قَدِمِ النبيُّ ﷺ أكثرَ، ثم كَثُر المهاجرون بعدُ، فقال عبدُاللَّه بنُ أُبَي: أوَ قَدْ فعلوا؟! واللَّهِ لئن رَجَعْنا إلىٰ المدينة ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ»[2].

وفي البخاري من حديث زيدِ بن أرقمَ قال: «كنتُ في غَزاةٍ، فسمعت عبدَاللَّه بن أُبي يقول: لا تُنفقوا علىٰ من عندَ رسولِ اللَّه حتىٰ ينفضُّوا مِن حوله، ولئن رجعلنا لُيخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ..» الحديث.

كان ذلك في غزوة «بني المصطلِق» من خزاعة، وهي غزوة «المُريسيع»، وهو ماءٌ من مياهِهِم.

قال ابنُ إسحاق: «فبينا الناسُ علىٰ ذلك الماء، وَرَدَتْ واردةُ

(١) المشهور فيه ضرب الدبر باليد، أو بالرِّجل، وذلك عند أهل اليمن شديد.

(٢) رواه البخاري.

الناس، ومع عمرَ بنِ الخطاب أجيرٌ له من بني غِفار، يقال له: «جهجاه بن مسعود» يقودُ فَرَسَه، فازدحَمَ جهجاه وسِنانُ بن دبر الجُهَنيُّ - حليفُ بني عوفٍ من الخزرج - على الماء، فاقتتلا، فَصَرخ الجهني: يا معشرَ الأنصار. وصرخ جهجاه: يا معشرَ المهاجرين، فغضب عبدُاللَّه بن أبي بن سلول، وعنده رَهطٌ من قومه، فيهم زيدُ بنُ أرقم، غلامٌ حَدَثٌ، فقال: أوَ قَدْ فعلوها؟! قد نافَرونا وكاثَرونا في بلادنا، واللَّهِ ما أُعِدُّنا وجلابيبَ قريش[1] هذه إلا كما قال الأول: «سمِّنْ كَلْبَك يأكلْك»، أَما واللَّهِ لئن رجعنا إلىٰ المدينة، ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ. . ثم أقبل علىٰ مَن حَضَره من قومه، فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسَمتموهم أموالكم، أَما واللَّهِ لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم، لَتحوَّلوا إلىٰ غيرِ دارِكم، فسمع ذلك زيدُ بنُ أرقم، فمشىٰ به إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فأخبره الخبَرَ وعنده عمرُ بن اخطاب، فقال عمرُ: مُر به عبَّادَ بنَ بِشْرٍ فلْيقتله، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: **«فكيف يا عمرُ إذا تَحدَّثَ الناسُ أن محمداً يقتلُ أصحابه؟ لا، ولكن أَذِّنْ بالرحيل»**، وذلك في ساعةٍ لم يكن رسولُ اللَّه ﷺ يرتحلُ فيها، فارتحل الناسُ، وقد مَشىٰ عبدُاللَّه بن أبي بن سَلول إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، حين بلغه أن زيدَ بنَ أرقم بَلَّغه ما سمع منه، فحَلَف باللَّه: «ما قلتُ ما قال، ولا تكلمتُ به»، وكان في قومه شريفًا عظيمًا، فقال مَن حضر رسولَ اللَّه ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول اللَّه، عسىٰ أن يكون الغلامُ أَوْهَمَ في حديثه، ولم يَحْفظ ما قال الرجلُ - حَدَبًا علىٰ ابنِ أُبيٍّ ودفعًا عنه -، فلما

---

(١) اسم كان يُلَقَّب به المنافقون أصحابَ رسول اللَّه ﷺ من المهاجرين.

استقلَّ رسولُ اللَّه ﷺ وسار، لَقِيَه أُسيد بن حُضير، فحيَّاه بتحيةِ النبوة، وسَلَّم عليه، وقال: يا رسول اللَّه، واللَّهِ لقد رُحتَ في ساعةٍ منكرة، ما كنتَ تروحُ في مِثلها!!.

فقال له رسولُ اللَّه ﷺ: «**أوَ ما بلغك ما قال صاحبُك؟**»، فقال: أيُّ صاحب يا رسول اللَّه؟ قال: «**عبداللَّه بن أُبي**»، قال: وما قال؟، قال: «**زعم أنه إنْ رَجَع إلى المدينة أَخْرَجَ الأعزُّ منها الأذلَّ**»، قال: فأنتَ واللَّهِ يا رسول اللَّه، تُخرِجُه إن شئتَ، هو واللَّهِ الذليل، وأنت العزيز، قال: يا رسول اللَّه، ارفُقْ به، فواللَّه لقد جاءنا اللَّهُ بك، وإنا لَننظِمُ له الخَرْزَ لِنُتَوِّجَه، فإنه يرىٰ أنْ قد سَلَبْتَه مُلكًا.

ثم مشىٰ رسولُ اللَّه ﷺ بالناس يومَهم ذلك حتىٰ أَمسىٰ، وليلتَهم حتىٰ أصبح، وصَدْرَ يومِهم ذلك حتىٰ آذَتْهمُ الشمسُ، ثم نزل بالناس، فلم يَلبَثُوا أنْ وَجَدوا مسَّ الأرض فوقعوا نيامًا، وإنما فعل ذلك؛ لِيُشغِلَ الناسَ عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبداللَّه بن أبي».

* **فكيف كان جزاؤه؟**

□ قال ابن إسحاق: «حدثني عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادة: أن عبداللَّه بن عبداللَّه بن أبي بن سلول أتىٰ رسولَ اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، إنه بلغني أنك تريدُ قَتْلَ عبدِاللَّه بن أُبي فيما بلغك عنه، فإنْ كنتَ فاعلاً، فمُرْني به، فأنا أحملُ إليك رأسَه، فواللَّهِ، لقد عَلِمَتِ الخزرجُ ما كان بها من رجلٍ أبرَّ بوالدِه مني، وإني أخشىٰ أن تأمرَ به غيري فيقتلَه، فلا تَدَعَني نفسي أن أنظرَ إلىٰ قاتِلِ عبداللَّه بنِ أُبيٍّ يمشي في الناس، فأقتلَه، فأقتل مؤمنًا بكافر،

فأدخلَ النارَ، فقال رسول اللَّه ﷺ: «بل نترفَّقُ به، ونُحسنُ صُحبتَه ما بقي معنا»، وجعل بعد ذلك إذا أحدثَ الحَدَث كان قومُه هم الذين يعاتبونه، ويأخذونه، ويُعنِّفونه، فقال رسولُ اللَّه ﷺ لعمرَ بن الخطاب حين بَلَغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى يا عمر؟ أمَا واللَّه، لو قَتلتُه يومَ قلتَ لي، لأَرْعَدَتْ له أنوفٌ، لو أمرتُها اليوم بقتله لقتلتـه»، فقال عمر: قد واللَّهِ علمتُ لأَمرُ رسولِ اللَّه ﷺ أعظمُ بركةً من أمري».

◘ وقد ذكر عكرمةُ وابنُ زيد وغيرهما، أن ابنَه عبدَاللَّه ﷺ وقف لأبيه عبدِاللَّه بن أبي بن سلول عند مَضيقِ المدينة، فقال: «قِفْ، فواللَّهِ لا تدخُلُها حتىٰ يأذنَ رسولُ اللَّه ﷺ في ذلك»، فلما جاء رسولُ اللَّه ﷺ استأذنه في ذلك، فأذن له، فأرسله حتىٰ دخل المدينة[1].

◘ وفي «التفسير» عند ابن كثير: «ذكر عكرمةُ وابنُ زيد وغيرهما: أن الناس لما قَفَلوا راجعين إلىٰ المدينة، وقف عبدُاللَّه بنُ عبدِاللَّه هذا علىٰ باب المدينة، واستلَّ سيفه، فجعل الناسُ يمرُّون عليه، فلما جاء أبوه عبدُاللَّه بن أبيٍّ، قال له ابنُه: وراءَك، فقال: ما لك وَيْلَك؟ فقال: واللَّهِ لا تجوزُ من هنا حتىٰ يأذنَ لك رسولُ اللَّه ﷺ، فإنه العزيـزُ وأنت الذليل، فلمـا جـاء رسولُ اللَّه ﷺ، وكان يسيرُ سـاقةً[2]، فشكا إليه عبدُاللَّه بنُ أبيٍّ ابنَـه، فقال ابنُه عبدُاللَّه: واللَّهِ يا رسولَ اللَّه، لا يدخُلُها حتىٰ تأذنَ له، فأذِن له رسولُ اللَّه ﷺ فقال: أمَّا إذْ أَذِنَ لك رسولُ اللَّه ﷺ فجُزِ الآن.

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ١٥٨ ـ ١٦٠).

(٢) في مؤخرة الجيش.

□ وقال أبو بكر بن عبد بن الزبير الحميدي في «مسنده»: قال هارون المَدَني: قال عبداللَّه بنُ عبدِاللَّه بنِ أُبَي بنِ سلول لأبيه: واللَّهِ لا تدخلُ المدينةَ أبدًا حتىٰ تقول: رسولُ اللَّه الأعز، وأنا الأذل، قال: وجاء النبيَّ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللَّه، إنه بلغني أنك تريدُ أن تقتلَ أَبِي، فو الذي بعثك بالحقِّ ما تأملتُ وجهَه قطُّ هيبةً له، ولئن شئتَ أن آتيَك برأسه لآتينَّك، فإني أكرهُ أن أرىٰ قاتلَ أبي».

فانظر إلىٰ رأس النفاق، الذي لم يَهْدِ اللَّهُ قلبَه للإيمان، ولم يكتبْ له هذه الرحمةَ، وهذه النعمة، وتقفُ دونَ هذا الفيضِ المتدفِّقِ من النور والتأثير إحْنةٌ في صدره، أن لم يكن مَلِكًا علىٰ الأوس والخزرج، بسبب مَقْدِمِ رسولِ اللَّه ﷺ إلىٰ المدينة، فتَكُفُّه هذه وحدَها عن الهدىٰ، ويقول ما قال، قولةً يتجلَّىٰ فيها خُبثُ الطبع، ولؤمُ النحيزة، فيكونُ جزاؤه من جنس عمله وقوله، علىٰ يدِ ابنه، ليتقرَّر بالتجربةِ الواقعة مَن هو الأعزُّ، ومَن هو الأذلُّ، في نفسِ الواقعة، وفي ذاتِ الأوان، ولم يَدخُلْها الأذلُّ إلاَّ بإذن الأعز.

ويضمُّ اللَّهُ ـ سبحانه ـ رسولَه والمؤمنين إلىٰ جانبه، ويُضفِي عليهم من عِزَّته، وهو تكريمٌ هائلٌ لا يُكرِمُه إلاَّ اللَّه، وأيُّ تكريمٍ بعدَ أن يوقفَ اللَّهُ ـ سبحانه ـ رسولَه والمؤمنين معه إلىٰ جواره، ويقول: «ها نحن أولاء، هذا لواءُ الأعزاء، وهذا هو الصفُّ العزيز».

عِزةٌ مستمَدَّةٌ من عِزَّته، لا تهونُ ولا تُهان، ولا تنحني ولا تلين، ولا تُزايلُ القلبَ المؤمنَ في أَوْجِ اللحظات، إلا أن يتضعضعَ فيه الإيمان، فإذا

استقرَّ الإيمانُ ورَسَخ، فالعزَّةُ معه مستقِرَّةٌ راسخة.

▫ انظر إلىٰ هذا الذي كان وجيهًا عند قومه، جاء إليه رسولُ اللَّه ﷺ وهو علىٰ حِمارةٍ، مرَّ بها علىٰ طريقٍ سَبِخةٍ، وجعل يدعوه إلىٰ الإيمان، وهو يقول له: «ابعُدْ عني يا محمد، فإن رائحةَ حمارِك تؤذيني، فيقول له ابنُ عمٍّ له: واللَّهِ لرَيحُ حمارِ رسولِ اللَّه أطيبُ من رِيحك».

أيَّ هوانٍ كان هذا!! وصَدَق اللَّه العظيم إذ يقول عن المنافقين: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ** ﴾ [المنافقون: ٤] أشباحٌ وقوالب، ليس وراءَهم ألبابٌ وحقائقُ، كالجَوز الفارغ، مُزيَّنٌ ظاهره، ولكنه لِلَعِبِ الصِّبيان.

هذا الذي تولَّىٰ كِبْرَه، وخاض في عِرضِ أمِّ المؤمنين عائشة في قصةِ الإفك، فقال اللَّه - عز وجل -: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النور: ٢٣ - ٢٤]، جزاءً وفاقًا، كما استطالت.

وظلَّ رأسُ المنافقين علىٰ نِفاقِــه إلىٰ أن مات، وأُخذ به إلىٰ أُمِّه الهاوية إلىٰ الدَّرْكِ الأسفلِ من النــار، تُشيِّعُه لَعنةُ اللَّه والملائكةِ والناسِ أجمعين.

* * *

* **كِسرى[١] مَلِكُ الفرس، يُمزِّق كتابَ النبي ﷺ إليه، فيمزِّق اللَّهُ مُلْكَه:**

◻ عن أنسٍ رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ كتب إلىٰ كِسرىٰ وإلىٰ قيصرَ وإلىٰ النجاشيِّ وإلىٰ كلِّ جبَّارٍ عنيدٍ يدعوهم إلىٰ اللَّه تعالىٰ»[٢].

وكسرىٰ هو ابنُ برويز بن هُرْمز بن أنوشِرْوان، وهو كسرىٰ الكبير المشهور.

◻ وعن عُبيدِاللَّه بن عبدِاللَّه أنَّ ابنَ عباس أخبره «أن رسول اللَّه ﷺ بَعث بكتابه إلىٰ كسرىٰ مع عبداللَّه بن حُذافةَ السَّهْمِيِّ»[٣].

وجَزَم ابنُ سعدٍ أنَّ بَعْثَ عبدِاللَّه بن حذافة إلىٰ كسرىٰ كان في سنةِ سبع، وصنيعُ البخاري يقتضي أنه كان في سنة تسعٍ، ورَوىٰ محمدُ بنُ إسحاق بسنده عن أبي سلمة أن رسول اللَّه ﷺ بَعَث عبدَاللَّه بنَ حذافة السَّهْمِيَّ بكتابه إلىٰ كسرىٰ، فلما قرأه مَزَّقه، فلمَّا بَلَغ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «مَزَّق اللَّهُ مُلكَه»، وقع في جميع الطرق مرسلاً، ويُحتمل أن يكون ابنُ المسيَّب سَمِعه من عبداللَّه بن حذافةَ صاحبِ القصة، فإنَّ ابنَ سعدٍ ذَكر من حديثه أنه قال: «فقرأ عليه كتابَ رسول اللَّه ﷺ، فأخذه فمزَّقه»[٤].

---

(١) كَسرىٰ ـ بفتح الكاف وبكسرها ـ: لقب كلِّ مَن تملَّك الفرس، ومعناه بالعربية: المُظفَّري.

(٢) رواه مسلم (١٢/ ١١٢) ـ باب كتب النبي ﷺ إلىٰ ملوك الكُفَّار يدعوهم إلىٰ الإسلام. وعند مسلم (١٢/ ١١٢) ولفظه: «وليس بالنجاشي الذي صلّىٰ عليه النبي ﷺ».

(٣) أخرجه البخاري في باب كتاب النبي ﷺ إلىٰ كسرىٰ وقيصر ـ (٨/ ١٢٦) فتح الباري حديث (٤٤٢٤).

(٤) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (١/ ٢٦٠)، وانظر «البداية والنهاية» (٤/ ٢٦٨، ٢٦٩)، و«الدلائل» للبيهقي (٤/ ٣٩١، ٣٩٢).

● وعند ابن جريرٍ: عن أيِّد بنِ أبي حبيبٍ قال: «وبَعَث عبدَاللَّه بنَ حذافةَ بن قيس إلىٰ كسرىٰ بن هرمز مَلِكِ فارس، وكتب معه: بسم اللّه الرحمن الرحيم.. **من محمد رسول اللَّه، إلى كسرى عظيم فارس.. سلامٌ على مَنِ اتَّبع الهدى، وآمَنَ باللَّهِ ورسوله، وشَهد أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّه، وحدَه لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، أدعوك بدُعاء اللَّه، فإني أنا رسولُ اللَّه إلى الناس كافَّةً؛ لأُنذرَ مَن كان حيًّا، ويَحِقَّ القولُ على الكافرين، فإن تُسلِمْ تَسْلَمْ، وإن أبَيْتَ، فإنَّ إثمَ المجوسِ عليك**».

قال: فلما قرأه شَقَّه، وقال: يَكتبُ إليَّ بهذا وهو عبدي!! قال: ثم كَتَب كِسرىٰ إلىٰ باذان ـ وهو نائبه علىٰ اليمن ـ أنِ ابعَثْ إلىٰ هذا الرجلِ بالحجاز رجُلَينِ من عندك، جَلْدَينِ، فلْيـأتيـاني به.. فبعث باذانُ قَهرمـانَه ـ وكان كاتبًا حاسبًا بكتاب فارس ـ، وبَعَث معه رجلاً من الفرس يقال له: «خُرخُرة»، وكَتَب معهما إلىٰ رسول اللَّه ﷺ يأمرُه أن ينصرفَ معهما إلىٰ كسرىٰ، وقال لباذَوَيه: ائتِ بلادَ هذا الرجل، وكَلِّمْه وائتني بخبره.. فخرجا حتىٰ قَدِما الطائفَ، فوجدَا رجلاً من قريشٍ في أرضِ الطائف، فسألوه عنه، فقال: هو بالمدينة، واستبشَرَ أهلُ الطائف ـ يعني وقريش ـ بهما وفرِحوا، وقال بعضُهم لبعض: أبشِروا، فقد نَصَبَ له كسرىٰ مَلِكُ الملوك، وكُفيتمُ الرجل، فخرجا حتىٰ قَدِما علىٰ رسول اللَّه ﷺ فكَلَّمه باذَويه، فقال: شاهنشاه ـ مَلِكُ الملوك ـ كسرىٰ قد كتب إلىٰ المَلِك باذانَ؛ يأمرُه أن يَبعثَ إليك مَن يأتيه بك، وقد بَعَثني إليك؛ لتنطلقَ معي، فإن فعلتَ كَتَبَ لك إلىٰ مَلِكِ الملوك يَكُفُّه عنك، وإنْ أبيتَ، فهو مَن قد علمتَ، فهو مُهلِكُك ومُهلِكٌ قومَك، ومُخرِّبٌ بلادَك.. ودخلاَ علىٰ رسول اللَّه ﷺ

وقد حَلَقا لِحاهما، وأعفَيا شواربَهما، فكره النظرَ إليهما، وقال: «**ويلكما، مَن أمركما بهذا؟**» قالا: أَمَرنا ربُّنا ـ يعنيانِ كسرىٰ ـ. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ولكنَّ ربي أمرني بإعفاء لِحيتي وقصِّ شاربي**»، ثم قال: «**ارجعا حتى تأتياني غدًا**»، قال: وأتىٰ رسولَ اللَّه الخبرُ من السماء، بأنَّ اللَّهَ قد سَلَّط علىٰ كسرىٰ ابنَه «شِيرويه»، فقَتَله في شهرِ كذا وكذا، في ليلةِ كذا وكذا من الليالي، سَلَّط عليه ابنَه شيرويه فقتله.

قال: فدعاهما، فأخبرهما، فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نَقَمْنا عليك ما هو أيسرُ من هذا، فنكتبُ عنك بهذا، ونُخبِرُ الملك باذان؟ قال: «**نعم، أخبِراه ذلك عنِّي، وقُولاَ له: إنَّ دِيني وسُلطاني سيبلغُ ما بَلَغ كسرى، وينتهي إلى الخُفِّ والحافر، وقولاَ له: إن أسلمْتَ أعطيتُك ما تحتَ يديك، ومَلَّكتُك على قومِك من الأبناء**»، ثم أعطىٰ «خُرخرةَ» مِنطقةً فيها ذهبٌ وفضة كان أهداها له بعضُ الملوك، فخرجا من عنده حتىٰ قدما علىٰ باذان، فأخبراه الخبر، فقال: واللَّهِ، ما هذا بكلامِ مَلِكٍ، وإني لأرىٰ الرجلَ نبيًّا كما يقول، ولَيكونَنَّ ما قد قال، فلَئنْ كان هذا حقًّا فهو نبيٌّ مرسل، وإنْ لم يكن فسنرىٰ فيه رأيًا، فلم يَنْشَبْ باذانُ أن قَدِمَ عليه كتابُ شيرويه: أما بعد، فإني قد قتلتُ كسرىٰ، ولم أقتلْه إلاَّ غضبًا لفارس، لِمَا كان استَحَلَّ مِن قتلِ أشرافهم، ونَحْرِهم في ثغْورهم، فإذا جاءك كتابي هذا، فخُذْ لي الطاعةَ ممن قِبَلك، وانطلِقْ إلىٰ الرجل الذي كان كسرىٰ قد كَتَب فيه، فلا تَهْجِهِ حتىٰ يأتيَك أمري فيه، فلما انتهىٰ كتاب شِيرويه إلىٰ باذان، قال: إن هذا الرجلَ لرسول.. فأسلم، وأَسلمتِ الأبناءُ من فارس، مَن كان منهم باليمن.

قال: وقد قال باذويه لباذان: ما كَلَّمتُ أحدًا أهيبَ عندي منه، فقال له باذان: هل معه شُرَطٌ؟ قال: لا..

وَكِسْرَى إِذْ تَقَاسَمَهُ بَنُـــوهُ   بِأَسْيَافٍ كَمَا اقْتُسِمَ اللَّحَامُ
تَمَخَّضَتِ الْمَنُونُ لَهُ بِيَــوْمٍ   أَتَى وَلِكُلِّ حَامِلَـةٍ تَمَــامُ

◻ قال الشافعيُّ: لما أُتي كسرىٰ بكتابِ رسول اللَّه ﷺ مزَّقه، فقال: رسول اللَّه ﷺ: «**يُمزَّقُ مُلكُه**»، وحَفِظنا أن قيصرَ أكرمَ كتابَ رسولِ اللَّه ﷺ ووضعه في مَسْك[1]، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ثُبِّت مُلكُه**»، ولَمَّا كانت العربُ تأتي الشامَ والعراقَ للتجارة، فأسلم مَن أسلم منهم، شكَوْا خوفَهم من مَلِكي العراقِ والشام إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، فقال: «**إذا هلَكَ كسرى فلا كسرى بعده؛ إذا هلك قيصرُ فلا قيصرَ بعده**». فباد مُلكُ الأكاسرة بالكلية، وزال ملكُ قيصرَ عن الشام بالكلية، وإن ثَبَت لهم مُلكٌ في الجملة، ببركةِ دعاءِ النبي ﷺ لهم حين عَظَّموا كتابه، واللَّه أعلم»[2].

● عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا هلَكَ كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصرُ فلا قيصرَ بعده، والذي نفسي بيده لتُنْفَقَنَّ كنوزُهما في سبيل اللَّه**»[3].

● وعن جابرِ بنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول:

---

(١) المَسْك: الجلْد.

(٢) «البداية والنهاية» (٤/ ٢٦٨ - ٢٧١).

(٣) رواه البخاري (٦/ ٢١٩)، ومسلم (٤/ ٢٢٣٧)، ورواه البخاري (٦/ ٢١٩)، ومسلم (٤/ ٢٢٣٧) عن جابر بن سمرة.

«لَتَفْتَحَنَّ عصابةٌ من المسلمين ـ أو مِنَ المؤمنين ـ كَنْزَ آلِ كسرى الذي في الأبيض»[١] .

● وعن جابر بن سَمُرَةَ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «عُصبةٌ من المسلمين يَفتحون البيتَ الأبيض بيتَ كسرى»[٢] .

*** شيطانُ يهود: كعبُ بنُ الأشرف ـ لعنه اللَّه ـ، عدوُّ اللَّه ورسوله:**

□ لَمَّا اتَّصل بكعْبِ بنِ الأشرف ـ وهو رجلٌ يهوديٌّ من نَبْهانَ مِن طَيِئ، وأُمُّه من بني النَّضِير ـ قَتْلُ صناديدِ قريشٍ ببدرٍ قال: «بطنُ الأرض خيرٌ من ظهرها».

● ونَهَض ابنُ الأشرف إلىٰ مكةَ، فجعل يَرْثي قَتلىٰ قريش، ويُحرِّضُ علىٰ قتالِ النبيِّ ﷺ، ويُشبِّب بنساءِ المسلمين؛ قصداً لإيذاءِ أزواجِهنَّ، وكان شاعراً، ثم عاد من مكةَ إلىٰ المدينة، فلم يَزَلْ يُؤذي رسولَ اللَّه ﷺ ويدعو إلىٰ خلافِه، ويَسُبُّ المسلمين حتىٰ آذاهم أعظمَ الأذىٰ، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنْ لي بابن الأشرف، فإنه يُؤذي اللَّهَ ورسولَه والمؤمنين؟**»، فقال له محمدُ بنُ مَسْلَمةَ: أنا له يا رسول اللَّه، أنا أقتله إن شاء اللَّه، فقال: «**فافعل إنْ قَدَرْتَ على ذلك**».

ومَكَث محمدُ بنُ مَسْلَمةَ أياماً مشغولَ النفس بما وَعَد رسولَ اللَّه ﷺ من نفسه في قتل ابن الأشرف، فانتدبه رسولُ اللَّه ﷺ، وانتدب معه سِلْكانَ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٣٧)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ٢١٧).

(٢) رواه أحمد، ومسلم.

ابنَ سلاَمَةَ بنِ وَقْشٍ أبا نائلةَ ـ أحدَ بني عبد الأَشْهَل، وكان أخَا كعبِ بنِ الأشرف من الرضاعة ـ، وعَبَّادَ بنَ بِشْرِ بنِ وَقْش، والحارثَ بنَ أَوْسِ بنِ مُعَاذ ـ وهما من بني عبد الأشهل ـ، وأبا عَبْس بنَ جَبْر أخا بني حارثة[١] ، وأَذِن لهم رسولُ اللَّه ﷺ أن يقولوا غيرَ ما يعتقدون[٢] ، على سبيل جوازِ ذلك في الحرب .

وقدَّموا إلى ابن الأشرف سِلْكَانَ بنَ سَلاَمة، فقصَد له وأظهَرَ له موافقتَه على الانحراف عن رسول اللَّه ﷺ، وشكا إليه ضِيق حالهم، وكَلَّمَه في أن يَبيعَه وأصحابَه طعامًا، فَيَرْهَنُوه سِلاحَهم، فأجابهم إلى ذلك .

ورجع سِلْكَانُ إلى أصحابه، فخرجوا إلى ابنِ الأشرف اليهوديِّ، وشيَّعهم رسولُ اللَّه ﷺ إلى بَقيعِ الغَرْقَد[٣] في ليلةٍ مُقْمِرَة، فأتَوا كعبًا، فخرج إليهم من حِصْنِه، فَتَماشَوْا، فوضعوا عليه سيوفهم، ووضع محمدُ ابنُ مَسْلَمَةَ مِغْوَلاً[٤] كان معه في ثُنَّتِه[٥] فقتله .

وصاح ابنُ الأشرف صيحةً شديدةً انذعر بها أهلُ الحصون حوالَيه، فأوقدوا النيرانَ دون جدوىٰ .

---

(١) في عيون الأثر : أن اسمه عبدالرحمن .

(٢) أن يقولوا في الرسول ﷺ ما لا يعتقدون، خُدعةً للعدو على سبيل جواز ذلك مع الأعداء في الحرب .

(٣) بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة المنورة .

(٤) المغول : شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه . وقيل : هو حديدة دقيقة لها حدٌّ ماضٍ وقفًا، وقيل : هو سوط في جوفه سيف دقيق يشدُّه الفاتك على وسطه؛ ليغتال الناس .

(٥) الثُّنَّة من الإنسان : ما دون السرَّة، فوق العانة، أسفل البطن .

وجُرح الحارثُ بن أَوْسٍ في رِجْلِه ببعض سيوفِ أصحابه أو في رأسه، فَنَزَفَهُ الدمُ، وتأخَّر قليلاً عن أصحابه الذين سَلَكوا علىٰ بني أُمَية بن زيد إلىٰ بني قُرَيْظَة، إلىٰ «بُعَاث»[1]، إلىٰ «حَرَّة العُرَيْض»[2]، فانتظروا صاحبَهم الحارثَ هناك حتىٰ وافاهم، فأتَوا به رسولَ اللَّه ﷺ في آخرِ الليل وهو يُصلِّي، فأخبروه بقتل ابن الأشرف؛ وكان ذلك في شهرِ ربيعٍ الأول من السَّنةِ الثالثةِ من الهجرة (٦٢٤م).

وهكذا انتهت حياةُ أحدِ أعداء المسلمين الذين آذاهم وحَرَّض عليهم كثيراً.

● عن سفيانَ، عن عمرٍو قال: سمعت جابرَ بن عبداللَّه رضي الله عنهما يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: **«مَنْ لي بكعبِ بنِ الأشراف؟ فإنه قد آذى اللَّهَ ورسوله؟»** فقام محمدُ بنُ مسلمة فقال: يا رسولَ اللَّه، أتحبُّ أن أقتله؟ قال: **«نعم»** قال: فأْذَنْ لي أقل شيئًا. قال: **«قل»**.

فأتاه محمدُ بنُ مَسْلَمةَ، فقال: إنَّ هذا الرجلَ قد سأَلَنا صدقةً، وإنه قد عنَّانا[3]، وإني قد أتيتُك أستسلفُك. قال: وأيضًا واللَّه لَتَمَلُّنَّهُ. قال: إنا قد اتَّبعناه، فلا نحبُّ أن نَدَعَه حتىٰ ننظرَ إلىٰ أيِّ شيءٍ يصيرُ شأنُه، وقد أردنا أن تُسلِفَنا وَسْقًا أو وَسْقَين - فقال: نعم، ارهَنوني. قالوا: أيَّ شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءَكم. قالوا: كيف نَرهنُك نساءَنا وأنت أجملُ العرب؟ قال:

(١) بعاث: موضع في نواحي المدينة كانت فيه وقائع بين الأوس الخزرج في الجاهلية، انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٢٢٣).

(٢) حرَّة العريض: حرَّة بالقرب من المدينة، لا ذكر لها في «معجم البلدان».

(٣) أي: أثقل كواهلنا وأتعَبَنا بما يطلبُه من المال.

فارْهَنوني أبناءَكم. قالوا: كيف نرهنُك أبناءَنا، فيُسَبَّ أحدُهم فيُقال: رُهِن بوَسْقٍ أو وسقَيْن!!، هذا عارٌ علينا، ولكنا نَرهنُك اللأْمَةَ ـ قال سفيان: يعني السلاح ـ، فواعَدَه أن يأتيَه، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة ـ وهو أخو كعبٍ من الرضاعة ـ، فدعاهم إلى الحِصن، فنزل إليهم، فقالت له امرأتُه: أين تخرجُ هذه الساعةَ؟ فقال: إنما هو محمدُ بنُ مَسلمةَ وأخي أبو نائلة ـ وفي رواية: قالت: أسمعُ صوتًا كأنه يَقْطُرُ منه الدم، فقال: إنما هو أخي محمد ابن مسلمة ورضيعي أبو نائلة ـ، إنَّ الكريمَ لو دُعي إلى طَعنةٍ بليلٍ لأجاب.

قال: ويدخلُ محمدُ بنُ مَسلمةَ ومعه أبو عبس بنُ جبر والحارثُ بن أوس وعَبَّادُ بنُ بِشر. فقال محمدُ بن مَسْلمة: إذا ما جاء فإني قائلٌ بشَعْره فأشمُّه، فإذا رأيتُموني استمكنتُ من رأسه، فدونَكم فاضرِبوه ـ وقال مرة: ثم أُشِمُّكم ـ.

فنزل إليهم متوشِّحًا وهو يَنفحُ منه ريحُ الطيب، فقال: ما رأيتُ كاليوم ريحًا ـ أيْ أطيب ـ. قال: عندي أعطرُ نساءِ العرب وأكملُ العرب. فقال محمدُ بن مَسْلمة: أتأذنُ لي أن أشمَّ رأسك؟ قال: نعم.. فشمَّه، ثم أشمَّ أصحابَه، ثم قال: أتأذنُ لي؟ قال: نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم.. فقتلوه.. ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه»[1].

◘ قال عَبَّادُ بنُ بِشر في هذه الواقعة ـ وفيها وصفُ شجاعةِ محمدِ بنِ مسلمة رضي الله عنه ـ:

صَرَخْتُ بِهِ فَلَمْ يَعْرِضْ لِصَوْتي وَوَافَى طَالعًا مِنْ رَأْسِ خِـدْرِ[2]

(١) أخرجه البخاري (٤٠٣٧) ومسلم (١٨٠١) وأبو داود (٢٧٦٨)، وعزاه المزي للنسائي.

(٢) في مصادر أخرى: رأس جدر، وعند الواقدي:

صرخت به فلم يَجفَلْ لصوتي وأوفى طالعًا من فــوق قـصر

بَعَثْتُ لَهُ فَقَالَ: مَنِ الْمُنَــادي؟ فَقُلتُ: أخوكَ عَبَّادُ بنُ بشرِ[1]
وَهَذي درْعُـنَا رُهُنًا فَخُـذْهَا لشَهْرٍ إنْ وفَى أَوْ نصْف شَهْرِ
فَقَالَ: مَعَاشرٌ سَـغَبُوا وَجَاعُـوا وَمَا عُدِمُوا الْغِنَى منْ غَيْرِ فَقْرِ
فَأَقْبَلَ نَحوَنَا يَهْــوي سَــرِيعًا وقَالَ لَنَا: لَقَدْ جئْتُمْ لأَمْرِ
وَفي أَيْمَاننَا بيضٌ حــــدَادٌ مُجَرَّبَةٌ بهَا الْكُفَّارَ نَفْرِي
فَعَانَقَهُ ابْنُ مَسْـلَمَةَ الْمُـرَدَّى به الْكُفَّارُ كَاللَّيْث الهزبْرِ
وَشَـــدَّ بسَـيفه صَلْتًا عَلَيـــه فَقَطَّـرَهُ أَبُو عَبْسِ بْنِ جَبــرِ
وَكَانَ اللَّهُ سَـادسَــنَا فَأُبْنَا بأَنْعَمِ نعْمَة وَأَعَـــزِّ نَصْــرِ
وَجَــاءَ برَأْسِــهِ نَفَــرٌ كرَامٌ هُمُو نَاهِيكَ مِنْ صِــدْقٍ وَبِــرِّ

وقال كعب بن مالك في قتل ابن الأشرف:

فَغُــودرَ منْهُــمُ كَعْبٌ صَرِيـعًا فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِـه النَّضيــرُ
عَلَى الْكَفَّيْنِ ثُمَّ وَقَـدْ عَلَتْــهُ بَأَيْــدينَا مُشَــهَّرَةً ذُكُـورُ
بأَمْــرِ مُحَمَّدٍ إذْ دَسَّ لَيْـــلاً إلَى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَســيرُ
فَمَــا كَــرَهْ فَأَنْــزَلَهُ بمَكْرِ وَمَحْمُودٌ أَخُو ثِقَــةٍ جَسُــورُ

ولِلَّه دَرُّ من نظم هذه السَّرية شعراً فقال:

يَا نَاقِضَ الْعَهْدِ لاَ شَكْوَى وَلاَ أَسَفُ اللَّهُ مُنتقمٌ والسيفُ مُنتصِفُ
تَهْجُو النَّبيَّ وتُغري الْمُشركينَ به مَهْلاً لكَ الويلُ مَاذَا أنتَ مُقترِفُ
كَمْ جِيفَةٍ خَرَجَتْ مِنْ فِيكَ مُنْكَرَةٍ لَمَّا تَرَدَّتْ بِبَدْرِ تِلْكُمُ الجِيَفُ

(١) وفي مصدر آخر:

فعُدتُ فقــال من هذا المنــادي فقلت أخوك عبَّاد بن بشــر

إِنَّ الْوَلِيمةَ أَخْزَى اللَّهُ صَانعَها ... كَانَتْ ضِرَارًا فَلاَ وُدٌّ وَلاَ لَطَفُ
أتحسَبونَ رسولَ اللَّه يَجهلُها ... مَكِيدةٌ فَضَحَتْ أسرارَها السُّجُفُ(١)
بل أظهرَ اللَّهُ مَا تُخفونَ فانكشفَتْ ... يا وَيَلكم أيٌّ خاف ليس يَنكشفُ؟
لقد هَممتُمْ بمن لا حَيَّ يَعدلُه ... إن نُوزِعَ المجدُ بين الناسِ والشرفُ
يا ويلَ من ظن أن اللَّه يَخذُلُه ... وأنه من يمينِ اللَّه يُختَطَفُ
يا كعبُ ما لَكَ تُؤذيه وتُنكرُه ... وما الوُلوعُ بقولِ الزور والشغَفُ
جعلتَ مالَكَ للأحبارِ مفسدةً ... يُمتاحُ فيها الأذَى حِينًا ويُغترفُ(٢)
رَمَوْكَ بالحق لما رُحتَ تسألُهم ... وأعلنوا من يقينِ الأمرِ ما عَرَفوا
فقلتَ: عُودوا فما عندِي لكم صِلَةٌ ... جَفَّ المَعينُ فلا قَصْدٌ ولا سَرَفُ
حَسْبِي الحقوقُ فمالِي لا يجاوزُها ... إلى الفُصولِ وما عن ذاكَ مُنصرَفُ
عادوا يقولونَ: ما أشقاهُ من رَجُلٍ ... لا يرتضِي القولَ إلا حينَ ينحرفُ
ثم انْثَنَوا ينطقون الزورَ فانقلبوا ... بالمال يَصدفُ عنه المعشرُ الأُنُفُ(٣)
بئسَ العطاءُ وبئسَ القومُ أمرُهُم ... وأمرُ سيدِهم في الغَي مُؤتلفُ
هُمُ اليهودُ، لَو أنَّ المالَ لاح لهم ... في عَيْنِ مُوسى كليمِ اللَّهِ ما صَدَفوا

---

(١) الأستار.

(٢) جاءه أحبار اليهود، ليأخذوا صِلَتهم على عادتهم، فقال لهم: ما عندكم من أمر هذا الرجل «النبي»؟! قالوا: هو الذي كنا ننتظره، ما أنكرنا من نعوته شيئًا!!. قال: قد حُرِمْتُمْ كثيراً من الخير، ارجعوا إلى أهليكم، فإن الحقوق في مالي كثير!!. فرجعوا عنه خائبين، ثم رجعوا إليه وقالوا: إنا عجلنا فيما أخبرناك به، وليس هو المنتظر!!. فرضي عنهم، ووصلهم، وجعل لكل من تابعهم من الأحبار شيئًا من ماله.
وَمَتَحَ الْمَاءَ وامْتَاحَهُ: نَزَعهُ.

(٣) جمع أُنوف، وهو: الشديد الأنفة.

هبَّ ابنُ مسلمة للحق يَنصرُه ... وللرسولِ يُريه كيفَ يَزدهفُ[١]

فقال: دُونكَ سعدًا إن هممتَ بها ... شَاوِرْهُ فيها فنِعمَ الحاذقُ الثقفُ[٢]

قَضى ثلاثةَ أيامٍ على سَغَبٍ ... وللمُجَرِّبِ ذي التدبيرِ ما يَصفُ

وجاءَ في صَحْبِه يستأذنون على ... تَقْوَى من اللَّه ما مالوا ولا جَنَفُوا

قال الرسولُ لكمُ في القولِ مأربُكم ... ماذا على الدار مما يُوهِمُ الصدَفُ

هيَ القلوبُ فإن طابتْ سَرائرُها ... فما بأفواهِكم عَيْبٌ ولا نَطَفُ[٣]

* * *

مَضْوا فقالوا لكعبٍ: أنت مَوئلُنا ... أنت الحِمى المُرتجى في الأزْلِ والكَنَفُ[٤]

أما ترانا جِياعًا لا طعامَ لنا ... حتى لقد كادَ يَغْشَى أهلَنا التلَفُ

لم يُبقِ صاحِبُنا شيئًا نَعيشُ بهِ ... فالزادُ مَنتَهبٌ والمالُ مُجتَرَفُ[٥]

إن أنتَ أسلفتَنا ما نَستعيدُ به ... رُوحَ الحياةِ فَغَيْثٌ ودْقُهُ يَكفُ[٦]

قال: الحلائلُ رَهْنٌ لا طعامَ لكم ... إلا بهن فقالوا: مطلبٌ قُذُفُ[٧]

---

(١) ازْدَهَفَ الأمرَ: تقحم فيه، وَالْحِمْلَ: احتمله، والشيءَ: ذهب به وأهله، وللكلمة معانٍ أخرىٰ.

(٢) الحاذقُ والثَّقِفُ بمعنىٰ.

(٣) النطف: العيب والشر والفساد.

(٤) الأزل ـ بسكون الزاي ـ: الشدة والضيق.

(٥) اجترف: ذهب به كله أو معظمه.

(٦) الودق: المطر. ووكف: سال قليلاً قليلاً.

(٧) القذف من الأمكنة والمواضع: ما يُزلُّ عنه ويُهْوَىٰ، والشيء يبعد ويتقاذف.

تأبَى علينا سَجايانا ويمنعُنا هذا الجَمالُ أُوتيتَ والترَفُ

قال: البنونَ فقالوا: لا تَكُنْ عَسِراً البؤسُ أهونُ مما رُمْتَ والشظَفُ

خُذِ السلاحَ وإن كَلفتنا شَططًا إن الشدائدَ فيها تَسْهُلُ الكُلَفُ(١)

لم يَدْرِ مأربَهم إذ يسخرونَ به وإذ يُريدونَها دَهماءَ تُلتَحَفُ(٢)

قال: ارتضيتُ فقالوا: غُمةٌ ذَهبت عنا غياهِبُها وانْجَابتْ السدُفُ(٣)

وَأَرْجَؤُوهُ إلى إبـانِ مَوْرِدِه يَعُبُّ من سُمِّه المُردِي ويَرتشفُ(٤)

جـاؤوه بالليلِ مَسروراً بغرفته وليس يُنْجِي الفتى من حَتفه الغُرَفُ

وَرَنَّ صَوتُ أخيه عندَ مضجعه: اخْرُجْ إلينا أما تَنْفَكُّ تَعْتَكفُ؟

فَهبَّ يركضُ، وَارْتاعتْ حَليلَتُه: مَهْلاً فإن فؤادي خائفٌ يَجفُ(٥)

أنت امرؤٌ ذُو حروبٍ لا يُلائمُه أن يستجيبَ ذَوي الأضغانِ إن دَلفوا

إني لأسمعُ صَوْتًا لستُ آمَنَهُ كأنه الدمُ يَجرِي أو هُوَ الجَدَفُ(٦)

قال: اسكُني ودَعِيني إنه لأخي يَخشَى عليَّ فَيرعانِي وينعطفُ

وراحَ يلقاهُ والإسلامُ مُبتسِمٌ والشركُ مُتسِمٌ بالحزنِ مُرتجِفُ

---

(١) جمع الكلفة: المشقة.

(٢) الدهماء: الداهية.

(٣) السدف: الظُلم، جمع سدفة.

(٤) يعبُّ: يشرب بلا تنفس. والمُردِي: المُهلِك.

(٥) وجف القلب: خفق.

(٦) الجدف: القبر.

وَافَاهُ في صَحْبَهِ يُدني الخُطَى عَبِقًا كأنه ذاتُ دَلٍّ زَانها هَيَفُ[1]
قالوا أتمشي إلى شِعبِ العجوزِ ففي هذا الخـلاء جنًى للنفس يُخْتَرفُ[2]
وَانْظُرْ إلى القمرِ الزاهِي وبَهجته وَاعْجَبْ له بعد هذا كيفَ يَنكسِفُ

* * *

ساروا إلى الشِّعبِ والأقدارُ تَتبعُهم على هُدى اللَّه ما زَاغْت ولا اعْتَسَفُوا
حتى إذا قعدوا ظَلتْ بموقفها وَأَقْبَلَ الموتُ عن أيمانها يَقِفُ
وتلكَ كفٌّ أخيه فَوْقَ مَفْرقه كأنها من جَنيِّ الزهرِ تَقْتَطفُ
يَشُمها ويقولُ القولَ يَخدَعُهُ في الطيبِ وَهْوَ له من خلفه هَدَفُ
ظَلتْ سيوفُ رسولِ اللَّه تأخذُهُ تَشُقُّ ما ضربت منه وتَنْتَقفُ[3]
يا حُسنَها صَيحةً من فيه يُرسلُها كادتْ تَخرُّ لها من داره السقُفُ
لم تستطع عُرْسُهُ صَبْرًا فجاوبَها صَوْتٌ يُجلجلُ أودَى السيدُ اللقفُ[4]
بَنِي قَريظةَ هُبُّوا من مَضَاجعكم بني النضيرِ انْفروا للثأرِ وَازْدَلفُوا
عَدَا الرجالُ على كعبٍ فوالهفا أين الحُماةُ وماذا يَصنعُ اللهَفُ
تَبكِي عليه وماذا بعدَ مصرعه إلا البكاءُ وإلا الأدمعُ الذُّرُفُ
إن الذي كان يَثْنِي عِطْفَهُ صَلَفًا أمسى صَرِيعًا فلا كِبْرٌ ولا صَلَفُ

---

(١) الْعَبِق: الذي تفوح منه رائحة الطيب. والدلُّ: الدلال، والهَيَف: ضمور البطن ورقَّة الخَصْر.

(٢) اخترف الثمر: جناه.

(٣) نَقَفَ الشيءَ أو انْتَقَفَهُ، بمعنى: شقه، وكان محمد بن مسلمة ابن أخيه من هذه الناحية.

(٤) العرس: امرأة الرجل. واللقف: الحاذق.

عادوا بهامتـــه تُلْقَى مُذَمَّمـــةً ... عندَ الرسول ومنه الصَّدُّ والنكَفُ[١]

طار اليهودُ على آثارهم فأبَتْ ... أن يُدركوا هِمَمٌ تَرْمِي بهم عُصُفُ

اللَّه أكبـرُ والحمـــدُ الجزيــلُ له ... نَصرٌ جديدٌ وفضلٌ منهُ مؤتَنَفُ[٢]

رِيعَتْ يهودُ فجاءَتْ تَبتغِي حلفًا ... عُودِي يَهودُ فنعمَ العهدُ والحَلفُ[٣]

هَيهاتَ ما لك من عهد ولو حَمَلَتْ ... مِلءَ البسيطةِ من أيْمانك الصحفُ

عَبَّادُ قُلْ إن في الأشعار تذكرةً ... وإن أحسنها ما أورثَ السلَفُ[٤]

غَنِّ الرفاقَ بِوَحيِ الحـــقِّ تُنشِدُه ... مَضَى النعيبُ وأودَى الشاعِرُ الخَرِفُ[٥]

* **المنافق الخبيث أبو عَفَك:**

شيطانٌ من شياطينِ المنافقين، ألدُّ أعداءِ المسلمين هو أبو عفك ـ لعنه اللَّهَ ـ هو أحد بني عمرو بن عوف، ثم من بني عبيدة[٦] ، وكان قد نَجَمَ[٧] نفاقُه حين قَتَلَ رسولُ اللَّه ﷺ الحارثَ بنَ سُوَيْد بن صامت، فقال:

لقد عِشْتُ دهرًا وما إنْ أرى ... منَ الناس دارًا ولا مَجْمَعَا

أَبَـــرَّ عهُـــودًا وأُوفي لمن ... يُعَـاقَـــدُ فيهم إذا ما دعا

مِن أولادِ قَيْـــلَةَ في جَمْعِهم ... يَهُدُّ الجبـــالَ ولن يخضعا

---

(١) نكف عنه: أي: أَنِفَ منه.

(٢) المؤتنف: بمعنى المستأنف، أي: الجديد المتبدأ.

(٣) الْحِلْفُ: العهد والصداقة. وَالْحَلِفُ: اليمين.

(٤) عباد بن بشر رضي الله عنه : قال الشِّعْر في هذه الواقعة.

(٥) النعيب: صوت الغراب. والخرف: الضعيف العقل، والمقصود: هو كعب.

(٦) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٣١٢).

(٧) نجم: ظهر.

فصدَّعهم راكبٌ جاءهم حـلالٌ حـرامٌ لَشَتى معا
فلو أن بالعـزِّ صدَّقْتُمُ أو المُلْكِ تابعتُـمُ تُبَّعا

● فقال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ لي بهذا الخبيث؟»[١].

وكان أبو عَفَك شيخًا كبيرًا بلغ عشرين ومئةَ سنة، حين قَدِم النبيُّ ﷺ المدينةَ، وكان يُحرِّضُ على عداوةِ النبي ﷺ، ولم يدخلْ في الإسلام، فلما خَرج رسولُ اللَّه ﷺ إلى «بدرٍ»، ورَجَع وقد انتصر على المشركين، حَسَده أبو عَفَك وبَغَى، وقال في هجائه وهجاء المسلمين شعرًا[٢].

وأراح اللَّهُ البشريةَ مِن دنَسِه وخُبثِه على يَدِ الصحابيِّ البطل سالِمِ بن عُمَيْر العَوْفيِّ الأوسيِّ الأنصاريِّ رضي الله عنه.

❑ قال سالم: «عليَّ نذرٌ أن أقتلَ أبا عَفَك أو أموت دونَه».

وأمهل سالمٌ، وطَلَب له غِرَّةً، حتى كانت ليلةٌ صائفة، فنام أبو عَفَك بالفِناء في الصيف في بني عمرو بن عوف، فأقبل سالمٌ، فوضع السيفَ على كَبدِه، حتى خشَّ في الفراش، وصاح أبو عَفَك، فسارع إليه ناسٌ ممن هم على قوله، فأدخلوه منزلَه وقَبَروه، وقالوا: مَنْ قتله؟ واللَّهِ لو نعلم مَنْ قتله لقتلناه به! فقالت أُمامةُ المُزَيْرِية[٣] في ذلك:

تُكَذِّبُ دينَ اللَّهِ والمـرءَ أحمدَا لَعَمرُ الذي أمْنَاكَ إذْ بئس ما يُمْنِي[٤]

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٣١٣).

(٢) «مغازي الواقدي» (١/ ١٧٤، ١٧٥).

(٣) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٣١٣)، أما في «مغازي الواقدي» (١/ ١٧٥): فورد اسمها: النهديَّة.

(٤) أمناك: أنساك، قاله أبو ذر. وعندنا أنَّ خيرًا من ذلك أن يكون أمناك بمعنى بلاك، وما =

حَبَاكَ حَنِيْفٌ آخِـرَ الليل طعنــةً أبا عَفَكَ خُذْهـا على كِبَـرِ السِّنِّ
فإِنِي وإِنْ أعلمْ بقـــاتلك الذي أَبَاتَكَ حِلْسَ الليـلِ إِنْسي أو جِنِّي

وكان قتلُ أبي عَفَكَ في شوالٍ على رأسِ عشرين شهراً من الهجرة، من السَّنة الثانية الهجرية[1] .

ويذكرُ التاريخُ للصحابيِّ البطل سالمٍ ﵁ أنه قَتَل أخته؛ لأنها قالت في النبي ﷺ ما لا يرضاه ولا يرضاه المسلمون الصادقون، ويَذكرُ له أن أراح الناس من خُبْث أبي عَفَك، ويذكر التاريخُ لسالمِ بن عُمَير العَمْريِّ الأوسيِّ الأنصاريِّ أنه كان أحدَ البَكَّائين الذين نزل في أمرِهم قرآنٌ يُتلى .

*** بنو قَيْنُقاع ـ لَعَنهم اللّه ـ أولُ يهود أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة :**

حالَفَهم رسولُ اللَّه ﷺ عند قدومه المدينة فيمن حالَفَ من اليهود، وكانوا أشجعَ يهود، وقد حَقَدوا على المسلمين انتصارَهم ببدر، وأخذوا يتحرَّشون ويتنكَّرون للعهدِ الذي بينهم وبين رسول اللَّه ﷺ، خِيفةً أن يَستفحِلَ أمرُه فلا يَعودون يمِلكون مقاومتَه، بعدما انتصر على قريشٍ في أولِ اشتباكٍ بينه وبينهم .

◻ وذكر الواقديُّ أن إجلاءَهم كان في شوالٍ سنهَ اثنتَيْن، يعني بعد بدر بشهر . . ويؤيِّدُه ما رواه ابنُ إسحاق ـ بإسنادٍ حسن ـ عن ابن عباسٍ قال : «لَمَّا أصاب رسولُ اللَّه ﷺ قريشًا يومَ بدر جَمَع يهودَ في سوقِ بني قينُقاع،

= يُمني : مضارع هذا الفعل .

(١) «مغازي الواقدي» (١/ ١٧٤، ١٧٥)، و«سيرة ابن هشام» (٤/ ٣١٢، ٣١٣)، و«طبقات ابن سعد» (٢/ ٢٨) .

فقال: «يا يهودُ، أسلِموا قبل أن يُصيبكم ما أصاب قريشًا يوم بدر»، فقالوا: إنهم كانوا لا يعرفون القتال، ولو قاتَلْتَنا لعرفت أَنَّا الرجالُ.. فأنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٢-١٣]».

◻ وذكر ابنُ هشام من طريقِ عبدِاللَّه بن جعفر قال: «كان من أمرِ بني قينقاع أن امرأةً من العرب قَدِمت بجَلَبٍ لها، فباعَتْه بسُوقِ بني قينقاع، وجَلَست إلىٰ صائغٍ بها، فجعلوا يريدونها علىٰ كشفِ وجهها فأبت، فعَمَد الصائغُ إلىٰ طَرَفِ ثوبها، فعَقَـده إلىٰ ظَهرها، فلما قامت انكشفت سوءتُها، فضحِكوا بها، فصاحت، فوثب رجلٌ من المسلمين علىٰ الصائغ فقتله - وكان يهوديًّا -، وشَدَّت يهودُ علىٰ المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهلُ المسلم المسلمين علىٰ اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشرُّ بينهم وبين بني قينقاع».

◻ وأكمل ابنُ إسحاق سياقَ الحادث قال: «فحاصَرَهم رسولُ اللَّه ﷺ حتىٰ نَزَلوا علىٰ حُكمه، فقام عبدُاللَّه بنُ أبيِّ بنِ سَلول - حين أمكنه اللَّهُ منهم -، فقال: يا محمدُ، أحسِنْ إليَّ في مَوَاليَّ - وكانوا حلفاءَ الخزرج - قال: فأبطأ عليه رسولُ اللَّه ﷺ، فقال: يا محمدُ، أحسِنْ إليَّ في مَواليَّ قال: فأعرَضَ عنه، فأدخل يَدَه في جَيبِ درعِ رسولِ اللَّه ﷺ، فقال له

(١) «فتح الباري» (٧/ ٣٨٦) - تاب المغازي - باب حديث بني النضير.

رسولُ اللَّه ﷺ: «أرسِلْني» - وغضب رسول اللَّه ﷺ حتىٰ رأوا لوجهه ظللاً -. ثم قال: «ويحك! أرسِلْني». قال: لا واللَّهِ لا أُرسِلُك حتىٰ تحسِنَ في مَواليَّ: أربَعُمئةِ حاسِرٍ، وثلاثُمئة دارع، قد مَنَعوني من الأحمر والأسود، تحصُدُهم في غداةٍ واحدة!!، إني واللَّهِ امرؤ أخشىٰ الدوائر. فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «هُم لك». وكان عبدُاللَّه بن أُبيٍّ لا يزالُ صاحبَ شأنٍ في قومه، فقَبِل رسولُ اللَّه ﷺ شفاعتَه في يهودِ بني قينقاع علىٰ أن يَجلُوا عن المدينة، وأن يأخذوا معهم أموالَهم عدا السلاح».

وبذلك تَخلَّصت المدينةُ من قِطاعٍ يهوديٍّ خبيثٍ ذي قوةٍ عظيمةٍ أساؤوا الأدب مع رسول اللَّه ﷺ، فأدَّبهم اللَّهُ أدبًا يَليقُ بهم في الدنيا وبأمثالهم، ومآلهم في النهاية إلىٰ أمِّهم الهاوية.

◻ قال ابن حجر: «أولُ مَن نقض العهد من اليهود بنو قينقاع، فحاربهم في شوالٍ بعد وقعة بدر، فنزلوا علىٰ حُكمه، وأراد قتلهم، فاستوهبهم منه عبدُاللَّهِ بن أُبيٍّ وكانوا حلفاءَه، فوهبهم له، وأخرجهم من المدينة إلىٰ أذرِعات»[1].

* **بنو النَّضِير ومحاولتهم قتل النبي ﷺ:**

◻ بَوَّب البخاريُّ في كتاب «المغازي»: «باب حديث بني النضير، ومَخْرَج رسولِ اللَّه ﷺ في دِيَةِ الرَّجُلَيْن، وما أرادوا مِن الغَدر برسول اللَّه ﷺ».

◻ قال الزهريُّ عن عُروة: «كانت علىٰ رأسِ سِتةِ أشهرٍ من وقعةِ «بدر»

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٣٨٣ - ٣٨٤).

قبلَ وقعة «أُحُد»، وجَعَله ابنُ إسحاقَ بعد «بئر معونة وأُحُد».

◻ عن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: «حاربت قريظةُ والنَّضيرُ، فأجلىٰ بني النَّضِير، وأَقَرَّ قريظةَ ومَنَّ عليهم حتىٰ حارَبت قُريظةُ، فقَتل رجالَهم، وقَسَمَ نساءَهم وأولادَهم وأموالَهم بين المسلمين، إلاَّ بعضُهم لَحِقوا بالنبي ﷺ، فأمَّنَهم وأسلموا، وأجلىٰ يهودَ المدينة كلَّهم: بني قينقاع - وهم رَهط عبداللَّه ابن سلام -، ويهودِ بني حارثة، وكلِّ يهود المدينة»[١].

◻ خَرَج رسول اللَّه ﷺ إلىٰ بني النضير[٢] يستعينهم في دِيَةِ رجُلَيْنِ قَتَلهما عمرُ بن أُميَّة الضَّمْرِيُّ، قال ابنُ إسحاق: «فلمَّا أتاهم يستعينهم قالوا: نعم. ثم خلا بعضُهم ببعضٍ، فقالوا: إنكم لن تجدوه علىٰ مثل هذه الحال. قال: وكان جالسًا إلىٰ جانبِ جِدارٍ لهم، فقالوا: مَن رجلٌ يعلو علىٰ هذا البيتِ فيُلَقِيَ هذه الصخرةَ عليه فيقتلَه ويُريحَنا منه؟ فانتدب لذلك عمرُو بن جِحاشِ بنِ كعبٍ، فأتىٰ النبيَّ الخبرُ من السماء، فقام مُظهرًا أنه يَقضِي حاجة، وقال لأصحابه: لا تَبْرَحوا، ورجع مُسرِعًا إلىٰ المدينة، واستبطأه أصحابُه، فأُخبِروا أنه توجَّه إلىٰ المدينة، فلحِقوا به، فأمر بحَربهم والمسير إليهم، فتحصَّنوا، فأمر بقَطعِ النخيل والتحريق».

◻ وذكر ابنُ إسحاق: «أنه حاصَرهم سِتَّ ليالٍ، وكان ناسٌ من المنافقين بَعثوا إليهم أنِ اثبُتوا وتمنَّعوا، فإنْ قُوتلتم قاتلنا معكم، فتربَّصوا،

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» كتاب المغازي - باب حديث بني النضير - حديث رقم (٤٠٢٨) «الفتح» (٧/ ٣٨٢).

(٢) في أوائل السنة الرابعة من الهجرة بعد غزوة أُحُد وقَبْل غزوة الأحزاب ذهب رسول اللَّه ﷺ مع عشرة من كبار أصحابه منهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم إلىٰ محلّة بني النضير.

فقَذَفَ اللَّهُ في قلوبهم الرعبَ فلم يَنصروهم، فسألوا أن يُجلَوْا عن أرضهم علىٰ أنَّ لهم ما حَمَلتِ الإبلُ، فصُولحوا علىٰ ذلك».

◻ وروىٰ البيهقي في «الدلائل» من حديث محمد بن مَسْلمَة: «أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ بَعَثه إلىٰ بني النضير، وأمَرَه أن يُؤجِّلَهم في الجَلاء ثلاثةَ أيام، قال ابنُ إسحاق: فاحتَملوا إلىٰ خيبرَ وإلىٰ الشام. ولم يُسلِمْ منهم إلاَّ يامينُ بنُ عُمير، وأبو سعيد بن وهب، فأحرزَا أموالَهما».

● وروىٰ ابنُ مردويه قصَّةَ بني النضير ـ بإسنادٍ صحيح إلىٰ معمرٍ عن الزهري ـ: «أخبرني عبداللَّه بن عبدالرحمن بن كعب بن مالك، عن رجلٍ من أصحـابِ النبي ﷺ قال: كتب كفـارُ قريش إلىٰ عبداللَّه بن أُبيٍّ وغيـرِه ـ ممن يَعبدُ الأوثانَ ـ قَبْل بدر يُهدِّدونهم بإيوائهم النبيَّ ﷺ وأصحابَه، ويتوعَّدونهم أن يغزوهم بجميع العرب، فَهَمَّ ابنُ أُبيٍّ ومَن معه بقتال المسلمين، فأتاهم النبيُّ ﷺ، فقال: «**ما كادكم أحدٌ بمثل ما كادتكم قريشٌ، يُريدون أن تُلقوا بأسكم بينكم**»، فلما سَمِعوا ذلك عَرَفوا الحقَّ فتفرَّقوا. فلما كانت وقعةُ بدرٍ كَتبت كفارُ قريشٍ بعدَها إلىٰ اليهود: إنكم أهلُ الحَلْقة والحُصون، يتهدَّدونهم، فأجمع بنو النضير علىٰ الغَدْر، فأرسلوا إلىٰ النبي ﷺ: اخرجْ إلينا في ثلاثةٍ من أصحابك، ويَلقاك ثلاثةٌ من علمائنا، فإن آمنوا بك اتبعناك، ففعل، فاشتمل اليهودُ الثلاثةُ علىٰ الخناجر، فأرسَلَت امرأةٌ من بني النضير إلىٰ أخٍ لها من الأنصار مُسلمٍ تخبرُه بأمرِ بني النضير، فأخبر أخوها النبيَّ ﷺ قبلَ أن يَصِلَ إليهم، فرجع، وصَبَّحهم بالكتائب، فحَصَرهم يومَه، ثم غَدَا علىٰ بني قريظة، فحاصرهم، فعاهدوه، فانصرف عنهم إلىٰ بني النضير، فقاتَلَهم حتىٰ نزلوا علىٰ الجَلاء، وعلىٰ أنَّ لهم ما

أقلَّتِ الإبلُ إلاَّ السلاح، فاحتَملوا حتىٰ أبوابِ بيوتهم، فكانوا يُخرِبون بيوتَهم بأيديهم فيَهدمونها، ويَحمِلون ما يُوافقُهم من خَشَبها، وكان جَلاؤهم ذلك أولَ حشرِ الناسِ إلىٰ الشام».

□ قال ابنُ حجر: «فهذا أقوىٰ مما ذَكر ابنُ إسحاقَ من أن سببَ غزوة بني النضير طَلَبُه ﷺ أن يُعينوه في دِية الرجلَيْن، لكنْ وافق ابنَ إسحاق جُلُّ أهلِ المغازي، فاللَّه أعلم»[1].

□ وقال ابنُ حجر أيضًا: «ذَكَر موسىٰ بنُ عُقبة في «المغازي» قال: كانت النضيرُ قد دَسُّوا إلىٰ قريشٍ وحَضُّوهم علىٰ قتالِ رسول اللَّه ﷺ، ودَلُّوهم علىٰ العَوْرة.. ثم ذكر نحواً مما تقدم عن ابن إسحاق من مَجيءِ النبيِّ ﷺ في قصَّةِ الرجلَيْن قال: وفي ذلك نزلت ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ**﴾ الآية [المائدة: ١١].

وعند ابن سعد أن رسول اللَّه ﷺ أرسل إليهم محمدَ بنَ مَسْلَمة أنِ «**اخرجوا من بَلَدي فلا تُساكنوني بعد أن هممتم بما هممتم به من الغَدر، وقد أجَّلتُكم عَشْرًا**»..»[2].

□ وفي «مغازي الواقدي» أن النبي ﷺ حاصَرهم خَمسةَ عَشَر يومًا، فأجلاهم رسولُ اللَّه ﷺ، ووَلِيَ إخراجَهم محمدُ بنُ مَسلمة[3]، كما وَلِيَ قبضَ أموالهم وسِلاحهم[4].

---

(١) «فتح الباري» ـ كتاب المغازي (٧/ ٣٨٥).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٣٨٦).

(٣) «مغازي الواقدي» (١/ ٣٧٤).

(٤) «مغازي الواقدي» (١/ ٣٧٧).

وكان منهم مَن سار إلىٰ خيبر، ومنهم مَن سار إلىٰ الشام، وكان مِن أشرافهم ممَّن سار إلىٰ خيبر سَلاَّمُ بنُ أبي الحُقيق، وكِنانةُ بنُ الربيعِ بنِ أبي الحُقيق، وحُيَيُّ بنُ أخطبَ ممن ألَّبوا المشركين علىٰ المسلمين في غزوة الأحزاب ووقعة بني قريظة.

* قال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ۝ وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٢-٤].

نَكالٌ منَ اللَّه، وإخراجٌ لهم في دار الدنيا، وعذابُ النار ينتظرهم في الآخرة؛ لأنهم شاقُّوا اللَّهَ ورسولَه، فموقفُهم فيه تبجُّحٌ قبيحٌ حين تقفُ المخاليقُ الضئيلةُ الهزيلةُ تتعرَّضُ لغضبِ اللَّه وعِقابه وهو شديدُ العقاب.

وهكذا تستقر في القلوب حقيقةُ مصائرِ المشاقِّين للَّه ورسوله في كلِّ أرضٍ وفي كلِّ وقت.

*** بنو قريظة ـ لعنهم اللَّه ـ الخائنون لعهدهم مع رسول اللَّه ﷺ:**

كان يهودُ بني قريظة إلبًا علىٰ المسلمين مع المشركين، بتحريضٍ من زعماءِ بني النضير، وحُيَيُّ بنُ أخطب علىٰ رأسهم، وكان نَقضُ بني قريظة لعهدهم مع رسول اللَّه ﷺ في هذا الظرف أشقَّ علىٰ المسلمين من هجومِ الأحزاب من خارجِ المدينة.. ولذلك قصةٌ نَقُصُّها: قد كان للمسلمين حِلفٌ

مع بني قريظة قبل مَجيءِ الأحزاب، ولكنهم غَدَروا بالمسلمين، وقد كانوا خَلْفَهم، وقوَّاهم علىٰ ذلك شيطانُ بني النضير حُيَيُّ بنُ أخطب.

❑ ذَهَب شيطانُ خيبر - حُيَيُّ بنُ أخطب - إلىٰ حِصنِ بني قريظةَ قائلاً: «ويحكَ يا كعبُ، افتحْ لي، فقال له كعبٌ - وقد تَمنَّع -: يا حُيي، إنك امرؤٌ مشؤوم، وإني عاهدتُ محمداً، فلستُ بناقضٍ ما بيني وبينه، ولم أرَ منه إلاَّ وفاءً وصِدقًا، فقال له حييٌّ: ويحك، افتحْ لي أُكلِّمْك، فقال: ما أنا بفاعل، فغاظَ ذلكَ حُييًّا، فقال لكعب: واللّهِ ما أغلقتَ دوني إلاَّ تخوُّفًا علىٰ حَشيشتك[١] أن آكُلَ معك منها، فخَجِل منه كعبٌ، ففتح له.

فقال له حييٌّ: جئتُك بعِزِّ الدهر، جئتُك بقريشٍ حتىٰ بجمع الأسيال، وبغطفان حتىٰ أنزلتهم بجانبِ «أُحُد»، قد عاهدوني وعاقدوني أنْ لا يَبْرَحوا حتىٰ يستأصِلوا محمداً ومَن معه، فقال له كعبٌ: جئتَني واللّهِ بذُلِّ الدهر وكلِّ ما يُخْشىٰ، فإني لم أرَ في محمدٍ إلاَّ صدقًا ووفاءً، جئتَني - يا حيي - بجهامٍ قد هَراق ماؤه، فهو يَرْعَدُ ويَبرُق ليس فيه شيء[٢].

ثم أردف كعبٌ قائلاً: ويحَك يا حيي، فدَعْني وما أنا عليه، فإني لم أرَ من محمدٍ إلاَّ صدقًا ووفاءً، وما زال به حييٌّ وبقومه، يَفْتِلُ في الذِّروةِ والغارب، حتىٰ أجابوه إلىٰ ما طَلب، فوافَقوا علىٰ نَقضِ العهد، والغَدْرِ بالمسلمين، والانضمامِ إلىٰ جيش الأحزاب، ولم يَشُذَّ إلاَّ الزعيمُ القَرَظيُّ - عمرُو بنُ سُعدَىٰ - وقال: واللّهِ لا أغدرُ بمحمدٍ أبداً. . وبَقِيَ علىٰ عهدِه،

---

(١) البُرُّ يُطحن غليظًا.

(٢) يعني بذلك كعب أن جيوش الأحزاب علىٰ كثرتها؛ ليست إلاّ كالسحاب العظيم؛ الذي تَصُكُّ رعودُه الآذان، ويَخطِفُ برقُه الأبصار، وليس فيه قطرة ماء.

وسانَده في موقفِه النبيلِ هذا ثلاثةٌ من اليهود وهم: ثعلبةُ، وأُسيد - ابنا سَعْيه - وأسدُ بنُ عبيد، وأخذ كعبُ بنُ أسد الصحيفةَ ومزَّقها.

غدروا برسول اللَّه ﷺ وجيوشُ الأحزاب تُوشِكُ الفَتْكَ بالمدينة، وبَلَغتِ القلوبُ الحناجر.

أوفَدَ إليهم النبيُّ ﷺ وفداً من الأنصار، علىٰ رأسه سعدُ بن معاذ، وسعدُ بن عبادة، فقالوا للوفد - وقد تملَّكهم الغرورُ -: الآن جئتُم تطلبون منا الوفاءَ بالعهد الذي بيننا وبين محمد، وهو الذي كَسَرَ جَناحنا، وأخرج إخوانَنا بني النضير، اذهبوا، لا عهدَ بيننا وبين محمد ولا عَقْدَ، مَن هو رسولُ اللَّه هذا؟! فغضب سيِّدُ الخزرج، وأخذ يُشاتِمُ اليهودَ، فشاتموه، وأغضبوه كثيراً.

غيرَ أن سَيِّدَ الأوسِ سعدَ بن معاذ - وهو حليفُ هؤلاء اليهود - قد دخل في الأمر، وقال لسعدِ بن عبادة: دعْ عنك مُشاتَمَتَهم، فما بيننا وبينهم أربىٰ من المشاتمة، وأقبل عليهم ناصحاً ومحذِّراً: إنكم قد عَلِمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة، وأنا أخافُ عليكم مِثلَ يومِ بني النضير أو أَمَرَّ منه، فقالوا لسعدٍ: أكلتَ أَيْرَ أبيك، فقال لهم سعدُ - وكان حليماً -: غيرَ هذا من القول كان أجملَ بكم وأحسنَ يا بني قريظة . . فتمادىٰ بنو قريظة في غَيِّهم، وصاروا ينالون من النبيِّ ﷺ ويَقَعونَ فيه، وهنا يئس سعدُ بنُ معاذ من عَودةِ حلفائه إلىٰ جادَّةِ الصواب، فعاد الوفدُ يحمِلُ إلىٰ النبي ﷺ بواسطةِ كلمةِ سرٍّ: «عَضَل والقارَة»، أن القوم قد غدروا، دون أن يعلمَ أحدٌ مِن المعسكر هذا الخبرَ المزعجَ.

وحين أخزىٰ اللَّهُ الأحزابَ، أتىٰ وقتُ حسابِ بني قريظة:

□ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لَمَّا رَجع النبيُّ ﷺ من الخندق ووَضَع السلاحَ واغتَسَل، أتاه جبريلُ عليه السلام، فقال: قد وضعتَ السلاح! واللَّهِ ما وضعناه، فاخرجْ إليهم. قال: «فإلىٰ أين»؟ قال: ها هنا ـ وأشار إلىٰ قريظة ـ، فخرج النبي ﷺ إليهم»[١].

وكان توجُّهُ النبي ﷺ إليهم لسبعٍ بَقِينَ من ذي القَعدة، وأنه خرج إليهم في ثلاثةِ آلاف[٢].

□ وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: «كأني أنظر إلىٰ الغُبار ساطعًا[٣] في زُقاقِ بني غَنْم، مَوْكب جبريل حين سار رسولُ اللَّه ﷺ إلىٰ بني قرِيظة»[٤].

□ وعن عُبيدِاللَّه بنِ كعب: «أن رسول اللَّه ﷺ لَمَّا رجع من طَلَبِ الأحزاب وجَمَع عليه اللأْمَةَ واغتسل واستجمر، تَبدَّىٰ له جبريلُ، فقال: عذيرك من مُحارب، فوثب فَزِعًا، فعَزَم علىٰ الناس ألاَّ يُصلُّوا العصرَ حتىٰ يأتوا بني قريظة، فلَبسَ الناسُ السلاحَ، فلم يأتوا بني قريظة حتىٰ غربتِ الشمسُ، قال: فاختصموا عند غروب الشمس، فصلَّتْ طائفةٌ العصرَ، وتركتها طائفةٌ، وقالت: إنا في عَزْمة رسول اللَّه ﷺ، فليس علينا إثمٌ، فلم يُعنِّف واحدًا من الفريقين»[٥].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب المغازي ـ باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلىٰ بني قريظة حديث (٤١١٧).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٤٧١).

(٣) ساطعًا: مرتفعًا.

(٤) رواه البخاري (٧/ ٤٧٠) «فتح» حديث رقم (٤١١٨).

(٥) أخرجه الطبراني والبيهقي بإسناد صحيح عن عبيداللَّه بن كعب، وأخرجه الطبراني =

● وعن ابن عمرٍ رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «لا يُصلِّيَنَّ أحدٌ العصرَ إلاَّ في بني قريظة»، فأدرك بعضُهم العصرَ في الطريق، فقال بعضُهم: لا نُصلِّي حتىٰ نأتيَهم، وقال بعضُهم: بل نُصلِّي، لم يُرِدْ مِنَّا ذلك، فذُكر ذلك للنبي ﷺ، فلم يُعنِّف واحداً منهم»[1].

● وفي حديث عائشة رضي الله عنها: «.. فلمَّا رَجَع رسولُ اللَّه ﷺ من الخندق وَضع السلاحَ واغتسل، فأتاه جبريلُ عليه السلام وهو يَنفُضُ رأسَه من الغُبار، فقال: وقد وضعتَ السلاح! واللَّهِ ما وَضَعتُه، اخرجْ إليهم. قال النبي ﷺ: «فأين؟»، فأشار إلىٰ بني قريظة. فأتاهم رسولُ اللَّه ﷺ فنزلوا علىٰ حُكمِه، فردَّ الحُكمَ إلىٰ سعدٍ. قال: فإني أحكمُ فيهم أن تُقتَلَ المقاتِلةُ، وأن تُسبَىٰ النساءُ والذُّرِّيَّةُ، وأن تُقَسَّم أموالُهم..»[2].

❑ وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال: نزل أهلُ قريظةَ علىٰ حُكمِ سعدِ ابنِ معاذ، فأرسل النبيُّ ﷺ إلىٰ سعد، فأتىٰ علىٰ حمارٍ، فلما دَنا من المسجد قال للأنصار: «قوموا إلى سيِّدكم ـ أو خَيركم ـ»، فقال: «هؤلاء نَزَلوا على حُكمك»، فقال: تُقتَل مُقاتِلتُهم، وتُسبَىٰ ذَراريُّهم. قال: «قضَيتَ بحُكمِ اللَّه».. وربما قال: «بحُكم المَلِك»[3].

❑ ولقد نَصَح عمرُو بنُ سُعدىٰ ـ وهو من كبارِ زعماء بني قريظة ـ

= موصولاً بذكر كعب بن مالك، قاله الحافظ في «فتح الباري» (٧/ ٤٧٢).

(١) رواه البخاري بلفظ «العصر» (٤١١٩)، ومسلم، وأبو يعلىٰ، وابن سعد، وابن حبان. بلفظ «الظهر»، وأخرجه أبو نعيم في «المستخرج» بلفظ «العصر»، اتفق أصحاب المغازي علىٰ أنها العصر.

(٢) رواه البخاري (٤١٢٢).

(٣) رواه البخاري (٤١٢١).

قومَه، وأَنَّبهم ووبَّخهم على نقضِهم العهدَ الذي بينهم وبين المسلمين، ونَصَحهم: «يا بني قريظة، لقد رأيتُ عِبَراً، رأيتُ دارَ إخوانِنا خاليةً بعد العزِّ والشرفِ والرأسِ الفاضل، تركوا أموالَهم قد تَمَلَّكها غيرُهم، وخَرجوا خُروجَ ذُلٍّ».

☐ ثم أكَّد لهم ـ كعالمٍ من علماء التوراة ـ أنه لا يُعادِي أحدٌ محمداً ﷺ إلاَّ كان مصيرُه الخُسران، فقال: «لا والتوراة، ما سُلِّط هذا[1] على قومٍ قطُّ وللَّهِ بهم حاجةٌ، وقد أوقع ببني قينقاع، وكانوا أهلَ عُدَّةٍ وسلاحٍ ونخوة، فلم يُخرِجْ أحدٌ منهم رأسَه حتى سباهم، فكُلِّم فيهم فتركهم على إجلائِهم من يثرب».

☐ ثم دعا عمرو بن سُعْدىٰ قومَه إلى الدخول في الإسلام، ليحقِنوا دماءَهم، ويتَّبعوا الحق، قائلاً: «يا قوم، قد رأيتُم ما رأيتم، فأطيعوني، وتعالَوا نتَّبعْ محمداً، فواللَّهِ إنكم لَتعلمون أنه نبي، وقد بَشَّرَنا به علماؤنا».

☐ ثم لا زال ابنُ سُعدىٰ يخوِّفهم بالحربِ والسَّبي، وأقبل على سيِّدهم كعبِ بنِ أسد، وقال له: «والتوراةِ التي أُنزلت على موسى عليه السلام يومَ طورِ سيناء، إنه العزُّ والشرف في الدنيا».

☐ وبينما عمرُو بن سعْدَىٰ يتحدَّثُ إلى قومه في ذلك الاجتماع، إذا بطلائع الجيش النبويِّ تظهرُ عليهم زَاحفةً نحو حُصونهم، وهنا قَطَع الزعيمُ اليهوديُّ ابنُ سعدىٰ حديثه قائلاً: «هذا الذي قلتُ لكم».

☐ ومع هذا فقد رفض بنو قريظة نصيحةَ عمرِو بنِ سُعدىٰ ـ الذي دعاهم إلى الدخول في الإسلام ـ، فتقدَّم إليهم بمحاولةٍ أخيرة، باقتراحِ

(١) يعني: النبي ﷺ.

آخر، فقال لهم: «لقد خالفتم محمدًا، ولم أُشرِكْكم في غَدركم، فإن أبيتم أن تدخلوا معه في دينه، فاثْبُتوا علىٰ اليهودية، وأعطُوا الجزيةَ، فواللَّهِ، ما أدري أيقبلُها منكم أم لا؟»، ولكنهم رفضوا أيضًا هذا الاقتراح؛ حيث كان جوابُهم ـ والغرور لَمَّا يزل يشحن رؤوسهم ـ: «نحن لا نُقِرُّ للعرب بخَراجٍ في رقابنا يأخذونه، القتلُ خير من ذلك».

وهنا أعلن عمرو بن سعدىٰ مفارقتَه لقومه، وخرج من حصون قومه بني قريظة، بعد أن طوَّقها الجيشُ الإسلاميُّ من كلِّ مكان، وكان خروجُه ليلاً.

وعندما خرج هذا الزعيمُ اليهودي من حصون قومه، مفارقًا لهم ـ وكان خروجه ليلاً ـ التقىٰ به رجالُ الحَرَس النبوي، الذين كانوا يقومون بأعمال الدورية: فأتَوا به إلىٰ قائدِهم محمد بنِ مَسْلَمَةَ الأنصاري.

❑ قال ابن إسحاق: «خرج عمرُو بنُ سُعدىٰ القُرظيُّ، فمر بحَرَسِ رسول اللَّه ﷺ وعليه محمدُ بنُ مسلمةَ الأنصاريُّ تلك الليلة، فلم رآه ابنُ مسلمة استوقفه قائلاً: مَن هذا؟ قال: أنا عمرو بن سعدىٰ ـ وكان عمرو قد أبىٰ أن يدخلَ مع بني قريظة في غَدْرهم برسول اللَّه ﷺ وقال: لا أغدرُ بمحمدٍ أبدًا ـ. فقال ابنُ مسلمة ـ حين عرف أنه ابن سعدىٰ ـ: اللَّهم لا تَحرِمْني إقالةَ عثراتِ الكرام، ثم خَلَّىٰ سبيله، فخرج علىٰ وجهه حتىٰ بات ـ مستأمَنًا ـ في مسجد رسول اللَّه ﷺ تلك الليلةَ بالمدينة، ثم خرج فلم يُدْرَ أين توجَّه من الأرض».

● ولقد وصف النبي ﷺ عمرو بن سعدىٰ بالوفاءِ، وذلك أنه لَمَّا ذُكرت له قِصةُ إلقاءِ الحرس القبضَ عليه، ثم إخلاءِ محمدِ بنِ مسلمةَ

سبيله، قال: «ذلك رجلٌ نجَّاه اللَّه بوفائه»[١].

◻ أما يهودُ بني قريظة، فإنهم لَمَّا نظروا إلىٰ طلائعِ الجيش النبويِّ تتقدم ـ بقيادةِ عليٍّ بن أبي طالب ـ فاضت نفوسُهم الشريرةُ ببعض ما تختزِنُه من خُبثٍ ودناءةٍ ووَضاعة، وأَسْمَعوا ابنَ عمِّ رسولِ اللَّه ﷺ في نبيِّ اللَّه ﷺ ونسائِه الطاهراتِ الطيباتِ من السبِّ والشتم والقذف، ما لم يَسْمَحْ أحدٌ من المؤرِّخين لنفسه أن يُورِدَ نصَّه؛ لفظاعته وبشاعته، وكلُّ الجواب الذي سَمِعوه من عليٍّ: «السيفُ بيننا وبينكم»، وأشفق عليٌّ ـ وهو أولُ مَن سَبَق باللواء إلىٰ بني قريظة ـ مِن أن يَسمعَ الرسولُ ﷺ في نفسه وفي نسائه ذلك السبَّ القبيح.

وأناب عليٌّ في حَملِ اللواء أبا قتادةَ الأنصاري، وانطلق مسرِعًا نحو رسول اللَّه ﷺ، واستوقفه عَلَىٰ بُعدٍ من حصون اليهود، وطلب منه أن يقفَ بعيدًا عن هذه الحصون؛ لئلاَّ يتأذَّىٰ بسماع ما فاه به اليهودُ من سبٍّ وقذف، فقال عليٌّ: لا عليك يا رسول اللَّه أن تدنوَ من هؤلاء الأخابث، فقال النبي ﷺ: «لعلَّك سمعتَ منهم فيَّ أذًى؟» قال: نعم يا رسول اللَّه، فقال ﷺ: «لو رأَوني لم يقولوا من ذلك شيئًا».

ثم واصل الرسولُ القائدُ ﷺ تقدُّمَه نحوَ حصونِ اليهود، حتىٰ إذا دنا من حصونِ قريظةَ الغادرة، نادىٰ نَفَرًا من قادتهم، فلمَّا ظَهروا في أبراج حصونهم قال لهم: «يا إخوانَ القردة وعَبَدَةَ الطاغوت، هل أخزاكم اللَّه، لأُنزِلَ بكم نِقمتَه؟!»، وهنا أُسقط في أيدي اليهود، فأنكروا أن يكونوا

(١) «سلسلة معارك الإسلام الفاصلة» لبشاميل، و«البداية والنهاية».

شَتموه ونساءَه، وانطلقوا يَحلِفون كذبًا، أنهم ما فاهوا بشيءٍ مما بَلَغه بهذا الشأن، ثم اندفعوا في لُيونةِ الأفاعي يُسمِعون رسولَ اللَّه ﷺ من لَيِّن القول، وطَيِّبِ الكلام، وجميلِ الإطراء، ما ظنوا أنه سيُساهم في تخفيفِ عقوبةِ خيانتهم العظمىٰ، فقالوا: يا أبا القاسم، ما كنتَ جهولاً.

واشتدَّ حصارُ المسلمين لليهود، وطلبوا المفاوضةَ والسماحَ لهم بالخروج من يثربَ مع نسائهم وذراريِّهم، وما تَقْدِرُ الإبلُ علىٰ حَمْله من متاع ـ سوىٰ السلاح ـ علىٰ أن يتركوا بقيةَ كلٍّ ما يملكون في يثربَ للمسلمين.. ورُفض طلبهم.

وحاصَرَهم المسلمون خمْسَ عشْرَةَ ليلةً ـ كما يقول ابن سعد ـ أو خمسًا وعشرين ليلةً ـ كما يقول ابن إسحاق ـ: حاصرهم خمسًا وعشرين ليلةً حتىٰ أجهَدَهم الحصارُ، وقُذف في قلوبهم الرعب، فعَرض عليهم رئيسُهم كعبُ ابنُ أسد أن يؤمِنوا، أو يَقتلوا نساءَهم وأبناءَهم ويخرجوا مستقتلين، أو يُبيِّتوا المسلمين ليلة السبت. فقالوا: لا نؤمن، ولا نستحلُّ ليلةَ السبت، وأيُّ عيشٍ لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟!.

وقَرَّر الصحابةُ اقتحامَ حصونِ اليهود، مهما كان الثمن، وصاح عليُّ ابن أبي طالب حاملُ لواء الجيش، وابنُ عمِّه الزبيرُ بنُ العوام، صاح: واللَّهِ «لأذوقَنَّ ما ذاقَ حمزةُ، ولأفتَحَنَّ حِصنَهم».

ولما سمع اليهودُ هذا الإنذارَ من حاملِ لواءِ الجيش عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وأيقنوا أن الهجومَ علىٰ حصونهم أمرٌ لا مفرَّ منه، طلبوا إيقافَ الهجوم، وأعلنوا الاستسلام والنزولَ علىٰ حكم الرسول ﷺ دونما قَيدٍ أو شرط.

وسارع اليهودُ إلىٰ فتح أبواب معاقِلهم وحُصونهم فوراً، بعد أن ألقَوا سلاحَهم، وأخذوا في مغادرة الحصنِ مستسلمين، وأمر النبيُّ ﷺ باعتقالِ الرجال ووَضْعِ القيود في أيديهم، وقد تم ذلك تحتَ إشرافِ محمدِ بنِ مَسْلمة ـ قائدِ الحرسِ النبوي ـ، وقد حَبس الرجال من بني قريظة، وعددهم حوالَي ثمانمئةِ مُقاتِلٍ في دارِ أسامةَ بنِ زيد[١]، وذكر ابنُ إسحاقَ أنهم حُبِسوا في دار بنتِ الحارث، وفي رواية عُروة: في دارِ أسامة بن زيد، ويُجمَع بينهما بأنهم جُعِلوا في بيتَيْن[٢].

وعند ابن إسحاق أنهم كانوا سِتَّمئة، وبه جَزَم أبو عمر في ترجمة «سعد بن معاذ»، وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حِبَّانَ بإسنادٍ صحيحَ أنهم كانوا أرْبَعَمئةِ مُقاتِلٍ، فَيحتمل في طريق الجمع أن يُقال: إن الباقين كانوا أتباعًا، وقد حكىٰ ابنُ إسحاقَ أنه قيل: إنهم كانوا تِسْعَمئة[٣] أمَّا النساء والأطفال؛ فقد رأىٰ النبيُّ ﷺ بعد أن أَوْكَلَ أمرَهم إلىٰ عبداللّه بن سَلاَم، أن يُحفظوا في مكانٍ ليس فيه صِفةُ الحبس والتضييق، وأُنزلوا دارَ الضيافة؛ وهي دارُ ابنةِ الحارث النجَّاريةِ المُعدَّةُ لنزول الوفود التي تقصِدُ المدينةَ، وكان عددُ هؤلاء النساء والذراريِّ يناهزُ الألف.

وشَفَع الأوسُ لحلفائهم يهودِ بني قريظة عند رسول اللّه ﷺ، ففوَّض أمرَ هؤلاء اليهود إلىٰ سيِّد الأوس سعد بن معاذ، قال رسول اللّه ﷺ: «ألا

(١) «الكامل» لابن الأثير (٢/ ١٢٧).
(٢) «فتح الباري» (٧/ ٤٧٨).
(٣) «فتح الباري» (٧/ ٤٧٨).

تَرضَون ـ يا معشرَ الأوس ـ أن يحكمَ فيهم رجلٌ منكم؟». قالوا: بلىٰ، قال: «فذاك سعدُ بن معاذ».

وروىٰ الإمام أحمد في «مسنده» عن جابر بن عبداللَّه ﵄ أنه قال: «رُمي سعدُ بن معاذ، فقطعوا أكْحَلَه، فحَسَمه رسولُ اللَّه ﷺ بالنار، فانتفخت يدُه، فحَسَمه أخرىٰ فانتفخت يدُه فنزف، فلما رأىٰ ذلك قال: اللَّهم لا تُخرجْ نَفْسي حتىٰ تُقِرَّ عيني من بني قريظة.. فاستَمْسَك عِرقُه فما قَطَر، حتىٰ نزلوا علىٰ حُكمِ سعد، فحَكَم أن تُقتلَ رجالُهم، وتُسَبىٰ نساؤهم وذراريُّهم، فلما فَرغ منهم انفتق عِرقُه فمات.

رضي اليهودُ، ونزلوا علىٰ حُكم اللَّهِ أولاً، ثم علىٰ حُكم سعدِ بنِ معاذٍ ثانيًا، لَمَّا قال لهم: أترضون بحُكمي، قالوا: نعم، قال سعد: فإني أحكمُ فيهم أن تُقتَلَ المقاتلة، وتُسبَىٰ النساءُ والذرية، وأن تُقسَمَ أموالُهم.

فأخذهم من الغمِّ ما أخَذَهم، وصُعق اليهودُ لهذا الحُكم الصارم، وعلاهم الذهول، وخَيَّم عليهمُ الوجوم.

وأُمر بحَفرِ خنادقَ عميقةٍ في سوق المدينة، وأَمر رسول اللَّه ﷺ بإحضارِ الرجال المحكومِ عليهم، وأمَرَ بإعدامهم، فأُعدموا دَفْعةً بعد دفعة، حتىٰ لم يَبْقَ منهم أحدٌ، وكان الصحابةُ كلَّما تَمَّ إعدامُ دفعةٍ من هؤلاء اليهود قُذفوا في الخنادق، ووارَوهم بالتراب.

واختلف المؤرِّخون في عدد اليهود الذين تَمَّ إعدامُهم، فالبعض يقول: إنهم ما بين سِتِّمئة إلىٰ سَبْعِمئة، والبعضُ الآخر يقول: إنهم ما بين الثمانمئة إلىٰ التِّسْعمئة.

ولقد أُعدم هؤلاء اليهودُ في ليلةٍ واحدة، وجَرَت عمليةُ الإعدام علىٰ

ضَوءِ مشاعلِ سَعَفِ النخيل[١] ، وتولَّىٰ عمليةَ قتلِ اليهود الْخَوَنَةِ عليٌّ بنُ أبي طالب، والزبيرُ بنُ العوام، وكان بنو قريظةَ المحتَجَزون في السِّجن مع سيِّدهم كعبِ بنِ أسد، كلما استدعىٰ الحرسُ جماعةً منهم لإعدامهم، لاذُوا بسيِّدهم كعبٍ يسألونه في جزعٍ وارتباك: «ما تراه يُصنع بنا؟ فيجيبهم: أفي كلِّ موطنٍ لا تعقِلون؟! هو اللَّهِ القتلُ».

فكان جزاؤهم من جنسِ ما أرادوا للمسلمين.

وأبىٰ اللَّهُ إلاَّ أن يَصِلوا هم إلىٰ النهاية المريبة، التي أرادوا للمسلمين الوصولَ إليها، ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

وهنا أمرٌ آخر: أن الحكم الذي أصدره سعدُ بنُ معاذ علىٰ يهودِ بني قريظة، وأقرَّه النبيُّ ﷺ وقام بتنفيذه، قد جاء تمامًا وِفقَ الشريعةِ الْمُوسَوِيةِ عند اليهود أنفسِهم، كما في التوراة عندهم، فقد نصَّ «الإصحاح العشرون» من «سِفْر التثنية»: «وإن تُسالِمك أيُّ قرية، بل حارَبَتك فحاصِرْها، وإذا دَفَعَها الربُّ إلهُك إلىٰ يَدِك، فاضربْ جميعَ ذكورِهم بحدِّ السيف، وأما النساءُ والأطفالُ والبهائمُ وكلُّ ما في المدينة كلُّ غنيمتها، فتَغتنِمُها لنفسك، وتأكلُ غنيمةَ أعدائك التي أعطاك الربُّ إلهك»[٢].

وهذا النصُّ الصريحُ في كتابِ اليهود المقدَّس، يجعل هؤلاء يَرَون أنَّ مِن حقِّهم تنفيذَ حُكمِ الإعدام فيمَن وَقع في أيديهم من أعدائهم الرجال،

---

(١) «السيرة الحلبية» (٢/ ١٢٠).

(٢) «سفر التثنية» (٢٠/ ١٣ ـ ١٤).

وسَبْيَ نسائهم وذراريِّهم، ومصادرةَ كلِّ ممتلكاتهم، وهذا يعني أن اليهودَ لو نَجحوا في مؤامرتهم، وتم لهم ولأحلافِهم التغلُّبُ على المسلمين، لَمَا تردَّدوا لحظةً في إبادةِ المُحارِبين منهم، وسَبْي نسائهم وذراريِّهم، ومصادرةِ أموالِهم تمشيًا مع حُكمِ كتابهم المقدس، الذي جاء صريحًا في «سِفْر التثنية».

وهكذا جاءت العقوبةُ التي أنزلها المسلمون باليهود، هي نَفسُ العقوبةِ التي كان هؤلاء اليهودُ يَنوُون إنزالَها بالمسلمين، لو وَقعوا في أيديهم.

فالحكمُ النازل باليهود إنما جاء وِفقًا لشريعتهم، فهو إذًا جزاءٌ وفاقٌ[1].

* وصَدَق اللَّهُ إذ يقول: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٦ - ٢٧].

*** شيطان اليهود حُيَيُّ بن أخطب ـ لعنه اللَّه ـ:**

إذا تَجَمَّع خُبْثُ اليهود ودَنَسُهم وخِسَّتُهم وكَيدُهم ومَكرُهم في شخصٍ أو شيطانٍ من شياطينِ الإنس، لكان هو حُيَيُّ بن أخطب.. فهو عدوُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ.. وله من ذلك بين يهود موقعُ الصَّدَارة.

◻ كان حُيَيُّ بنُ أخطَبَ على رأسِ الشياطين اليهود الذين حَزَّبوا الأحزاب على رسول اللَّه ﷺ وهم: سَلاَّمُ بنُ أبي الحُقيق النَّضْري، وكنانةُ ابنُ أبي الحُقيق النَّضري، وهَوذَةُ بنُ قيس الوائِليُّ، وأبو عُمَّارٍ الوائليُّ.. خَرَجوا حتى قدموا على قريش في مكة، فدَعَوهم إلى حرب رسولِ اللَّه ﷺ

(١) «موسوعة الغزوات الكبرى» «بنو قريظة» (١٥٢، ٢٤٦، ١٦٤، ١٩٩، ٢٠٠).

وقالوا: إنا سنكونُ معكم عليه حتىٰ نستأصِلَه، فقالت لهم قريشٌ: يا معشر يهود، إنكم أهلُ الكتاب الأول والعلمِ بما أصبحنا نختلفُ فيه نحن ومحمدٌ، أفدينُنا خيرٌ أم دِينُه؟ قالوا: بل دينُكم خيرٌ من دينه، وأنتم أوْلىٰ بالحقِّ منه، فهم الذين أنزل اللَّه تعالىٰ فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ إلىٰ قوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥١ - ٥٥]. فلما قالوا ذلك لقريشٍ سَرَّهم ونَشِطوا لِمَا دَعَوهم إليه من حَرب رسول اللَّه ﷺ.

◻ ثم خرج هذا الشيطانُ حُيِيٌّ في أولئك النفر من يهود، حتىٰ جاؤوا غَطَفانَ - من قَيسِ عَيْلان - فدَعَوهم إلىٰ حرب رسول اللَّه ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشًا قد تابعوهم علىٰ ذلك، فاجتمعوا معهم فيه.

◻ وخَرج عدوُّ اللَّه حيِيُّ بنُ أخطبَ حتىٰ أتىٰ كعبَ بنَ أسدٍ القُرَظِي - صاحبَ عَقدِ بني قريظة وعَهدِهم مع رسول اللَّه ﷺ -، فلم يَزَلْ حيِيٌّ بكعبٍ يَفتِلُه في الذِّروةِ والغارب[1] حتىٰ نَقَض كعبُ بنُ أسدٍ عهدَه مع رسول اللَّه ﷺ.

◻ وأيُّ موقفٍ خانت فيه يهودُ رسولَ اللَّه ﷺ أو حاولت خداعَه والغَدْرَ به، كان علىٰ رأسهم حُيَيٌّ الذي كان يَعلمُ صِدْقَ رسول اللَّه ﷺ

(١) أي: ما زال يروّضه ويخاتله.

ونُبُوَّتَه حتىٰ مكَّن اللَّهُ مِن رقبته .

☐ وأراح اللَّهُ المسلمين من شَرِّه، فقد أصاب ما أصابَ بني قريظة لأنه كان معهم في حصونهم، وشَمِله حكمُ سعدِ بن معاذ ﷺ، فقُتل هو ومقاتِلةُ بني قريظة . . وذهب إلىٰ مَزبلة التاريخ . . وبَرِئت منه ابنتُه صفيةُ بنتُ حُيِيٍّ التي صارت أمًّا للمؤمنين . . وللَّه درٌّ من قال عن اليهود :

هم قومُ البُهت ويا طيري ... ذي قوله حبر الإيمانِ[1]

وصفيَّـــة أمُّ الأبــرارِ ... هارون وموسى عمرانِ

بُرآءُ منهــم هُمْ منَّـــا ... صاحوا: يا حكمَ القرآنِ

يَذَرون الدَّمْــعَ لغيبته ... ولغيبة ســعد الفرســانِ

سعدُ بنُ معـــاذ تعرِفُهُ ... واهـتزَّ سريرُ الرحمنِ[2]

* مَلِكُ خَيْبَر أبو رافع سلاَّم بن أبي الحقيق ـ لعنه اللَّه ـ :

كان سَلاَّمُ بن أبي الحُقَيْق من يهود بني النَّضير ومِن أحبار اليهود الذي ناصَبوا رسول اللَّه ﷺ العداوة من أول يوم، وهو من أحبارِ يهود الذين نزل فيهم القرآنُ لِحقدهم علىٰ رسول اللَّه ﷺ، ولكونهم كانوا يتعنَّتونه[3]، ولكذبهم وزورهم وقولهم: «إنَّ دينَ قريشٍ خيرٌ من الإسلام»[4] .

☐ وحين حاصَرَ النبيُّ ﷺ بني النضير وأجلاهم عن المدينة، كان

---

(١) عبداللَّه بن سلام زعيم اليهود الذي أسلم ﷺ .

(٢) هذه منقبة لسعد بن معاذ ﷺ عند موته .

(٣) أي: يشقُّون عليه، ويحاولون إنزال العَنَت به .

(٤) انظر «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٣٣، ١٣٤، ٢/ ١٩٠) .

سَلاَّمٌ يُهدِّدُ المسلمين قائلاً: «إنَّ حلفائي بِخَيْبرَ لَعشرةُ آلافِ مقاتِلٍ»، فبلَغ رسولَ اللَّه ﷺ قولُه، فتبسَّم[1]، ثم دارت الدائرةُ على بني النضيْر، فاستسلموا للمسلمين.

وكان سلاَّمٌ من التُّجار الكبارِ الذين يتعاطَون الربا، وكان له على أُسَيْدِ ابنِ حُضَير عشرون ومئةُ دينارٍ إلى سَنَة، فلما أجلاهم النبيُّ ﷺ صالَحه سَلاَّمٌ على أخذِ رأسِ مالِه ثمانين ديناراً، وأبطَلَ ما فَضَل[2]، وصَنَع يهودُ المرابون صَنيعَه مُكْرَهين.

وأعطى النبيُّ ﷺ سعدَ بنَ مُعَاذ سيفَ سلاَّمِ بنِ أبي الحُقَيْق، وكان سيفًا له ذِكرٌ عندهم[3]، وكان من جُملة غنائمِ بني النضيْر.

وكان سلاَّمٌ وحييُّ بنُ أخطبَ على رأس مَن حَزَّبوا الأحزاب من قريش وغَطَفان لحرب رسول اللَّه ﷺ.

❑ عن عروة: «أنه كان ممَّن أَعَان غَطَفانَ وغيرَهم من مشركي العرب بالمال الكثير على رسول الله ﷺ»[4].

وكانت غزوةُ الخندق ثمرةً من ثمرات حِقده وكيدِه الدائب للإسلام هو وحُيِيُّ بن أخطب.

ولسلاَّمٍ أخَوانِ مشهورانِ من أهل خيبر: أحدهما كِنانةُ ـ وكان زوجَ صفيةَ بنتِ حييٍّ قبل النبي ﷺ ـ، وأخوه الرَّبيع بن أبي الحُقيق، وقتلهما

---

(١) «مغازي الواقدي» (١/ ٣٧٣).

(٢) «مغازي الواقدي» (١/ ٣٧٤).

(٣) «مغازي الواقدي» (١/ ٣٧٩).

(٤) «فتح الباري» (٧/ ٣٩٨).

النبيُّ ﷺ جميعًا بعد فتح خيبر[١] .

لقد كان سلاَّمُ بنُ أبي الحُقَيْق من أخطرِ أعداءِ النبي ﷺ والإسلام والمسلمين، وكان لابدَّ من وضع حدٍّ لنشاطِه المخرِّب، فقد كان لا يُريحُ ولا يَسْتَريح، ولكنَّ القضاءَ عليه لم يكن سهلاً ميسوراً، وبخاصةٍ وهو في حِصْنه الحصين، بين أهله وذَوِيه الأقوياء، في وَسَطِ خَيْبرَ المُحصَّنَةِ ذاتِ الحصون والقلاع، التي يحميها عشرةُ آلاف مقاتل[٢] ، والتي تستطيعُ إرسالَ ثلاثةِ آلافِ مقاتلٍ فوراً[٣] ، فلابدَّ من أن يوكِّلَ أمرَه إلىٰ بَطلٍ مقدام، وكان هذا البطل هو عبدُاللَّه بن عَتِيك .

☐ قال ابنُ إسحاق: «لما قَتلت الأوسُ كعبَ بنَ الأشرف استأذنت الخزرجُ رسولَ رسول اللَّه ﷺ في قَتلِ سَلاَّمِ بنِ أبي الحُقيق وهو بخيبر، فأَذِن لهم، قال: فحدَّثني الزُّهريُّ عن عبداللَّه بن كعبِ بنِ مالك قال: كان ممَّا صَنَع اللَّهُ لرسوله أن الأوسَ والخزرجَ كانا يتصاوَلانِ تصاوُلَ الفَحْلَيْن، لا تَصنعُ الأوسُ شيئًا إلاَّ قالت الخـزرجُ: واللَّهِ لا تذهبـون بهـذه فضـلاً علينا ـ وكذلك الأوس ـ، فلمَّا أصابت الأوسُ كعبَ بنَ الأشرف تذاكرت الخزرجُ: مَن رجلٌ له من العداوة لرسول اللَّه ﷺ كما كان لكعب؟ فذكروا ابنَ أبي الحقيق وهو بخيبر»[٤] .

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٣٩٧) .

(٢) «مغازي الواقدي» (١/ ٣٧٣) .

(٣) «مغازي الواقدي» (١/ ٣٩٣) .

(٤) «فتح الباري» (٧/ ٣٩٧) .

*** سَرِيَّةُ عبدِاللَّه بنِ عَتيك لقَتلِ أبي رافع عبداللَّه[1] بن أبي الحُقيق، أو سَلاَّم ابنِ أبي الحقيق:**

كانت هذه السَّريةُ المباركة ـ كما قال ابن سعد[2] ـ في رمضانَ سنةَ ستٍّ على الرأي الأرجح، وهي من أبطالِ الخزرج، وقائدُها هو عبداللَّه بن عَتيك ابنِ قيسٍ الخَزْرجيِّ من بني غَنْم بن سلمة.

وبقيَّةُ أبطالِ السَّرِية هم:

عبداللَّه بن أُنيس الجُهَنيُّ حليفُ بني سلمة من الخزرج، وحليفُ بني سَوَاد بن سلمة على الأخصّ.

وعبدُاللَّه بن عتبة.

ومَسْعود بن سِنَان الأسلمي حليف بني سلمة.

وأبو قتادة الحارث بن رِبعي.

وخُزاعي بن أسود[3].

◻ قال ابنُ حجر «فإنْ كان عبدُاللَّه بنُ عتبة محفوظًا[4] فقد كانوا ستةً.

وأكثرُ أصحاب المغازي والسِّيَر ـ وعلى رأسِهم إمامُهم محمدُ بن

---

(١) الذي سمّاه عبداللَّه هو عبداللَّه بن أنيس كما أخرجه الحاكم في «الإكليل» من حديثه مُطَوَّلاً.

(٢) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٩١).

(٣) ويُقال أسود بن خزاعي أو أسود بن حرام انظر «فتح الباري» (٧/ ٣٩٨).

(٤) نصّ عليه البخاري في الحديث رقم (٤٠٤٠)، ولم يُذكر إلا في هذا الطريق، وزعم ابن الأثير في «جامع الأصول» أنه ابن عِنَبة ـ بكسر العين وفتح النون ـ، وهو غلط منه فإنه خولاني لا أنصاري، ومتأخِّر الإسلام لا مُتَقدِّمه وهذه القصة مُتَقدِّمة. قاله ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٣٩٧).

إسحاقَ - يَرَون أن الفدائيِّين الخمسة أو السِّتة كلُّهم اشتركوا مع قائدِهم عبدِاللَّه ابن عَتيك في القضاء على الطاغيةِ اليهودي، وأن الذي أثبَتَ أبا رافع وقَضىٰ عليه هو «عبدُاللَّه بن أُنيْس»، وكلُّ أصحابِ الكتب السِّتةِ والسير - ما عدا الإمام البخاري - يتَّفقون مع ابنِ إسحاق في رأيه، إلاَّ أن الإمامَ البخاريَّ يختلفُ مع أصحاب الكتب السِّتة وأصحابِ السِّير، فروىٰ أن قاتلَ أبي رافع هو قائدُ الفدائيين عبدُاللَّه بنُ عَتيك لا عبدُاللَّه بن أنيس[1] .

◻ عن البَرَاء بنِ عازب ﷺ قال: «بَعث رسولُ اللَّه ﷺ رَهطًا إلىٰ أبي رافعٍ، فدخل عليه عبدُاللَّه بن عَتيكٍ بيتَه ليلاً وهو نائم فقَتَله»[2] .

◻ وعن البراء بن عازب ﷺ قال: «بعث رسول اللَّه ﷺ إلىٰ أبي رافع اليهوديِّ رجالاً من الأنصار، فأمَّر - عليهم عبدَاللَّه بن عَتِيك، وكان أبو رافعٍ يُؤْذي رسولَ اللَّه ويُعينُ عليه، وكان في حِصنٍ له بأرضِ الحجاز، فلمَّا دَنَوا منه وقد غَرَبَت الشمسُ وراحَ الناس بِسَرحِهم[3] ، فقال عبداللَّه لأصحابه: اجلِسوا مَكانَكم، فإني مُنْطَلِقٌ ومُتَلَطِّفٌ للبوَّابِ لَعَلِّي أن أدخلَ، فأقبلَ حتىٰ دَنا من الباب، ثم تَقَنَّعَ[4] بثوبه كأنه يَقضي حاجةً - وقد دخلَ الناسُ -، فهتف به البوابُ: يا عبدَاللَّه، إن كُنتَ تريدُ أن تدخلَ فادخل، فإني أريدُ أن أغلِقَ

---

(١) انظر «سيرة ابن هشام» (٣/ ٣١٤ - ٣١٦)، و«صلح الحديبية» لبشاميل (ص٨٧)، و«البداية والنهاية» (٤/ ١٣٩)، و«فتح الباري» (٥/ ٢١٠-٢١٢).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» - كتاب المغازي - باب قتل أبي رافع عبدالله بن أبي الحُقَيْق، ويُقال سلاَّم بن أبي الحقيق كان بخيبر، ويقال في حصن له بأرض الحجاز (٧/ ٣٩٥ - فتح الباري) حديث رقم (٤٠٣٨).

(٣) راح الناس بسرحهم: أي رجعوا بمواشيهم التي ترعىٰ.

(٤) تقنَّع بثوبه: أي تغطىٰ به ليخفىٰ شخصه لئلا يُعرَف.

البابَ، فدخلتُ، فكَمُنْتُ[١] ، فلما دخل الناسُ أَغلقَ البابَ ثم عَلَّق الأغاليق على وَدٍّ[٢] . قال: فقمتُ إلى الأقاليد[٣] فأخذتُها ففتحتُ الباب، وكان أبو رافع يُسْمَرُ عندَه[٤] ، وكان في عَلالِيّ[٥] له، فلما ذهب عنه أهلُ سَمَرِهِ صَعِدتُ إليه، فجعلتُ كلما فَتحتُ بابًا أَغلقتُ عليَّ من داخلٍ، قلتُ: إن القوم إن نَذِرُوا[٦] بي لم يَخلُصوا إليَّ حتى أقتُلَه، فانتهيتُ إليه، فإذا هو في بيتٍ مُظلِمٍ وَسَطَ عياله لا أدري أينَ هَو من البيت، فقلت: أبا رافع. قال: مَن هذا؟ فأهوَيْتُ نحوَ الصوت[٧] فأضربُه ضربةً بالسيف وأنا دَهِشٌ، فما أغنيتُ[٨] شيئًا، وصاحَ فخرجتُ من البيت، فأمكثُ غيرَ بعيدٍ، ثم دخلتُ إليه فقلتُ: ما هذا الصوتُ يا أبا رافع؟[٩] فقال: لأُمِّكَ الوَيلُ[١٠]،

---

(١) كمنت: أي: اختبأت.

(٢) الأغاليق: جمع غَلَق بفتح أوله: ما يغلق به الباب والمُراد بها المفاتيح.

كذا في رواية أبي ذر، وفي رواية غيره بالعين المهملة وهو المفتاح بلا إشكال. الوَدّ: بفتح الواو وتشديد الدال هو الوتد.

وفي رواية: «وضع مفتاح الحصن في كَوّة». والكَوّة بالفتح وقد تُضَمّ وقيل: بالفتح: غير النافذة، وبالضمّ: النافذة.

(٣) الأقاليد: جمع إقليد وهو المفتاح.

(٤) يسمر عنده: أي: يتحدثون ليلاً.

(٥) علاليّ: جمع علية بتشديد التحتانية وهي الغرفة.

(٦) نذِروا بي: أي: علموا، وأصله من الإنذار وهو الإعلام بالشيء الذي يحذر منه.

(٧) أهويت نحو الصوت: أي قصدتُ نحو صاحب الصوت.

(٨) فما أغنيت شيئًا أيْ لم أقتله.

(٩، ١٠) في حديث عبداللَّه بن أنيس: «فقالت امرأته: يا أبا رافع هذا صوت عبداللَّه بن عتيك فقال: ثكلتك أمكِ وأين عبداللَّه بن عتيك؟. =

إنَّ رجلاً في البيت ضَرَبني قَبْلُ بالسيف. قال: فأضربُه ضربةً أثخَنَتْهُ ولم أقتُله، ثم وضعتُ ضَبِيب[١] السيف في بطنه حتىٰ أخذ في ظَهره؛ فَعَرفتُ أني قَتلتُه، فجعلتُ أفتحُ الأبوابَ بابًا بابًا حتىٰ انتهيت إلىٰ درجةٍ له، فوضعتُ رجلي وأنا أُرىٰ[٢] أني قد انتهيتُ إلىٰ الأرض، فوقعت في ليلةٍ مقمرة، فانكسرَتْ ساقي[٣] فعَصَبْتها بعمامة، ثم انطلقتُ حتىٰ جلستُ علىٰ الباب، فقلتُ: لا أخرجُ الليلةَ حتىٰ أعلمَ أقتَلتُه؟ فلما صاحَ الدِّيكُ قام الناعي عَلَىٰ السُّور، فقال: أنعَىٰ[٤] أبا رافع تاجرَ أهلِ الحجاز، فانطلقتُ إلىٰ أصحابي، فقلت: النَّجاءَ النجاءَ[٥]، فقد قَتل اللَّهُ أبا رافع، فانتهيتُ إلىٰ النبي ﷺ فحدَّثته، فقال لي: «ابسُطْ رِجْلَك»، فبسطتُ رِجلي، فمَسَحَهَا فكأني لم أشتكِها قط»[٦].

= وفي رواية: «وغيّرت صوتي كهيئة المستغيث فإذا هو مستلق علىٰ ظهره»، وفي رواية ابن إسحاق: «فصاحت امرأته فنوّهت بنا، فجعلنا نرفع السيف عليها ثم نذكر نهي رسول اللَّه ﷺ عن قتل النساء فنكفُّ عنها.

(١) قال الخطابي: هكذا يُروىٰ، وما أراه محفوظًا، وإنما هو «ظُبَة السيف» وهو حرف حد السيف ويُجمع علىٰ ظبات. قال: والضبيب لا معنىٰ له هنا؛ لأنه سيلان الدم من الفم. قال عياض: هو في رواية أبي ذر بالصاد المهملة، وكذا ذكره الحربي وقال: أظنه طرفه. وفي رواية غير أبي ذر بالمعجمة وهو طرف السيف.

(٢) أُرىٰ: أيْ أظن. وذكر ابن إسحاق في روايته أنه كان سيء البصر.

(٣) فانكسرت ساقي: وفي رواية: «فانخلعت رجلي عصبتها». ويجمع بينهما بأنها انخلعت من المفصل وانكسرت من الساق.

(٤) أنعَىٰ: بفتح العين، كذا ثبت في الروايات، قال ابن التين: هي لغة والمعروف أنعو، والنعي: خبر الموت، والاسم: الناعي.

(٥) النَّجاء: أي: أسرعوا.

(٦) رواه البخاري (٤٠٣٩).

□ وعن البراء بن عازب ﷺ قال: «بَعَثَ رسولُ اللَّه ﷺ إلىٰ أبي رافعٍ عبدَاللَّه بنَ عَتيك وعبدَاللَّه بن عُتبة في ناسٍ مَعهم، فانطلقوا حتىٰ دَنَوا مِن الحِصن، فقال لهم عبدُاللَّه بنُ عَتيك: امكُثوا أنتم حتىٰ أنطلق أنا فأنظر. . قال: فتَلَطَّفْتُ أن أدخلَ الحِصنَ، ففَقَدوا حِمارًا لهم، قال: فخرجوا بقَبَسٍ يطلبونه قال: فخشيتُ أن أُعرَفَ، قال: فغَطَّيْت رأسي كأني أقضِي حاجةً، ثم نادىٰ صاحبُ الباب: مَن أراد أن يدخلَ فَلْيَدْخُل قبل أن أُغْلِقه. فدخلتُ، ثم اختبأتُ في مَربِط حِمارٍ عند بابِ الحصن، فتعشَّوا عند أبي رافع وتحدَّثوا حتىٰ ذهبت ساعةٌ من الليل، ثم رجعوا إلىٰ بيوتهم، فلمَّا هدأت الأصواتُ ولا أسمعُ حَركةً خرجتُ، قال: ورأيتُ صاحبَ الباب حيث وَضَع مفتاحَ الحصن في كُوَّة، فأخذتُه ففتحتُ به بابَ الحصن، قال: قلت: إن نَذِر بي القومُ انطلقتُ علىٰ مَهَل، ثم عَمَدتُ إلىٰ أبوابِ بُيوتهم، فغلَّقتُها عليهم من ظاهر، ثم صعدت إلىٰ أبي رافع في سُلَّم، فإذا البيتُ مُظلم قد طُفِئ سِراجُه، فلم أدرِ أين الرَّجُلُ.

فقلت: يا أبا رافع. قال: مَن هذا؟ قال: فعمدتُ نحوَ الصوت فأضربُه، وصاحَ، فلم تُغْنِ شيئًا. قال: ثم جئتُ كأني أُغيثُه، فقلت: ما لكَ يا أبا رافع ـ وغيَّرتُ صوتي ـ؟. فقال: ألا أُعجِبك، لأمِّكَ الوَيْل، دخل عليَّ رَجُل فضربني بالسيف. قال: فعمدتُ له أيضًا فأضربُه أخرىٰ، فلم تُغْنِ شيئًا، فصاح، وقام أهلُه، قال: ثم سمعتُ صوتَ العَظْم، ثمَّ خرجت دَهِشًا حتىٰ أتيتُ السُلَّم أُريدُ أن أنزل، فأسقُطُ منه، فانخلعَتْ رِجلي، فعصبْتُها، ثم أتيتُ أصحابي أحجُلُ، فقلت: انطلقوا فبَشِّروا رسولَ اللَّه ﷺ، فإني لا أبرَحُ حتىٰ أسمعَ الناعية. فلمَّا كان في وجه الصُّبح صَعِد

الناعيةُ فقال: أنعىٰ أبا رافعٍ. قال: فقمتُ أمشي ما بي قَلَبة[١] ، فأدركتُ أصحابي قبل أن يأتوا النبيَّ ﷺ، فبشَّرتُه»[٢] .

◻ قال اللواء محمود شيت خَطَّاب عن هذه السَّرِيَّة: «وأمَّر رسولُ اللَّه ﷺ عليهم عبدَاللَّه بن عَتِيك، ونهاهم عن قتلِ النساء والصبيان، فنهضوا حتىٰ أتَوا خيبرَ ليلاً.

وكان سَلاَّمٌ ساكنًا في دارٍ في جماعةٍ من يهود، فلم يَدَعُوا بيتًا في الدار إلا أغلَقوه علىٰ أهلِه، وكان سَلامٌ في عِلِّيَةٍ له إليها عَجَلَة[٣] ، فأسندوا فيها[٤] حتىٰ قاموا علىٰ بابه، فاستأذنوا عليه، فخرجت إليهم امرأتُه، فقالت: «مَنْ أنتم؟»، قالوا: «ناسٌ من العَرَب نلتمسُ المِيْرَة»، قالت: «ذاكم صاحبُكم، فادخلوا عليه».

فلما دخلوا أغلَقوا البابَ علىٰ أنفُسهم تخوُّفًا أن تكون دونَه مُجَاولة[٥] تَحولُ بينهم وبينه، فصاحت امرأتُه فهمُّوا بقَتلها، ثم ذَكَروا نَهْيَ النبيِّ ﷺ عن قتل النساء، فأمسكوا عنها، ثم تعاوروه بأسيافهم وهو راقدٌ علىٰ فراشه، أبيضَ في سوادِ الليل كأنه قُبْطِيَّةٌ[٦] مُلْقَاة، ووضع عبدُاللَّه بنُ عَتِيك

---

(١) قَلَبَة: أي: عِلَّة انقلب بها.

(٢) رواه البخاري ـ حديث رقم (٤٠٤٠).

(٣) له إليها عجلة: المراد بالعجلة هنا: جذع النخلة، كانوا ينقرون في مواضع منه نقرًا بعضها فوق بعض، ثم يجعلونه، كالسلَّم يصعدون عليه إلىٰ الغرف والأماكن العالية.

(٤) أسندوا فيها: علوا وارتفعوا، وتقول: أسند فلان إلىٰ الجبل: إذا علا فيه وارتفع.

(٥) المجاولة: الحركة تكون بينه وبينهم.

(٦) القبطيَّة: ثوب يصنع بمصر أبيض من الكتان الرقيق، وهي منسوبة إلىٰ القبط علىٰ غير قياس.

سيفَه في بطنِه حتىٰ أنفذه، كما تحامَلَ عليه بالسيف عبدُاللَّه بنُ أُنيس في بطنه حتىٰ أنفذه، وسلامٌ يقول: قَطْنِي.. قَطْنِي، أي حَسْبي حَسْبي.

وخرج أفرادُ السَّرية من حُجرة سَلام، وكان عبدُاللَّه بن عَتِيك سَيِّئَ البصر، فوقع من الدرجة فَوُثِئَتْ[1] رِجلُه وثئًا شديدًا، فحَمَله أصحابُه حتىٰ أتوا مَنْهَرًا من مناهِرِهم[2]، فدخلوا فيه واستتروا.

وخَرَجَ أهلُ الآطام، وأوقدوا النيرانَ في كلِّ وجهٍ، فلما يئِسوا رجعوا إلىٰ آطامهم.

وقال أفرادُ السَّرية: «كيف لنا بأنْ نعلمَ بأنَّ عدوَّ اللَّهِ قد مات؟»، فرجع أحدُهم ودخل بين الناس، فوجد امرأتَه ورجالَ يهود حولَه، وفي يدها المصباحُ تنظرُ في وجهه وتحدِّثهم وتقول: «أمَا واللَّهِ لقد سمعتُ صوتَ ابنِ عَتِيك، ثم أكذبتُ نفسي وقلت: أنَّىٰ ابنُ عَتِيك بهذه البلاد؟»، قال: «ثم أقبلَتْ عليه تنظرُ في وجهه، ثم قالت: فاظ[3] وإلهِ يهود! فما سمعتُ من كلمةٍ كانت ألذَّ إلىٰ نفسِي منها».

وقد حَدَّث الذي ذهب يستطلعُ موتَ سَلام أصحابَه بحديثه هذا بعدَ عودته إليهم من مُهمته الاستطلاعية، فأيقنت السَّريةُ بهلاكه.

واحتمل أفرادُ السَّرية عبدَاللَّه بن عَتِيك، وقَدِموا علىٰ رسول اللَّه

---

(١) وثئت رِجلُه: شبه الفسخ في المفصل، أصاب العظم شيء ليس بالكسر. وقال بعض أهل اللغة: الوثء: تصدُّع في اللَّحم لا في العظم.

(٢) المنهر: مدخل الماء من خارج الحصن إلىٰ داخله.

(٣) فاظ: مات، قال الرَّاجز: «لا يَدْفِنون عنهم مَنْ فاظا».

ﷺ، فأخبروه بقتلِ سَلام، واختلفوا عنده في قتله، فكلُّهم يدعيه، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**هاتوا أسيافكم**»، فانظر إليها، فقال لسيف عبداللَّه بن أُنَيْس: «**هذا قَتَله، أرى فيه أثرَ الطعام**»[١] .

◻ قال حَسَّانُ بنُ ثابت وهو يَذكُرُ قتلَ كعبِ بنِ الأشرف وَقَتْلَ سَلاَّمِ بنِ أبي الحُقَيْق:

لله دَرُّ عِصَــابَــة [٢]لاقَيْتَهُــمْ ... يا ابنَ الحُقَيْقِ وأنْتَ يا ابنَ الأَشْرَفِ

يَسْرُون بالبِيضِ الخِفَــاف إليكُمُ ... مَرَحًا كأُسد في عَرِيْنٍ مُغْـرِف[٣]

حتى أتوكُم في مَحَــلِ بلادكُمْ ... فَسَــقَوْكُمُ حَــتْفًا بِبِيضٍ ذُفَّف[٤]

مُسْتَــنْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِــم ... مُسْتَصْغِرين لكلِّ أمرٍ مُجْحِف[٥]

وهكذا تخلَّص المسلمون مِن عدوٍّ لدود[٦] ، وكان إقدامُ عبداللَّه

(١) «سيرة ابن هشام» (٣/ ٣١٤ ـ ٣١٦)، و«الدرر» (١٩٥، ١٩٦)، «جوامع السيرة» (١٩٨ ـ ٢٠٠)، و«طبقات ابن سعد» (٢/ ٩٠، ٩١)، وانظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٣٩١ـ٣٩٥)، وابن الأثير (٢/ ١٤٦ـ١٤٨).

(٢) العصابة: الجماعة.

(٣) يَسْرُون: يسيرون ليلاً. والبيض الرقاق: السيوف. ومرحًا: يروىٰ بفتح الميم والراء جميعًا، وهو مصدر قولك: مَرِحَ فلان فهو مَرِحٌ، أي: نشط، وَالْمَرَحُ: النشاط، ويروىٰ بضمِّ الميم وسكون الراء، فهو جمع مَرِح ـ بِزِنَةِ كَتِف ـ، وهو النَّشيط. والأُسْدُ: جمع أَسَد بفتحتين. العرين: الغابة، وهي: موضع الأسد. والمغرف: الذي الْتَفَّتْ أغصانه.

(٤) ذُفَّف ـ بضم الذال وتشديد الفاء مفتوحة ـ: السريعة القتل، تقول: ذففت علىٰ الجريح: إذا أسرعت في قتله ولم تمهله.

(٥) الأمر المجحف: الذي يذهب بالنفوس والأموال.

(٦) «سيرة ابن هشام» (٣/ ٣١٦، ٣١٧).

وإقدامُ سَرِيَّته إقدامًا فذًّا بمعنىٰ الكلمة.

وكما قلنا من قبل: إن أكثرَ أصحابِ المغازي والسِّير ـ وعلىٰ رأسهم محمدُ بن إسحاق ـ يَرَون أن الفدائيين الخمسةَ كلَّهم اشتركوا مع قائدهم عبدِاللَّه بنِ عتيك في القضاء علىٰ الشيطان اليهودي، وأن الذي أثبت أبا رافعٍ وقَضىٰ عليه هو عبدُاللَّه بن أُنيْس.

وعلىٰ هذا كلُّ أصحابِ الكتبِ السِّتة والسِّيَر عدا البخاريَّ الذي ذَكر أن قاتل أبي رافع هو عبدُاللَّه بن عتيك، لا عبدُاللَّه بن أنيس، ولم يذكر البخاريُّ أن بقيةَ الفدائيين لم يدخلوا الحصن.

وليس هناك تناقضٌ بين الروايتين في اشتراك الفدائيين الخمسة في قتله «أما ما جاء في «صحيح البخاري» من أن ابنَ عَتيك قال لبقيةِ رجاله: «ابقُوا مكانَكم حتىٰ أنظر»، فليس فيه ما يَنفي اشتراكَهم معه في العملية، إذ يَحتملُ أنه بعدَ أن نظرَ وقام بالاستكشاف رَجَع وأخذَهم معه كقائدٍ مسؤول، وأنه كان يَتحدَّثُ بلسانِ القائد الذي يُنسَبُ إليه فِعلُ كلِّ شيءٍ ـ حتىٰ وإن لم يكن هو الذي فَعَل كلَّ شيء ـ.

كما أنَّ عدمَ ذِكرِ دَورِ بقيةِ الفدائيين في روايةِ البخاري لا يَنفي اشتراكَهم، إذ يحتمل أن يكونوا ظلُّوا كالحرس يَحْمُون ظَهرَ قائدِهم حتىٰ قام بالقضاءِ علىٰ أبي رافع.

أما قول ابن عتيك في رواية البخاري: «ثم أتيتُ أصحابي أحجل..» إلخ، فلا ينفي ـ أيضًا ـ اشتراكَهم مع قائدِهم في العملية؛ إذ لا يُستبعد أن يكونوا قد سَبَقوه، فخرجوا قبلَه وتأخَّر هو بسبب ما حَدَث له من كَسرٍ في

رِجله، ولأن القائدَ عند الانسحاب عادةً يكونُ آخِرَ مَن ينسحب.

بهذا يتَّضحُ أنه لا تناقضَ ولا تباينَ يُذْكر بين الروايتين»[1] إلاَّ في اسمِ قاتل أبي رافع؛ أي: مَن أجهز عليه في النهاية.

□ قال ابنُ سعد يَصفُ مطاردةَ اليهود للفدائيين الخمسة: «وصاحت امرأتُه، فتصايَحَ أهلُ الدار، واختبأ القومُ في بعضِ مناهِرِ خيبر.. وخرج الحارثُ أبو زينب[2] في ثلاثةِ آلافٍ في آثارهم يطلبونهم بالنيران ـ أي: بالمشاعل في ظلام الليل ـ، فلم يروهم، فرجعوا، ومكَثَ القومُ ـ أي الفدائيون ـ في مكانهم يومين حتىٰ سكَن الطلب، ثم خرجوا مُقبِلين إلىٰ المدينة»[3].

أَبَا رافعٍ لا يَرفعُ اللَّهُ طاغيًا ... ولا يَدَعُ الخَصْمَ المُشاغبَ نَاجيَا
جمعتَ من الأحزابِ ما شئتَ تَبتغي ... لنفسكَ من تلكَ العقابيلِ شَافيا[4]
ورُحتَ تَصُبُّ المالَ في غيرِ هينة ... تُريدُ بدينِ المسلمين الدواهيا[5]
هو ابنُ عتيك إنْ جَهلتَ وصَحْبُهُ ... فلستَ بلاقٍ من حمامكَ واقيا[6]
يَدُبُّ وقد جَنَّ الظلامُ مُقنعًا ... يُريدُك مُغتالاً ويلقاكَ غازيا
كأن حِمارَ الحصنِ أُوتيَ رُشدَهُ ... فأجمعَ ألاَّ يصحبَ الدهرَ غاويا

---

(١) «موسوعة معارك الإسلام ـ خيبر» لبشاميل (ص٩٣، ٩٤).

(٢) الحارث أبو زينب هذا فارس يهودي شجاع مشهور.. كان أحد الفرسان الذين قُتِلُوا مبارزة أمام حصن مرحب.

(٣) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (٢/ ٩١).

(٤) العقابيل: الشدائد وبقايا العلة أو العداوة، جمع العقبول والعقبولة.

(٥) الهينة: السكينة والوقار.

(٦) الحمام: الموت.

أعان عليكَ السيفَ يكرهُ أن يرى ... دمًا فاجرًا في مَسْبَح الكُفر جاريا

يقول له البوابُ: ما لك جالسًا ... وقد دخل الرهطُ الذي كُنتَ رائيا؟[١]

إلى الحصنِ فادْخُلْ لَسْتُ تاركَ بابِه ... لأجلكَ مفتوحًا ودَعْني لِمَا بيا

فقامَ ولو يدرِي خَبِئَةَ نَفسه ... أعضَّ وَرِيدَيْه الحُسامَ اليمانيا[٢]

ولاحت لعيَنْيه الأقاليدُ فَانْتَحى ... يَضُمُّ عليها مِخلَبَ الليثِ ضَاريا[٣]

فلما غَفا السُّمَّارُ أقبلَ صَاعِدًا ... إلى الأخرقِ المغرور يَعلو المَراقيا[٤]

سَقاه بِحَدِّ الهَنْدوَانِي حَتْفَهُ ... فَبُورِكْتَ من سيفٍ وبُورِكَ ساقيا

* * *

هَوتْ رِجلُه من زَلَةٍ قَذفت به ... إلى الأرضِ في ظَلماءَ تُخفي الدراريا[٥]

فما برحتْ حتى أُصِيبَ صَمِيمُها ... بِصَــدْعٍ فأمَسى وَاهِنَ العَظْمِ واهيا

وباتَ يُواري نَفسَهُ في مكانِه ... ويَزْوَرُّ في بُردَيه يَخشَى الأعاديا[٦]

---

(١) ظنَّه البواب من أهل الحصن، فقال له: إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الحصن، فدخل فاختبأ يتربص لحاجته.

(٢) يريد بواب الحصن. وأَعَضَّهُ الْحُسَامَ: جَعَلَ الْحُسَامَ يَعضُّهُ.

(٣) الأقاليد: المفاتيح.

(٤) الأخرق: الأحمق. والمراقي: الدرجات، جمع المرقى والمرقاة.

(٥) قال ابن عتيك ﷺ يذكر ما حدث له بعد قتل أبي رافع: فجعلت أفتح الأبواب بابًا بابًا حتى انتهيت إلى الأرض؛ فوقعت، فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة، ثم خرجت، فكَمُنتُ في موضع، وأوقدت اليهود النيران، وذهبوا في كل وجه يطلبوني، حتى إذا آيسوا رجعوا، فلما صاح الديك صعد الناعي على السور ينعى أبا رافع، قال فأتيت أصحابي أحجل.. إلخ.

(٦) يزورُّ، أي: يميل وينكمش للاستخفاء.

تَنادَوْا فقالوا: فاتكٌ من عَدُوِّنــا رَمى السَّنَد الأعلى فلا كان راميا
مَتى جاءَ؟ كيفَ انسل في غَسَقِ الدجَى؟ وماذا جَرى مَن كان للحصنِ حاميا؟[1]
مِنَ الجِنِّ هذا أم من الإنس يا لَهُ مُصابًا يُنسِّينا الخُطوبَ الخواليا؟
وراحوا سِراعًا مُهطِعينَ يَهيجُهم طِلابُ الذي ما زال في الحِصْنِ ثاويا[2]
فما تركوا في أرضِ خَيبرَ بقعةً ولا غادروا مما هُنالكَ واديا
وعادُوا يَعَضُّونَ البنان ولو رَأَوْا مكانَ الردى المجتاحَ أَلْفَوْهُ جاثيا
فما زالَ حتى أذَّنَ الديكُ وانْبَرى مِنَ القومِ داعٍ يَرفعُ الصوتَ ناعيا
هُنالكَ وافى صَحبُه فتحــدَّبُوا عليه وكان الظنُّ أنْ لا تلاقيا[3]
فتًى يركبُ الأهوالَ لا يتَّقِي الردى ولا يتوقَّى الحتفَ يَلقاهُ عاديا
قُصــاراهُ أن يَرْعَــى رَبَّــه ويلقى رسولَ اللَّه جَذْلانَ راضيا[4]
شَــفَى رِجــلَه مما بهــا فكأنـهــا بِخَيبرَ لم تُكْسَرْ ولم يَكُ شاكيا

***

أبا رافعٍ ماذا لَقيتَ بحُفْرةٍ طَوَتْ منكَ جبارًا قضَى العُمرَ عاتيا؟
عَكفتَ على البَغْي المُذمَّمِ والأذَى فَذُبْ أسفًا واعْكُفْ على النارِ صَاليا

قال الحافظُ ابن حجر بعد ذِكره أحاديث قتل أبي رافع: «وفي هذا الحديث من الفوائد: جوازُ اغتيالِ المشرِك الذي بلَغَتهُ الدعوةُ وأَصرَّ، وقتلُ

---

(١) غسق الدجى: ظلمة الليل.
(٢) المهطع: من ينظر في ذلٍّ وخضوع.
(٣) تحدَّب عليه: تعطَّف وحنا.
(٤) القُصارى: الجهد والغاية، وقصاراه أن يفعل كذا، أي: غاية جهده وآخر أمره وكل مستطاعه هو أن يفعل كذا.

مَن أعان علىٰ رسول اللَّه ﷺ بيده أو ماله أو لسانه، وجوازُ التجسُّس علىٰ أهلِ الحرب وتطلُّبِ غِرَّتهم، والأخذِ بالشدَّة في محاربة المشركين»[١] .

رضي اللَّه عن بطلَيِ الإسلام - عبداللَّه بن عَتيك، وعبداللَّه بن أُنيس - وإخوانِهم الذين أراحوا المسلمين من اليهوديِّ الخبيث أبي رافعٍ الطاغية اللعين.

*** الشيطان خالدُ بن سفيان الهُذَلي - لعنه اللَّه -:**

هو خالدُ بنُ سفيانَ بن نُبَيْح الهُذَلي، كان عدوًّا للَّه ولرسوله ﷺ، وكان يجمعُ الجموعَ لحربِ النبي ﷺ، فأخذه اللَّهُ أخذَ عزيزٍ مُقتدرٍ علىٰ يَدِ بطلٍ من أبطال الخزرج، وهو عبدُاللَّه بن أُنيْس الجُهَنيُّ الأنصاريُّ. . وكان عبدُاللَّه وحدَه هو السَّرِية المسمَّاة في المغازي لقتل خالد بن سفيان الهذلي[٢] .

خَرَج عبدُاللَّه من المدينة يومَ الإثنين لخمسٍ ليالٍ خَلَوْن من شهرِ المحرم، علىٰ رأسِ خمسةٍ وثلاثين شهراً من الهجرة - أي: من السنة الرابعة الهجرية -، فغاب عنها ثمانيَ عشْرَةَ ليلةً، وقَدِم يومَ السبت لسبعٍ بَقِينَ من المحرم[٣]، بعد أن أدَّىٰ واجبَه الذي أمره به النبي ﷺ.

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٤٠٠).

(٢) انظر: «موسوعة الغزوات الكبرىٰ» «صلح الحديبية» لبشاميل (ص٨٧)، و«سيرة ابن هشام» (٣/ ٣١٤ - ٣١٦) وصحيح البخاري «فتح الباري» (٥/ ٢١٠ - ٢١٢)، و«البداية والنهاية» (٤/ ١٣٩).

(٣) «مغازي الواقدي» (١/ ٣)، وفي (١/ ٤) أنها كانت سنة ستة الهجرية في شهر المحرم، وفي «طبقات ابن سعد» (٢/ ٥٠): أنها في السنة الرابعة الهجريَّة؛ كما جاء في «مغازي الواقدي» (١/ ٣)، فأخذنا بذلك.

فقد بَعَثه النبيُّ ﷺ في سَريةٍ مؤلَّفةٍ منه وحده إلىٰ خالدِ بن سُفيان بن نُبَيْح الهُذَلي الذي كان بِعُرَنة[١] يجمعُ الجموعَ لرسول اللَّه ﷺ؛ ليغزوه، فقتله عبدُاللَّه وعاد برأسه إلىٰ المدينة المنورة.

● قال عبدُاللَّه: «دعاني رسولُ اللَّه ﷺ، فقال: **«إنه قد بلَغني أن ابنَ سفيان بن نُبَيْح الهُذَلِي يجمعُ لي الناسَ ليَغزوَني، وهو بنَخْلَة[٢] أو بعُرَنة، فأته فاقتله»**. قلت: يا رسول اللَّه، انْعتْه لي حتىٰ أعرِفَه، فقال: **«إنك إذا رأيتَه أذكَرَك الشيطانَ، وآيةُ ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدتَ له قُشَعْرِيرَة»[٣]**.

❑ فخرجتُ متوشِّحًا سيفي، حتىٰ دَفعتُ إليه وهو في ظُعُنٍ[٤] يرتادُ[٥] لهنَّ منزلاً[٦]، وحيث كان وقتُ العصر، فلمَّا رأيته وجدتُ ما قال لي رسول اللَّه ﷺ من القُشَعْرِيرَة، فأقبلت نحوه، وخَشِيتُ أن تكون بيني وبينه مجاولةٌ تَشغَلُني عن الصلاة، فصلَّيتُ وأنا أمشي نحوه أومِئُ برأسي، فلمَّا انتهيتُ إليه قال: مَنْ الرجل؟ قلت: رجلٌ من العَرَب سَمع بك وبجَمْعك لهذا الرجل، فجاءك لذلك، قال: أَجَلْ[٧] إني لفي ذلك.

فمشَيتُ معه شيئًا، حتىٰ إذا أمكنني حَمَلتُ عليه بالسيف، فقتلتُه، ثم

---

(١) عُرنة: موضع بقرب جبل عرفة موضع الحجيج، انظر: «شرح الزرقاني على المواهب اللدنيَّة» (٢/ ٧٦). وعرنة: وادٍ بحذاء عرفات.

(٢) نخلة: موضع بالحجاز قريب من مكة.

(٣) القشعريرة ـ بِزِنَةِ الطمأنينة ـ: رعدة وارتعاش، كارتعاش المحموم.

(٤) الظعن: جمع ظعينة، وهي: المرأة.

(٥) يرتاد: يطلب.

(٦) المنزل: موضع النزول.

(٧) أجل: كلمة جواب، مثل: نعم.

خرجت وتركتُ ظَعائِنَه مُنْكَبَّاتٍ عليه.

فلمَّا قدمتُ علىٰ رسول اللَّه ﷺ فرآني قال: «أفْلَحَ الوجهُ»، قلتُ: قد قتلتُه يا رسول اللَّه[١]، ووضعتُ رأسَه بين يديه، وأخبرتُه خبري»[٢].

وهكذا استطاع عبدُاللَّه وحده، ببطولته الفذَّة، وإقدامِه النادر، أن يقضيَ علىٰ فِتنة الهُذَلي التي كان يُعِدُّها ويستعدُّ لها، ويُنهي خُطَطَه في حربِ الإسلام والمسلمين.

□ قال عبداللَّه بن أنيس في ذلك:

تركتُ ابنَ ثَوْرٍ كالحُوار وحولَه ... نوائحُ تَفْرِي كلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدِ[٣]

تناولتُهُ والظُّعْنُ خَلْفي وخَلْفَهُ ... بأبيضَ من ماءِ الحديدِ مُهَنَّدِ[٤]

عَجُومٍ لِهَامِ الدارِ عَيْنَ كأنه ... شهابُ غَضًا من مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدِ[٥]

أقول له والسيفُ يَعْجُمُ رأسَه ... أنا ابنُ أُنَيْسٍ فارسًا غيرَ قُعْدَدِ[٦]

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٥٠، ٥١)، و«مغازي الواقدي» (٢/ ٥٣١ـ ٥٣٣)، و«سيرة ابن هشام» (٤/ ٢٩٣، ٢٩٤).

(٢) «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٣٣).

(٣) الحُوار: ولد الناقة إذا كان صغيراً. وتفري: تقطع.

(٤) بأبيض: يريد به سيفًا. والمهنَّد: السيف المنسوب إلىٰ الهند، ويقولون: سيف هندي، وهندواني، ومهنَّد.

(٥) عجوم: هو من صفات الأبيض وهذه صيغة مبالغة من العَجْم، وهو: العضُّ وزنًا ومعنىٰ. والهام ـ هاهنا ـ: الرؤوس. والشِّهاب ـ بِزِنَةِ الكتاب ـ: القطعة من النار. والغضا: شجر يشتدُّ التهاب النار فيه. والمُلهَب: اسم مفعول من ألهبَتْهُ، إذا أوقدتَ فيه النار.

(٦) القعدد: اللَّئيم الدَّنيء القاعد عن الحرب والمكارم.

أنا ابنُ الذي لم يُنْزِل الدهرُ قِدْرَهُ رَحِيْبُ فِنَاءِ الدار غيرُ مُزَنَّـــدِ[1]

☐ ولِلَّه درُّ القائل مثنيًا على البطل ابن أُنَيْس:

سَرِيـــةٌ أنتَ وَحْـدَكْ فَاجْعَلْ سَجَايَاكَ جُنْدَكْ

لاَ تَخْشَ يا ابنَ أنيس فليس سُـفيانُ نِـدَّكْ

احْشُدْ قُـواكَ وَحُـدْهُ فليس يَسْتَطِيعُ حَشْدَكْ

إنْ غَرَّهُ حَـــدُّ عـزم فَسَوفَ يَعرِفُ حَـدَّكْ

يَهولُ في الوصف جِداً حَتى لَيَعْظُمُ عِنْـــدَكْ

لَكِنَـــهُ اللَّهُ أعـلى عليهِ في البأسِ جَـدَّكْ

أَقْبِلَ فتى البأسِ أَقْبِلْ وَاعْمَلْ لربكَ جُهْدَكْ

* * *

أَخَذْتَـــهُ بِخِــلاب كَذَبْتَــهُ فيه وُدَّكْ[2]

أوردتَهُ القَــولَ حُـلواً ولو دَرى عَافَ وِرْدَكْ[3]

وَيْلُمِّـــهِ من غَبــي لو كان يعرف قصدَكْ[4]

أحْبِبْ بِهِ من رســول لِقَتْلِــهِ قــد أعــدَّكْ

يَظُـــنُّ أنك ضِــدٌّ له فَدُونَـكَ ضِـدَّكْ[5]

---

(١) رحيب: متَّسع، وأصله من الرحب، وهو: الفضاء. والمزند: الضيِّق البخيل.

(٢) الخلاب: الخداع بلطيف الكلام.

(٣) عافه: كرهه، فتركه.

(٤) وَيْلُمِّهِ: أصلها: وَيْلٌ لأُمِّهِ.

(٥) الضدُّ: المثل والنظير.

بُورِكْتَ يا ابنَ أُنيسٍ | من فارسٍ ما أشدَّكْ!
ضربْتَــهُ فتَــرَدَّى | وكان ذلك وَكْدَكْ[1]
وَعُدْتَ لا مَجدَ إلا | أراهُ يَحْسُدُ مَجْدَكْ

* * *

سُفيانُ هل كنتَ طَوداً | فمن رَماكَ فهَدَّكْ؟
أم كُنْتَ للشرِّ ذُخراً | تَخشى الطواغيتُ فَقْدَكْ؟[2]
أَوْدَى بكَ ابنُ أنيس | فَأقفرَ الحيُّ بَعْدَكْ
وَرَدَّ عــزَّكَ ذُلاً | فما تُصَعِّرُ خَدَّكْ[3]
مَلأتَ صدركَ حقداً | فهل شَفَى السيفُ حقْدَكْ؟
وَمتَّ من قَبــلُ وَجداً | فهل مَحَا الموتُ وَجْدَكْ؟
أين الجمــوعُ؟ أتَدري | مَن خَطَّ في التُّرْب لَحْدَكْ
وأين رأسُــكَ؟ هــلاَّ | صَدقْتَ نفسَكَ وَعْدَكْ؟
أَغــواك جَهــلُكَ حَتى | لَقيتَ في النار رُشْدَكْ
أنضَجتَ نفسَكَ غَيظًا | فاليومَ تُنضِجُ جِلْدَكْ
يَغيظُــكَ الدينُ حَقًّا | فأنت تَقْدَحُ زَنْدَكْ[4]
هَيَّجْــتَ للشرِّ وَقْــداً | فأينَ غادرتَ وَقْدَكْ؟[5]

---

(١) الوكد: المراد والقصد.

(٢) الطواغيت: جمع الطاغوت، وهو: الشيطان وكل معبود دون اللَّه.

(٣) صَعَّرَ خده: أماله عن النظر إلى الناس، تهاونًا وكبرًا.

(٤) الزند: العود الأعلى الذي يقتدح به الناس.

(٥) الوقد: النار.

يا صاحبَ الغـارِ مَن ذَا بنَصرِه قد أَمَـدَّكْ(١) ؟

أليس ربُّـكَ؟ فَاجْعَلْ لهُ على الدهـرِ حَمْدَكْ

رَدَّ العِـدَى لم يفوزوا وأنتَ بالفوزِ رَدَّكْ

أَلْقِ الهديـةَ(٢) وَاسْحَبْ فِي ساحَةِ الفَخرِ بُرْدَكْ

دَعَا الرسـولُ وأثْنـى فَاحْمَدْ لكَ الخَيرُ رِفْدَكْ(٣)

وقلْ: تبـاركتَ ربـي يَسَّـرْتَ للخيرِ عَبْـدَكْ

* **المُجرم مَلِك خيبر: أُسَيْر بن رازم ـ لعنه اللَّه ـ «اليُسَيْر بن رزام»:**

اسْمه الذي اشتُهر به هو «اليُسير بن رزام»، واسمُه عند الواقديِّ: «أسَيْر بن رازم»(٤) .

كان هذا المجرُم قائداً من كِبار قوَّاد اليهود، وكان مِلكًا علىٰ خيبر بعد قتل أبي رافع سَلاَّمِ بن أبي الحُقيق، وكان يَجمعُ غَطَفانَ لغزوِ رسول اللَّه ﷺ في المدينة المنوَّرة.

◻ قال هذا اللعينُ لقومه: «واللَّهِ ما سَاحَ محمدٌ إلىٰ أَحَدٍ من يهود، ولا بَعَث أحداً من أصحابه إلا أصابَ منهم ما أراد، ولكني أصنعُ ما لم يَصنعْ أصحابي. قالوا: وما عَسَيتَ أن تصنعَ؟ قال: أسِيرُ في غطفان؛

---

(١) أسرع القوم خلف عبداللَّه بن أنيس ﵁ بعد أن قَتَلَ سفيان، فاختبأ في غار كان في طريقه، ونجاه اللَّه منهم.

(٢) هي رأس سفيان ألقاها بين يدي النبي ﷺ، ففرح وأثنىٰ عليه.

(٣) الرِّفد بفتح الراء: النصيب، وبكسرها: العطاء.

(٤) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٢٩٢، ٢٩٣)، وانظر «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٦٦).

فأجمعُهم، ونسير إلىٰ محمدٍ في عُقرِ داره؛ فإنه لم يُغْزَ أحدٌ في عقر داره إلاَّ أدرك منه عدوُّه ما يريد».

انتدب له رسولُ اللَّه ﷺ ثلاثين، علىٰ رأسهم عبدُاللَّه بنُ رواحة، قَدِموا علىٰ أُسيْر، فقالوا: «نحن آمنون حتىٰ نعرِضَ عليك ما جئنا له؟». قال: «نعم، ولي منكم مثلُ ذلك؟»، فقالوا: «نَعَمْ». فقالوا لأُسَير: «إن رسول اللَّه ﷺ بَعَثَنا إليك، لتخرجَ إليه؛ فيستعمِلَك علىٰ خيبر ويُحسِنَ إليك» فطَمع في ذلك وخَرَج، وخرج معه ثلاثون رجلاً من يهود، مع كلِّ رجل رديفٌ من المسلمين، حتىٰ إذا كانوا بـ «قَرْقَرة ثِبار»، ندِم أُسير، وفكَّر بالخيانة، قال عبدُاللَّه بن أُنيس ـ وكان في السَّرية ـ: «وأهوىٰ بيده إلىٰ سيفي، ففطِنتُ له، ودفعتُ بعيري، وقلتُ: غَدْراً ـ أيْ عدوَّ اللَّه ـ!! فعل ذلك مرتين، فنزلتُ، فسُقْتُ بالقوم حتىٰ انفرد لي أُسير، فضربته بالسيف، فأنذرتُ عامَّةَ فخذِه وساقه، وسَقَط عن بعيره وبيده مِخْرَش[١] من شَوْحَط[٢]، فضَرَبني فشجَّني، ومِلْنا علىٰ أصحابه، فقتلناهم كلَّهم غيرَ رجل واحد أعجزَنا شدًّا، ولم يُصَبْ من المسلمين أحدٌ، ثم أقبلنا إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فحدَّثناه الحديث، فقال: «**نجّاكم اللَّهُ منَ القومِ الظالمين**»[٣].

فبُورك عبدُاللَّه بن أنيس من بطلٍ مغوار، يُورد ثلاثةً من كبارِ شانئي الرسول ﷺ النار.

---

(١) المخرشة: عصا معوجَّة كالصَّوْلجان.

(٢) شوحط: ضرب من شجر جبل السَّراة تتَّخذ منه القسي واحدته: شوحطة.

(٣) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٩٢، ٩٣)، و«مغازي الواقدي» (٢/ ٥٦٦ـ ٥٦٨).

□ وللَّه درُّ أحمد محرم حين يقول :

أأنت يا ابنَ رِزامٍ تَغلبُ القَدَرا؟ ... جَرِّبْ لك الويلُ من غِرٍّ وسوف تَرى

جَرِّبْ أُسَيْرُ ولا تجزعْ إذا عَثَرَتْ ... بك التجاريبُ إنَّ الحُرَّ مَنْ صبرَا

كذبتَ قومَك إن الحقَّ ليس له ... من غالب فَاعْتَبِرْ إن كنتَ مُعتَبِرا

هيهاتَ ما لكَ إلاَّ الغَيُّ تتبعُه ... والغيُّ يتبعُه في الناسِ مَن فجرا

بئسَ الأميرُ وبئسَ القومُ إذ جعلوا ... لك الإمارةَ كيما يُدركوا الظفَرا

الظافرونَ بنو الإسلام لا فَزَعًا ... يرى العِدَى في الوغَى منهم ولا خَوَرا[1]

هم الأُلى يُلبسونَ الحربَ زينتهَا ... إذا تَعَرَّتْ وَولَّى الذادةُ الدُّبُرَا

ماذا تُحاولُ بالأشياعِ تَنْدُبُهم ... حاولت يا ابن رِزامٍ مطلبًا عَسِرَا

ظَنَنْتَهَا غزوةً تَخْفَى مكائدها ... فما احتيالُك في السر الذي ظَهَرا؟

لو لم يُوافِ رسولَ اللَّه مُخْبِرُهُ ... وافاهُ مِن ربِّه مَن يحملُ الخَبَرَا

كم فَضَّ جِبريلُ من صَمَّاءَ مُغْلَقَةٍ ... أَنْحَى على سِرِّها المكنونِ فاشتُهرا[2]

* * *

على أبي رافعٍ فَلْتَبْكِ من أَسَفٍ ... وَاسْتَبْقِ نفسَك إنْ كُنْتَ امْرَأً حَذِرَا

ذَلَّتْ يهودُ فما يُرْجَى لها خَطَرٌ ... عَلَى يَدَيْ مَن نهى فيها ومَن أَمَرَا

دَعْهَا أُسيرُ لكَ الويلاتُ من رَجُلٍ ... ضَلَّ السبيلَ فأمسى يَرْكَبُ الغَرَرَا[3]

ألستَ تُبْصِــرُ عبدَاللَّه في نَــفَــرٍ ... أَعْظِمْ به وبهم مِن حَوْله نَفَرا؟

(١) الفزع : الذعر . والخوَر : الضَّعف .

(٢) أنحىٰ علىٰ الشيء : أقبل .

(٣) الغَرَرُ : التعريض للهلكة .

جاؤوك يا ابنَ رِزَام لو تُطاوِعُهم — لأذهبَ اللَّهُ عنك الرِّجْسَ والوَضَرَا(١)
لكنك المرءُ لو ترميه صاعقةٌ — تنهاهُ عن نَزعات الغَيِّ ما ازْدَجَرا
رَدُّوا لك الخيرَ تُسديه إليك يدٌ — ما مِثلُها من يد نفعًا ولا ضررا
قالوا انطلقْ معنا إنْ كنتَ مُنْطَلِقًا — فَأْتِ الرسولَ وسَلْهُ تبلغِ الوَطَرَا
ما شئتَ من سُؤْدُد عالٍ ومن شَرَف — على اليهود، ويَجْزِي اللَّهُ مَن شكرَا
أَبَى وراجَعَهُ من نفسه أَمَلٌ — أغراه بالسير حتى جَدَّ مُبْتَدِرَا
ثم انْثنى يتمادَى في وَسَاوِسِه — يظنُّ ذلك رأيًا منه مُبْتَسِرَا
واختارَها خُطةً شنعاءَ ماكرةً — فحاق بالجاهلِ المأفونِ ما مكَرا
أرادَ شَرًّا بعبداللَّه فانبعثتْ — منه صَرِيمةُ عادٍ ينقضُ المِرَرَا(٢)
رآهُ أخونَ من ذئب فعاجَلَهُ — بالسيف يُوردُهُ منه دَمًا هَدَرَا(٣)
وانْقضَّ أصحابُه يَلْقُونَ مَن مَعَه — من قومه فاسْتَحرَّ القتلُ واسْتَعَرَا
لم يَتركِ السيفُ منهم وَهْوَ يأخذُهم — إلا حُشَاشةَ هافٍ يَسبقُ البَصَرَا(٤)
مضى مع الريح لا يأسَى لمهلكِهم — ولا يُبالي قضاءُ اللَّه كيفَ جَرَى
كذلك الغدرُ يَلْقَى الويلَ صاحِبُه — وكيف يأمن عُقْبَى السوءِ مَن غَدَرَا

* * *

(١) الرجس: القذر، والوضر: الوسخ.
(٢) الصريمة: العزيمة. والمِرر جمع المِرّ؛ وهو الحبل. ونقضه: أي حله؛ كناية عن نقض العهد.
(٣) هَدرًا: أي: باطلاً.
(٤) هو الرجل الذي هرب. والحُشاشة: بقيّة الروح في المريض. والهافي: المُسرِع.

* **عَدُوَّةُ اللَّهِ ورسوله بوادي القرى، أمُّ قِرْفة - لعنها اللَّه -:**

كانت العربُ تقول: «لو كانت أعزَّ من أم قِرْفة»؛ لأنها كانت يُعَلَّق في بيتها خمسون سيفًا كلُّهم لها ذو محرم. واسم أمِّ قرفة: فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفَزَارية بوادي القرىٰ علىٰ سَبعِ ليال من المدينة، وهي سيِّدةُ قومها، ضُرب بها المثل في المَنَعة: «أمنع من أمِّ قرفة».. جَهَّزت - لعنها اللَّه، وقد فعل - ثلاثين راكبًا مِن ولدها ووَلَدِ ولدها، وقالت لهم: «اغزُوا المدينةَ واقتلوا محمدًا».. فأرسل النبيُّ ﷺ زيدَ بنَ حارثة ﵁ علىٰ رأسِ سَرِيةٍ إلىٰ أمِّ قِرفة في شهر رمضان في السنة السادسة الهجرية إلىٰ وادي القرىٰ، وخرج المسلمون من المدينة يَكمُنون النهار ويسيرون الليل، وقصدوا فَزارةَ في الليل حتىٰ صَبَّحوهم، ثم أحاط زيدٌ ومَن معه بفزارة في بيوتهم، وكبَّر زيدٌ وكبَّر الصحابة، وقَتل قيسُ بنُ المُحَسِّر أمَّ قرفة، وعاد زيدٌ إلىٰ المدينة، فقرع بابَ النبي ﷺ، فخرج إليه مسرعًا واعتنقه وقبَّله، فأخبره زيدٌ بانتصارِه وغَنائمه.

وأما جاريةُ بنت أم قرفة، فوهبها النبي ﷺ لخاله حَزْنِ بن أبي وهب، فولدت له امرأةً ليس له منها ولدٌ غيرها[1].

وحاقَ بأُمِّ قِرْفَةَ ما أرادتْ ... بأكرمِ مَن تُفَدَّى الأُمَّهاتُ
أرادت قَتْلَه فَجَرَى عليها ... قَضَاءُ القتلِ، وانْتَصَفَ القُضَاةُ
فيا لكَ منظرًا عَجَبًا تناهتْ ... به الصُّوَرُ الرَّوائعُ والصِّفَاتُ
أُحِيطَ بها وبابنتها جميعًا ... فما نَـجَتِ العجوزُ ولا الفتاةُ

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٩٠، ٩١)، و«مغازي الواقدي» (٢/ ٥٦٤، ٥٦٥).

لتلْكَ جزاؤهُا المُرْدِي، وهذي ... لها الأَسْرُ المُبَرَّحُ والشَّتَاتُ
حَبَاها خَالَه في غير ضنٍّ ... وأين من الضَّنينِ المَكْرُمَاتُ؟
تَأَمَّلْتُ الحيَاةَ وكيفَ تبقى ... حقائِقُها وتمضي التُّرَّهَاتُ

وقيل: أُخذت أم قِرفة ورُبطت رجلاها بحبلَيْن شُدًّا إلىٰ بعيرَيْن؛ فشقّاها.

* **عَدُوَّةُ رسولِ اللَّه ﷺ: عَصماءُ بنتُ مروان ـ لعنها اللَّه ـ:**

كانت عصماءُ بنتُ مروانَ من بني أُمَيَّة بن زيد، وكانت عند يزيدَ بن زيد بن حِصْنِ الخَطْمِي، وكانت تَعيبُ الإسلام وتُؤذي النبيَّ ﷺ، وتقولُ الشِّعْر[1]. فقالت تَعيبُ الإسلامَ وأهْلَه:

بِإسْتِ بَنِي مالك والنَّبِيب ... وعَوْف وَباسْتِ بني الخزْرَجِ
أَطَعْتُمْ أَتَاوِيَّ[2] مِنْ غَيْرِكمُ ... فلا من مُرادٍ ولا مَذْحِجِ[3]
ترَجُّونَه بَعْدَ قتْلِ الرُّؤوسِ[4] ... كما يُرْتَجَى مَرَقُ المُنْضجِ
أَلاَ أَنِفٌ[5] يبتغي غِرَّةً[6] ... فيقطَعَ مِن أَمَلِ المُرتَجِي!

فقال رسولُ اللَّه ﷺ حين بلغه ذلك: «أَلاَ آخِذٌ لي من ابنة مَرْوان؟».

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٢٧).

(٢) الأتاوي: الغريب.

(٣) مراد ومذحج: قبيلتان من قبائل اليمن.

(٤) الرؤوس: أشراف القوم.

(٥) الأَنِف: الذي يترفَّع عن الشيء ويُكبِرُ نفسَه عنه.

(٦) الغرة: الغفلة ورُوي أيضًا «ألا أنِف يبتغي عِزَّةً».

وكان ذلك لخمسٍ ليالٍ بَقِينَ من رمضان علىٰ رأسِ تسعةَ عشَرَ شهراً من هجرة النبي ﷺ ـ أي: في السنة الثانية الهجريَّة ـ، فسَمع ذلك من قول رسول اللَّه ﷺ عُمَيرُ بنُ عَدِيٍّ الخَطْمِيُّ الأَوسيُّ وهو عنده، فلَّما أمسىٰ من تلك الليلة سَرَىٰ عليها في بيتها، فقتلها.

وأصبح عميرٌ مع رسول اللَّه ﷺ، فقال: «يا رسول اللَّه! إني قد قتلتُها»، فقال: «**نصرتَ اللَّهَ ورسولَه يا عُمَيْر**»، فقال: «هل عليَّ مِن شأنها يا رسول اللَّه؟». فقال: «**لا يَنتطحُ فيها عنْزَان**»[1].

ورَجَع عميرٌ إلىٰ قومه، وبنو خَطْمَةَ يومئذ مَوْجُهُم[2] كثيرٌ في شأنِ بنت مروان، ولها يومئذٍ بنون ـ خمسةُ رجال ـ، فلما جاءهم عميرٌ من عند رسول اللَّه ﷺ قال: «يا بني خطمة! أنا قتلتُ ابنةَ مروان، فكِيدوني جميعًا ثم لا تنظرون». فذلك اليوم أولَ ما عزَّ الإسلام في دار بني خَطْمْة، وكان يَستخفي بإسلامه فيهم مَن أسلم، وأسلمَ يوم قُتِلت ابنةُ مروان رجالٌ من بني خَطمة، لِمَا رأوه مِن عزِّ الإسلام[3].

ويبدو أن سكوت أبناءِ عصماء وإخوتها عن أخذِ الثأر من عمير؛ لأن عُمَيرًا كان من أشرافهم، ولأنَّ الإسلامَ فشا فيهم، ولأنهم خافوا المسلمين الذين أصبحوا قوةً ضاربةً بعد انتصارهم في غزوة بدر.

---

(١) يريد أن شأن قتلها هين لا يكون فيها طلب ثأر.

(٢) موجهم كثير: أراد به اختلاط كلامهم.

(٣) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٣١٣ ـ ٣١٥)، و«طبقات ابن سعد» (٢/ ٢٧، ٢٨)، و«مغازي الواقدي» (١/ ١٧٢ ـ ١٧٤).

❑ وفي عصماءَ ـ لعنها اللّه ـ قال حسَّانُ بن ثابت:

بنـــو وائـــلِ وبنو واقف ... وخَطْمَـــةَ دونَ بني الخزرجِ

متى ما دَعَتْ سفَهًا ويْحَها ... بَعَوْلَتِها والمنايـــا تَجـي[1]

فَهَزَّتْ فتًى ماجِـــدًا عِرْقُـه ... كَريمَ المداخِـــل والمَخْـرَجِ

فَضَرَّجها من نَجيـــع الدِّمَا ... ء بعدو الهـدو فلم يَحْرَجِ[2]

فأورَدَك اللّهُ بَـــرْدَ الجِنـــان ... جَذْلانَ في نعمـة المَوْلَجِ

❑ فللّه درُّ عميرٍ من غَيُورٍ على رسوله ﷺ. . وقد رُوي أنه قتل أخته؛ لأنها شتمت رسولَ اللّه ﷺ[3].

* * *

(١) العَوْلة: المَرَّة من العويل؛ وهو: البكاء مع ارتفاع الصوت. تجي: تجيء.

(٢) ضرّجها: لطَّخها. النجيع هنا: الكثير. . بعد الهدو: بعد ساعة من الليل. لم يحرج: هو من الحرج وهو الإثم. وفي «مغازي الواقدي» (١/ ١٧٤).

فضرّجها من نجيع الدماء ... قُبيل الصباح ولم يحرج

وذكر الواقدي أن حسان بن ثابت قال هذه القصيدة يمدح عمير بن عدي لقتله عصماء.

(٣) «الاستيعاب» (٣/ ١٢١٧).